جامـــــــعة غليـــزان
كلية العلـــوم الاجتمــاعية والإنسانية

جامعة غليزان
RELIZANE UNIVERSITY

أطروحـــــــة
للحصول على شهـــــــــادة دكتوراه ل. م. د
في الفلسفـــــــــة

جدل العنف والتسامح في الفكر الإسلامي
- دراسة تحليلية نقدية

مقدمة ومناقشة علنا من طرف

السيد(ة): حميش امعمر

أمام لجنــــــــــــــــة المناقشـــــــــــــــــة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	مؤسسة الانتماء	الصفة
خن جمال	أستاذ محاضر "أ"	جامعة غليزان	رئيسا
محمد بن علي	أستاذ التعليم العالي	جامعة غليزان	مشرفا ومقررا
محمد بلعالية	أستاذ محاضر "أ"	جامعة غليزان	مناقشا
بوعمود أحمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تيارت	مناقشا
طاهر حفصة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تيارت	مناقشا
شريف الدين بندوبة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سعيدة	مناقشا

السـنة: 2022/2021

الإهداء

إلى كل أهلي وكل أصدقائي وكل أساتذتي الذين تعلمت منهم....

إلى كل من يعرفني....

إلى كل باحث...

إلى روح ابنتي ابتهال رحمها الله ....

حميش امعمر

شكر خاص

إلى الأستاذ الدكتور **بن علي محمد** الذي لم يبخل علينا

ولم يتوان في النصح والإرشاد

وصبر علينا

ودعمنا بكل جهد وإخلاص

مقدمة:

الإنسان أفضل وأكرم المخلوقات وأعظمها تميّزاً، فقد خُلق سويّاً ومعدّلا في أكمل صورة، متميزا بالعقل واللسان ودقة التأمل والإدراك والنظر، مزوّداً بمجموعة من الصفات التي جعلت منه كياناً مثاليا وساميا لأبعد الحدود، ودفعته ليكون في حياته ساعيا لبناء وتأسيس مجتمع، يحفظ له بقاءه، ويصون له كرامته، ويقوي روابطه مع أخيه الإنسان عن طريق التواصل والتعامل والتفاعل والتأثير والتأثر بحكم طبعه الاجتماعي المتفرّد المبني على التقارب مع بني جنسه غالبا.

امتدت حياة الإنسان وحركته على بقاع الأرض، وبالرغم من الظروف البيئية المعقّدة من مكان لآخر، فقد كثُرت بذلك الأمم والجماعات المختلفة في العديد من الخصائص المادية وغير المادية وهو ما يفسر التنوع المتعددة على مستوى طبائع التفكير والتخطيط والاستشراف المستقبلي.

وبعد تلاحم الإنسان مع غيره وبنائه للعديد من المجتمعات ومختلف الحضارات، اصطدم بجملة من المعوقات والعقبات التي حالت بينه وبين رغد عيشه الذي سعى من أجل تفعيله على مدى الزمن.

وهنا جاء دور الأديان وحركات الإصلاح من أجل محاولة بعث حياة البشر التي خطّطوا لها منذ أمد، من جديد، فالديانات قد ارتبطت منذ تأسيسها بالإنسان والمجتمع، فكلّها تهدف إلى حمايته مما كان حائلا بينه وبين أمنه واستقراره الذي عهده من ذي قبل.

كلُّ أمال البشر هي تجاوز الخلافات والصراعات التي تنشب من أجلها الحروب والتلاحمات والتدافع من أجل تحقيق غايات وأهداف مادية ومحدودة في غالب الأحيان، وبلا شك أن أسمى أهداف الدين هي إصلاح ما أفسده البشر، ولمُّ شُتات الإنسانية المُغيَّب، وتحقيق مكارم الأخلاق، ومثالية القيم في التواصل وعلى مستوى العلاقات.

فهذه هي وظيفة الأديان السامية في كل زمان ومكان، المتميزة عن فكر الأفراد مهما حاولوا بلوغ درجات محتوى النصوص المقدسة، وجوامع كلم الأنبياء والمرسلين، لأنها جاءت بالشرائع السمحاء والأحكام الميسرة، لتعيد ضبط أمور المجتمعات، وردُّ الحقوق إلى ذويها، كما تأسست على غايات فائقة النبل ألا وهي تحقيق الأمن والسلام للناس عامة، دون النظر إلى توجهاتهم أو ألوانهم أو أنسابهم، ولتجعل الحكمة في التعارف والتعايش بين الناس جميعا.

إن المبادئ التي اتبعتها الأديان وتأسست عليها تعتبر من الثوابت، وهي أحكام قطعية ولازمة لتسيير شؤون المؤمنين بها، وهي ما تتحكم في طبائع العلاقات مهما كثرت وتعددت، فحالها أشبه بالكتاب المُسطِّر لرحلة البشر المستقبلية، فنصوصها تحمل بُعدين أولهما الأوامر، وهي الأفعال المباحة والمشروعة من حيث القبول والاستحسان، والثاني الزواجر أو النواهي وهي الأفعال المستهجنة والمستقبحة في نظر الشرع، وكل ذلك يتأسس على فلسفة ما ينبغي أن تكون عليها الحياة المدنية، من أجل تحقيق الأفضل للناس جميعا دون استثناء.

عندما نطّلع على متون الكتب الدينية المقدسة سواء كانت سماوية مثل اليهودية والمسيحية والإسلام، أو وضعية بشرية مثل البوذية والزرادشتية والبراهمية والشمانية وغيرها من الديانات التي اشتهرت في آسيا الوسطى والغربية والمناطق الشرقية، نجد أنها تحمل رسالة ضمنية وروحية للإنسان العاقل، وتتطلع لمستقبل هادئ للبشرية، فنجد في معظمها وصايا، وتنبيهات تحرص على تأصيل نمط أخلاقي ومثالي للإنسان، يحمل أبعادا جوهرية سامية لا تتلاشى مع اغراءات الماديات مهما كانت.

فتلقى الإنسان ذلك بصدر رحب، لأنّ ذاك حسبه نور يهتدي به في ظل تعدد الأزمات التي تواجهه في هذه الحياة من الفينة للأخرى، كما أنه وجد فيها سبيلا للخلاص ووعودا بالأفضل دائما، كما وجد كذلك صرامة الضوابط التي تمتاز بالتعميم والتطبيق على جميع البشر، وليست مجرد قواعد ونظريات لا تفارق صفحات الكتاب والصحف المقدسة، فتكون بذلك أعلى شأناً من الأعراف والتقاليد التي عرفها الإنسان وقعّدها بحكم الظروف، فقدسية وصرامة الضوابط والأوامر والزواجر لا يستقر حالها إلا إذا تعلقت بالدين الذي يربطها مباشرة بالضمير الإنساني، الذي يستلهم ويخاطب الأرواح ويضع لها مسلكا في مواجهة الأمور والشدائد.

لكنّ ومع مرور الأزمان أصبح حال الإنسان مع الدين أعقد مما كان عليه من ذي قبل، والدليل على ذلك حصيلة حروب الأرض التي خاضها الإنسان في مختلف الأمصار والبقاع، وبالرجوع للدوافع التي استند عليها والأسباب التي خاض من أجلها هذه الحروب نجد الدين في المقام الأول، بل غالبا ما كان هو محرك الإنسان ليثير حروبا من أجل المقدس، فستوقفنا الأبعاد التسامحية

والسلمية للدين المغيبة في الكثير من الأحوال والظروف، وهنا نصل إلى ذروة الاستشكالات التي لا مخرج لها، ألا وهي جدلية العنف مع التسامح.

ولا يمكننا فهم ذلك إلا بتفكيك النصوص الدينية التحريضية على العنف أو وضع قراءات للمقدس على ميزان العقل، وإعادة قراءة هذه النصوص بالمنظور العقلي التحليلي والنقدي، أو ما يعرف بالمقاربات النقدية للقراءات المقدسة، ما بين نصوص العنف والتسامح.

إنّ محاولة فهم ذهنيات وطبائع تفكير الأفراد والجماعات، أو فهم الوجود الإنساني بشكل عام يقتضي بالضرورة فهم وتحليل السياقات والأنساق الثقافية والاجتماعية لتلك الأمم والأفراد والجماعات، ويدخل في جملة ذلك الأصل الحقيقي ألا وهو الدين أو المعتقدات الإيمانية والروحانية للمجتمعات، وذلك هو الطريق الأوحد لفهم وتفسير هذه السلوكات والأساليب والدوافع المباشرة وغير المباشرة، وكذلك لتبيان المفاهيم الاجتماعية القائمة والسائدة في ذات المجتمع البشري، وهكذا تتبلور أمامنا تفاصيل طابع العلاقات بين الأمم.

فدراسة الأديان أصبح من الضروري جدا للخوض في تحليل القضايا الشائكة التي تقف عقبة كبرى في وجه ازدهار الأمم والحضارات وتقدمها، ومن

أهمها قضايا العنف والتطرف، فالأديان والمعتقدات هي جزء مهم وفعّال جدا في عالم الانفتاح العالمي، وتعلّم فروع الأديان وخصائصها يزيل الكثير من الغموض الذي يحيط بالكثير من القضايا خاصة في هذا العصر، فالوصول إلى تحليل طبيعة المعتقدات، هو الباب الأوحد لتفسير قضايا العنف والتطرف التي يعيشها العالم اليوم.

جدل العنف مع التسامح ليس وليد اليوم أو الأمس القريب، ولا حتى الزمن البعيد، بل ابتدأ مع الإنسان نفسه، كما أنه كان موجود قبل الإنسان بآلاف أو ملايين السنين أو ربما ملايير السنين، أما ما كان من قبل فمن باب التبيان وحسب، فالأرض عرفت جدلاً للعنف والتسامح قبل الإنسان، وأما ما كان معه فمن عجائب الأقدار أن العنف والتسامح تزامنا معاً في النشأة والظهور وحصل ذلك مع ابني آدم في قصة القرابين المشهورة.

فلا نستغرب أن يتوارث الأجيال من بعدهما خصالا متباينة تولّدت مع الآباء الأوائل، الذين يعتبرون أصل الخلق والنشء، وكأن التاريخ يخبرنا أنّه يعيد نفسه بتكرير المشهد من جديد، ولكن بطرق مختلفة وأنماط متغيرة من أقوام لآخرين، ومن أمم لأمم أخرى، وعلى مرّ السنين والأعوام، لم تتوقف

جدلية العنف مع التسامح بل تفاقم الأمر ليصبح العنف مبررا بشكل فعّال، وتم تغييب مدلولات التسامح وتعليقها إلى غاية اكتشاف مصالح أو غايات فيتم تفعيلها إلى أمد غير مسمى وأجل غير محدد.

لقد وقعت العديد من الأزمات في الشرائع الدينية السماوية على مرِّ القرون وسببها العنف الذي خلّفه الإنسان، شريعة بني اسرائيل وتاريخ اليهود حافلان بالقصص الطويلة والنماذج الكثيرة والأمثلة المتنوعة والمتواترة عن العنف والتطرف من جهة، وعن التسامح والعفو والإحسان والرحمة من جهة أخرى، والأمر نفسه حصل مع النصارى في تاريخهم الطويل، خاصة بعد قرن من ميلاد المسيح عليه السلام كما تتحدث عن ذلك كتب التاريخ القديمة.

وبالحديث عن تاريخ المسلمين فالأمر سيّان، وكأن حديث النبي ﷺ عن تتبع سَنَنَ الأمم السابقة خاصة أهل الكتاب، قد تحقق بعد وفاته مباشرة، فجرى الأمر أشبه بما يكون بأصحاب الملل السابقة، فوقع ما وقع من الحوادث الفظيعة والوقائع المؤسفة التي دونها التاريخ، حتّى وإن كان ولابد أن نقول أن التاريخ لا يُعاش إلا مرة واحدة وفي حينه فقط، إلا أنه يبقى لازما للإنسان وملازما له، للتعلم والاستفادة من تجارب الأولين، وليصحح الإنسان نفسه بالاعتبار من

أخطائهم وزلاتهم المختلفة، خاصة ما تعلق منه بالعنف والتطرف والغلو وما ينتمي إلى ذلك من خطابات الكراهية والإقصاء والاستعلاء وغيرها، أو ما تعلق بالرفق والتسامح والعفو والصلح والتفاهم وما يلحق به من تعايش وتفاهم بين الشعوب.

يعدُّ العنف من القضايا المعاصرة والمنتشرة في القرون الأخيرة، نتيجة لبروز الكثير من التيارات التي تبرره وخاصة الدينية منها، بل وتُعطيه الصفة المجازة لاستمراره في الانتشار، وهذا النمط الذي بات يهدد أمن واستقرار العالم، يعيد للأذهان المجازر والإبادات، وحجم الدمار الذي عاشه الناس في كل مرة، وتعداد ضحاياه يزيد مع كل حادثة، واللافت للنظر في حقيقة هذه القضايا هو أن معظمها منشؤها من الفكر الديني.

وفي المقابل نجد سعي الكثير من المصلحين ورجال الدين لتفعيل سبل التسامح لتخطي مرحلة الغموض التي اجتاحت البشرية منذ قرون، وبين هذا وذاك نجد مدا وجزرا بين التوجهات المختلفة، ويبقى الإنسان دائما في صورة العاجز الذي يبحث عن خلاص من هذه الأزمات التي تؤرقه في كل مرة.

وعن سبب اختيارنا لموضوع العنف والتسامح، فلعدة أسباب ذاتية وموضوعية ساهمت بشكل كبير في اختيارنا له بالتحديد، ولتفصيل الأسباب الذاتية، يمكننا القول أنه لقربنا وصلتنا بالقضايا الدينية المتعلقة بالفكر الإسلامي بحكم هُويتنا وانتمائنا، وكذا توفر المصادر المتعلقة بتاريخ الفكر الإسلامي وتعدد المكتبات التي تحفل بذلك، فرغبة مني في كل مرة أتصفح فيها كتب الحضارة والتاريخ الإسلامي، وجدت نفسي أساق لهذا الموضوع سوقا مباشرا.

والأسباب الموضوعية فهي كثيرة، لكن يمكن اختصارها في سببين أساسيين، فالأول هو أنّ موضوع العنف ورغم حضوره اللافت للنظر في قضايا العصر، إلا أنه يبقى من المواضيع المهملة أكاديميا، والمسكوت عنها كثيرا، بسبب حساسية الموضوع لأبعاده المقدسة، التي ربما يُساء فهمها في غالب الأحوال، وأما السبب الثاني فهو أزمة الفكر الإسلامي المعاصرة، خاصة في الآونة الأخيرة وفي بداية هذه الألفية الراهنة، حيث أصبح المسلمون يستهدفون في كل مرة ويُتهمون فيها بالتطرف والعنف، وبُعدهم عن التسامح.

ومن خلال ل ما سبق ذكره يمكننا أن نصيغ إشكالية تتأسس عليها هذه الأطروحة حول الجدلية القائمة بين العنف والتسامح في الفكر الديني الإسلامي

أو بمفهوم آخر: إلى أي مدى يُسهِمُ الفكر الإسلامي في تفعيل خطاب العنف في ظل وجود نصوص تدعو للتسامح؟، وهل الفكر الديني الإسلامي يعتبر مسؤولا عن موجات العنف التي يرتكبها الأفراد والجماعات الإسلامية، أم هو بريء من تصرفاتهم؟

ومن خلال هذه الإشكالية العامة يتمخّض منها مجموعة معتبرة من الأسئلة الفرعية والجزئية منها: ما العنف؟ وما التسامح؟ وما منشؤهما؟ وهل العنف الديني مشرع أم مدان؟ وهل عرف الفكر الديني القديم جدلية بين العنف والتسامح؟، ومتى نشأت جدلية العنف والتسامح في الفكر الإسلامي؟ وإلى أي مدى يمكن تجاور العنف الديني بالتسامح في ظل الجدل القائم بينهما؟ وما هي السبل الممكنة والفعالة التي يمكنها أن تنهي أزمة الصدام الفكري والقطيعة التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم؟

ولقد حاولت قدر المستطاع الالتزام بالموضوعية والشفافية في تحرير هذا البحث، علما أنّه موضوع حسّاس جدا كما سبق وذكرنا من قبل، فاستعنت بمجموعة من المصادر الدينية والتاريخية والفلسفية المعتبرة، وتجنبت ترجيح

المسائل التي كانت سببا في الخلافات الفكرية والمذهبية التزاما بالحياد، وعملا بمقتضى النزاهة الأكاديمية التي تقتضيها الأمانة العلمية ما استطعت.

كما أنني تجنبت الكلام عن الكثير من الحوادث الفظيعة وتركت الحكم للقارئ وحده، ولكي تكون الدراسة بعيدة عن الذاتية التي تُشين بالبحث، استعنت بكلام المستشرقين عن الفكر الإسلامي، بتيارت الاستشراق المختلفة، وقمت بتحليل كل ذلك ما استطعت، كما ركّزت على تجنب الإطناب في الوصف الذي يحيل البحث إلى منطق الدفاع المستميت الذي لا يخلص إلى نتائجٍ موضوعية.

ولقد اعتمدت على المنهج التاريخي في استحضار الحوادث والواقع وخاصة الحوادث ذات البعد المقدس، دون المساس بنصوص الكتب المقدسة أو الإشارة إلى تحريفها، واعتمدت كذلك المنهج التحليلي الوصفي للحالات التي احتوت على العنف أو التسامح، وقمت كذلك بتقديم قراءتي النقدية وفق ما تقتضيه ضرورة الدراسة الأكاديمية، واعتمدت كذلك على منهج المقارنة في إجراء مقاربات نقدية لبعض الحوادث والأمثلة و النماذج.

ولقد اعتمدت في كتابة النصوص المقدسة على الخط الأصلي لهذه النصوص مثلما هو الحال مع القرآن الكريم (hafs uthmanic)، أو العهدين

القديم والجديد (arbaeen) حتّى لا يتحرف النص عن الخط الأصلي المكتوب به في المطابع الرسمية.

كما وضعت خطة لهذا البحث محاولا فيها تغطية جوانب الإشكالية الأساسية والأسئلة الفرعية، فقسمت هذا البحث إلى ثلاثة فصول رئيسية، وكل فصل يحتوي على ثلاثة مباحث، وكل مبحث فرعته إلى مطالب، وقد قسمت هذه الدراسة وفق المنهج الذي اتبعته وهو المنهج التحليلي النقدي، فكان من الضروري أن أقسم البحث إلى جانبين نظري وتطبيقي، فأما الجانب النظري فكان في محتوى الفصلين الأول والثاني، وأما الجانب التطبيقي فكان في محتوى الفصل الثالث.

في الفصل الأول تطرقت إلى مصطلحي العنف والتسامح وحقولهما الدلالية ومقاربات لغوية لهذين المصطلحين، وكذلك تناولت تاريخ نشأة العنف والتسامح قبل خلق الإنسان ووجوده على الأرض، وبعد ذلك في قصة ابني آدم عليه السلام في المبحث الأول، وأما المبحث الثاني فتناولت نشأة العنف في الفكر الديني اليهودي، فتطرقت إلى مصادر تشريع الفكر اليهودي الأساسية، كما خصصت مطلبا في هذا المبحث لدراسة العنف والتطرف في الفكر الديني

اليهودي، ومطلبا آخراً لدراسة التسامح وأشكال العفو والتساهل، وفي المبحث الثالث تناولت العنف والتسامح في الفكر الديني المسيحي، في ثلاثة مطالب، ففي الأول تناولت مصادر تشريع الفكر المسيحي، وفي المطلب الثاني كان مخصصا لتاريخ العنف الديني المسيحي واخترت أنموذجا له صلة بذلك، وهو أزمة الموريسكيين في بلاد الأندلس، كون هذه الفئة لها علاقة بالمسلمين والمسيحيين في المرحلة الوسيطية، وفي المطلب الثالث تناولت التسامح وأشكاله في الفكر المسيحي.

والفصل الثاني فكان حول جدلية العنف والتسامح في الفكر الإسلامي وهو لبُّ هذه الدراسة من خلال شقها التاريخي والنظري، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث فتطرقت في المبحث الأول إلى المصادر الرئيسية لتشريع الفكر الإسلامي، وهي القرآن وتناولته في مطلب تعريفا وذكرت أهم خصائصه وأقسامه وحروفه، ومكانته في التشريع والتأصيل الفكري، ثم تطرقت إلى السنة النبوية مفهومها وأقسامها، ومكانتها في التشريع الديني، ثم الإجماع تعريفه وحجيته ومكانته في التشريع الديني، أما المبحث الثاني فكان حول العنف والتطرف في الفكر الإسلامي، وذكرت في هذا المبحث أهم دوافع وأسباب نشأة

العنف والتطرف في الفكر الإسلامي، ثم انتقلت للحديث عن أهم ثلاثة مراحل للعنف والتطرف في تاريخ المسلمين في العهد الأول بعد الخلافة الراشدة، ثم في المرحلة الأموية، ثم في بداية المرحلة العباسية، ثم تناولت أنموذجا يعبّر عن أكبر فرق العنف والتطرف في تاريخ المسلمين، ألا وهي فرقة الخوارج المارقة، فعرّفتهم وذكرت أصولهم الدينية الأساسية، وتقعيداتهم الفكرية لممارسة العنف باسم الدين الإسلامي.

وأما المبحث الثالث فكان حول التسامح في الفكر الإسلامي، فذكرت مبادئ الإسلام الأساسية ودلالات التسامح في الكتاب والسنة، وبيّنت موقف السنة من العنف واللا تسامح ثم ذكرت نماذج التسامح والعفو في الإسلام، بداية بشمائل النبي ﷺ وأبعاد التسامح والرحمة في الحرب، ومقابلة العنف بالتسامح من أمثلة تاريخية.

والفصل الثالث تطرقت فيه إلى أزمة الفكر الإسلامي المعاصرة ومستقبل العيش المشترك في ظل التعددية الدينية والاختلاف الثقافي، وكانت في ثلاثة مباحث مستقلة، ففي المبحث الأول خصصته للجوانب الإنسانية في الفكر الإسلامي، فتناولت في ذلك صورة الإنسان ما بين النظرة الفلسفية والدينية

والإنسانوية، كما قمت بمقاربة الأبعاد الإنسانية بين التنظير الفلسفي والديني ما قبل مرحلة النهضة وما بعدها، وصورة الإنسان كذلك قبل الإسلام وبعده في شبه الجزيرة العربية، ثم تطرقت إلى حقوق الإنسان العامة والخاصة والمشترك الإنساني.

أما المبحث الثاني فكان حول المسلمين والآخر والعيش المشترك، وقد تدرجت في ذلك من نظرة الإسلام للآخر في القرآن والسنة، وقبل ذلك وضّحت صورة الإسلام والمسلمين عند الآخر، وهنا استعنت بكلام المستشرقين حتى تكون الصورة واضحة وموضوعية، ثم تحدثت في مطلب آخر عن حقوق وواجبات الآخر في ظل الحكم الإسلامي والمجتمعات الإسلامية، وقد ركّزت على البعد التسامحي في التنظير الإسلامي في التعامل مع الآخر وهذا بالاستعانة بآراء الفقهاء والعلماء والأصوليين، ثم مثّلت ذلك بأنموذج الجزية في ما تعلق بالذميين، ثم انتقلت للحديث عن مظاهر العيش المشترك في المجتمعات الإسلامية وقدمت نماذج عن الدولة العباسية، وأشرت إلى موضوع التعددية الدينية والثقافية في المجتمعات الإسلامية، وكذلك إسهامات الآخر في بناء

وتشييد الحضارة الإسلامية، وإسهاماته في حركة الترجمة والنقل وكذلك جهودهم في مجالات الطب والأعمال ذات الأبعاد الإنسانية.

وأما المبحث الثالث من هذا الفصل، فكانت مخصصة للحديث عن أزمة الفكر الإسلامي المعاصرة، وتحديات العيش المشترك ومستقبل التعايش السلمي في ظل جدلية القطيعة والاعتراف عند الآخر، وكان لازما علينا أن نذكر فيه ونفصّل أسباب وتداعيات الأزمة الراهنة في الفكر الإسلامي والإشارة إلى أهم الأسباب والدوافع، التي كانت ذريعة الآخر اللاهوتي، ثم انتقلت للحديث عن الآخر الحضاري بحكم أنه يسيطر على العالم المعاصر، فأشرت إلى موقفه من الفكر الإسلامي وكذلك معوقات الحوار والعيش المشترك من بينها النزعة المركزية وكذلك خطابات الإقصاء واستبعاد المسلم وتفعيل القطيعة معه في ظل تمسكه بالقيم والتقاليد الإسلامية، ثم انتقلت إلى أهم حدث في هذا العصر ألا وهو وثيقة الأخوة الإنسانية، التي كانت بين شيخ الأزهر وبابا الفاتيكان، وقبل ذلك تحدثت عن طابع العلاقات الإسلامية المسيحية في التاريخ بينهما.

وخاتمة البحث ذكرت فيها أهم النتائج التي استخلصتها من هذه الدراسة المتواضعة.

وأما عن الصعوبات التي واجهتني في أعداد هذه الرسالة فهي كثيرة ومتنوعة ومختلفة، فأولها زمنية الدراسة المتزامنة مع الأوضاع السياسية في مرحلة ما بعد الحراك، وثانيها الأزمة الصحية العالمية التي ألمّت بالعالم أجمع وفترة الحجر الصحي التي دامت أكثر من سنتين، فانجر عنها غلق المكتبات والجامعات، وكذلك ندرة الكتب المتعلقة بالعنف في الفكر الإسلامي، وبعض المشاغل والمسائل العائلية والأسرية أتحفظ عن ذكرها.

ولكن بحمد الله سبحانه وتعالى ورغـــم كـــل هـــذه الصـــعوبات وفقنـــي الله لإتمام هذه الرسالة، وأملنا فـــي الله كبيـــر، فأســـأله ســـبحانه وتعـــالى أن يجعلها فاتحة خير على كل طالب علم فـــي مجـــال التخصـــص، وأن ينتفـــع بها كل من له ميول للجوانب الفكريـــة والفلســـفية والدينيـــة، والله المســـتعان وعليـــــه الــــــتكلان ولا حـــــول ولا قــــوة إلا بــــــالله العلــــــي العظـــــيم.

الفصل الأول: العنف والتسامح المفهوم الدلالة وبداية الجدل.

لقد مثّل العنف والتسامح جدلية فكرية على مر تاريخ البشرية وليومنا، ولا شك أنّ كلّ الحضارات الإنسانية عرفت أمثلةً كثيرةً، ونماذجاً متنوعة عنهما، فمن حيث الصورة النمطية والتصور الفكري لمفهومهما تتجلى الأبعاد الأخلاقية، وما يترتب عنهما من نتائج متباينة، تؤثر على طبيعة العلاقات الإنسانية، بالإيجاب والسلب، علاقات تميزت تارةً بالتصادم وتارة بالتعارف.

الإنسان لم يجد نفسه وحيدا على الأرض بل وجد غيره من البشر يسكن إلى جواره على الكوكب نفسه، وقد لاحظ أنه على الرغم من اتفاقه مع من حوله من البشر في أشياء كثيرة إلا أنّه يختلف عنهم في أشياء كثيرة كذلك[1]، وهو ما أسس نوعية وطبيعة التعامل بين الناس على مرِّ تاريخ البشرية، وأمّا طبيعة التعاملات هي ما تحدد وصف الأفعال من حيث القبول والاستحسان أو الرفض والاستقباح، أو ما يصطلح عليهما بالتسامح واللا تسامح، أو العنف والعفو، أو الخير والشر في حياة الإنسان الاجتماعية في ظل التعدديات.

[1] السرجاني راغب، المشترك الإنساني نظرة جديدة للتقارب بين الشعوب، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2010، ص13.

المبحث الأول: العنف والتسامح وحقولهما الدلالية.

مصطلحا العنف والتسامح يحملان الكثير من الدلالات والتعاريف في القواميس والمعاجم اللغوية والفلسفية، فمن أجل ضبط المفاهيم ومقاربتها مع صورها الواقعية، لابد من الرجوع إلى أوصافها، وتبيان مدلولاتها في مختلف الكتب الفكرية التي تنقل لنا تصورات المفكرين والفلاسفة والأدباء لها، من وجهات نظرهم الخاصة.

المطلب الأول: العنف والتطرف قراءة في المفهوم.

يُعتبر موضوع العنف أهم مباحث العلوم الإنسانية اللا مفكر فيها والمسكوت عنها على الرغم من حضوره اللافت في مجتمعنا المعاصر، لذلك ثبت اليوم أنّ هذا الموضوع من أهم الدراسات التي تفتقر إلى مجهود وتحليل، خاصة في ظل التحولات التي يشهدها العالم بصفة عامة والعالم الإسلامي بصفة خاصة[1].

العنف قديم النشأة ولقد تجسّدت صوره في الكثير من القصص التاريخية على مرِّ الزمن، فلم يستطع الإنسان تجاوزه بكل الطرق التي جرّبها، فاستفحل في المجتمعات قاطبة، وأخذ يشكّل منحى آخر، لمّا صار يُمارس بدوافع أيديولوجية متطرفة، ذات أبعاد دينية وسياسية، فأرّق الإنسان في الماضي، واستمر الوضع على ذلك في الحاضر.

للعنف معانٍ متعددة ومختلفة في القواميس والمعاجم يصعُب على الباحث الإحاطة بها جميعاً، نظرا لاختلاف وجهات نظر المفكرين والباحثين للظاهرة من عدة زوايا منها السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية، وللوقوف عليها رجعنا إلى مفاهيم العنف اللغوية والاصطلاحية والفلسفية، حتى تتجلى معانيه وتتضح أهم مفاهيمه التي يقوم عليها، منها:

[1] مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1)، 2009، ص358.

أولاً: المقاربات اللغوية للعنف.

جاء تعريف العنف في قواميس اللغة بعدة مفاهيم وتعاريف تتقارب غالباً في المعنى والوصف والدلالة، فجاء تعريفه في النهاية بأنه موصوف **الشدة والمشقة والتوبيخ**[1]، وهذا الوصف لم يستوف شرط الإحاطة، والتصور الدقيق للمصطلح، فهو يصفه كونه خطابا شديدا بالنسبة للفاعل(العنيف) أو شعورا بالمشقة بالنسبة للمفعول به(المُعنَّف).

أما في **لسان العرب** فيعرّفه **ابن منظور** بأنه **(الخُرْقُ بالأَمر وقلّة الرِّفْق به وهو ضد الرفق، عَنُفَ به وعليه يَعْنُفُ عُنْفاً وعَنافة وأَعْنَفه، وعَنَّفه تَعْنيفاً، وهو عَنِيفٌ إذا لم يكن رَفيقاً في أَمره)**[2] وهنا يضعه ابن منظور كنقيض للرفق والتسامح.

ثم يضيف(**واعْتَنَفَ الأَمرَ: أَخذه بعُنف، وفي الحديث: "إن اللّه تعالى يُعْطِي على الرِّفْق ما لا يُعطي على العنف"، هو بالضم الشدة والمَشَقّة، وكلُّ ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشرّ مثله، والعَنِفُ والعَنيفُ: المُعتَنِف غير رَفِيق)**[3]، إذاً فالعنف هو فعل وعمل وشعور حسبه ويعني المشقة والشدة، وهو شرٌّ يقابل الخير(الرفق)، ويضيف(**والأَعنفُ كالعَنيف والعَنِفِ كقولك اللّه أَكبر بمعنى كبير(...) وأَعْنف الشيءَ أَخذه بشدَّة واعتنف الشيءَ كرهه(...) والتعْنيفُ: التَّعْيير واللَّوم(...) التعْنيفُ: التوْبيخُ والتقْريعُ واللَّوم يقال: أَعْنَفْته وعَنَّفْته معناه أَي لا يجمَع عليها بين الحَدّ والتوْبيخ)**[4]، فهو نقيض تام للتسامح والعفو حسب ابن منظور، فكل عمل أو فعل لا يوصف بالرفق نستطيع أن نقول عنه عنفاً.

---

[1] أُنظر، مجد الدين ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)،2000، ص645.

[2] ابن منظور أبو الفضل جمال الديم محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، (مج10)، مادة عنف، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط8)، 2014، ص303.

[3] نفسه، ص304.

[4] نفسه.

ويعرّفه الأديب **جبران مسعود** في **معجم الرائد** بما يلي: **(عنُف يعنُفُ: عنفا وعنافة، به أو عليه: عامله بشدة وقسا عليه، عنّف تعنيفا: عامله بشدة وقسا عليه، لامه بعنف وبشدة : عتب عليه، العنف، عنف – الشدة والقسوة، ضد الرفق واللين)**(1)وهذا التعريف متطابق مع تعريف ابن منظور في الوصف.

وجاء في **الصحاح** بأنّه ضد الرفق، تقول منه: عنف عليه بالضم وعنف به أيضا والعنيف هو الذي ليس له رفق بركوب الخيل والجمع عُنُف، واعتنفت الأمر، إذا أخذته بعنف، واعتنفت الأرض إذا كرهتها، وهذه إبل معتنفة، إذا كانت في بلد لا يوافقها والتعنيف التعبير واللوم(2).

كما يعرِّفه **الفيروز أبادي** في قاموسه **المحيط** بما يلي: **(العنف مثلثة العين: ضد الرفق، عنُف ككرُم، عليه و به، وأعنفته أنا، وعنّفته تعنيفا، والعنيف من لا رفق له بركوب الخيل والشديد من القول والسير وكان ذلك منا عنفة، بالضم وبضمتين، واعتنافا أي ائتنافا (...)اعتنف الأمر: أخذه بعنف، وابتدأه، وائتنفه، وجهله أو أتاه ولم يكن على علم به (...) وعنّفه لامه بعنف وشدة)**(3)، ولا يختلف منظوره لمفهوم العنف عما سبق ذكره.

وفي **المعجم الوسيط** الذي يصدره **مجمع اللغة العربية** فيُعرف بأنّه ما أُخذ بشدة وقسوة، فكلٌّ من يلوم ويعيِّرُ غيره فهو عنيف، واعتنف الأمر أخذه بعنف وأتاه ولم يكن على علم به واعتنف الشيء كرهه(4)، وهذا التعريف يبدوا واقعيا إلى حد ما، لأنهم أدخلوا

---

(1) جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط7)، 1992، ص567.

(2) اُنظر، الجوهري اسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط2)، 1979، ص818.

(3) الفيروز آبادي محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، مصر، (ط1)، 2008، ص1151.

(4) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، (ط4)، 1992، ص631.

في جملة العنف خطابات الكراهية والتعبير والممارسات التعسفية التي تسبب الضغط النفسي للمعنَّف.

وعند **لويس معلوف** في المنجد: **(العُنف، العَنف، العِنف: ضد الرفق، الشدة والقسوة، الأعنف العنيف خلاف الرفيق ... المَعنّفة: ما يدعو إلى العنف)**[1]، وهنا يبدو أنّ معلوف وصف العنف وأطلق المصطلح على كل من يمارسه أو يتصف به أو يدعو إليه.

وفي المعاجم الأجنبية الفرنسية والإنجليزية يقابل مصطلح العنف: **violence** كما يرى الدكتور **مراد وهبة** أنّ له علاقة بالحياة ويقدم تفصيلا في ذلك حيث يقول: **(العنف بمعناه الإفرنجي يتكون من مقطعين vi وهو مقطع مأخوذ من نفس الجذر المأخوذ منه لفظ vitality أي حيوية، هذا بالإضافة أن هناك علاقة في اللغة اليونانية بين bios وأي حياة وbia أي عنف)**[2].

فالحاصل أنّ كلّ المعاجم تتفق على أن العنف هو موصوف الشدة والقسوة ويتنافى مع الرفق والطيبة والتسامح، ويشمل ذلك كل فعل أو عمل يتنافى مع القيم والأخلاق وما عليه الإنسانية، ويتعمد صاحبها الإذاية وإلحاق الأذى بالآخرين، عن طريق اليد أو اللسان، أو بمعنى آخر هو التطاول على حقوق الآخرين وأجسادهم.

ثانيا: المقاربات الفلسفية والفكرية لمصطلح العنف.

أمَّا في **الاصطلاح** فنجد العديد من المفكرين والفلاسفة والباحثين في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية قد وضعوا **للعنف** عدة مقاربات، وكل مقاربة تعكس إدراكاً معينا وأسلوبا خاصا في التشخيص والاقتراح[3]، كما وضعوا له عدة مفاهيم وصفية دقيقة تفسره

---

(1) لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، (ط19)، 2007، ص 533.

(2) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2007، ص441.

(3) ماجد الغرباوي، تحديات العنف، العارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، (ط1)،2009، ص43.

من جوانب مختلفة من حيث الدافع والسبب ومن حيث النتائج ومن حيث الكيفية والطريقة والمنهج المتّبع في الممارسة والتطبيق.

يعرّفه **جميل صليبا** في معجمه الفلسفي بأنّه مضاد للرفق ومرادف الشدة والقسوة والعنيف(violent) هو المتصف بالعنف، فكل فعل عنيف يخالف طبيعة الشيء، ويكون مفروضا عليك من خارج فهو بمعنى ما فعل عنيف، والعنيف أيضا هو القوي الذي تشتد سورته بازدياد الموانع التي تعترض سبيله كالريح العاصفة والثورة الجارفة، والعنيف من الميول الهوى الشديد الذي تتقهقر أمامه الإرادة، وتزداد سورته حتى تجعله مسيطرا على جميع جوانب النفس والعنيف من الرجال هو الذي لا يعامل غيره بالرفق، ولا تعرف الرحمة سبيلا في قلبه، وجملة القول أن العنف هو استخدام القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون[(1)].

وربما هذا التعريف قد استوفى عدة جوانب تحدد أفعال العنف وتصفها وصفا واقعيا، وطبيعة الشخص العنيف، ويحدده المفكر **ماجد الغرباوي** فيما يشمل ارتفاع الصوت والخشونة في المحاورة، كما يشمل استخدام السلاح[(2)]، وجاء تعريفه في الموسوعة الفلسفية **لأندريه لالاند** بأنه الاستعمال الغير المشروع، أو على الأقل غير القانوني للقوة والعنيف هو من يفرض نفسه على كائن خلافاً لطبيعته، وهو يجري بقوة عاصفة ضد ما يعترضه[(3)]، فالعنف حسب لالاند هو فعل لا قانوني وغير مشروع يمارس فوق إرادة الناس بالقوة.

---

(1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (ج2)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (ط1)، 1982، ص ص112-113.

(2) الغرباوي، المرجع نفسه، ص43.

(3) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص ص1554-1555.

أما الدكتور يعقوبي فيرى بأنّ العنف هو استعمال القوة بصورة غير قانونية للحصول على شيء مرغوب فيه أو استعمال القوة لاسترداد حق مهضوم[1]، ولم يميز الدكتور يعقوبي بين العنف غير القانوني(المُدان) وبين العنف المشرّع أو المشروع كالعمل التحرري، فكلاهما حسبه هي أعمال عنف بصورة غير قانونية، فجمعهما في مسمى واحد.

أما عند **الدكتور خليل أحمد خليل** فالعنف هو الإيذاء باليد أو اللسان، بالفعل أو الكلمة في الحقل التصادمي مع الآخر، وهو في كل حال تجربة نفسية اجتماعية من تجارب إيذاء الآخر، فلا تنفصل عن تغيرات المجتمع وثقافته السياسية ولا تتباهى حصرا باضطرابات الجماعية، والثورات، والحروب المحلية القومية، أو الدولية، فالعنف سلوك إيذائي، قوامه إنكار الآخر كقيمة مماثلة للأنا، أو للنحن، كقيمة تستحق الحياة، أو الاحترام، ومرتكزه استبعاد الآخر عن حلبة التغالب، إما بخفضه إلى تابع وإما بنفيه خارج الساحة وإما بتصفيته معنويا أو جسديا[2]، وهذا التعريف أقرب للوصف الواقعي والأحوال السياسية الراهنة التي تعرف حروبا ومعاركا دامية من أجل إقصاء أو استبعاد أي طرف مخالف أو غير متحالف.

أما في **معجم المصطلحات السياسية** فيُعرّف العنفُ بأنّه استعمال القوة الجسدية المؤذية ضد الأشخاص أو الملكيات، واستخدام القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون[3]، وكما هو معلوم فإن خطابات الكراهية مستبعدة من هذا التعريف بحكم الحقل الدلالي السياسي الذي يخضع للوصف التصادمي فحسب، فيخرج من جملة ذلك الاحتقار أو الخطابات العنصرية والتصغير وغيرها.

---

(1) محمد يعقوبي، معجم الفلسفة، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت)، ص116.

(2) خليل أحمد خليل، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة، بيروت، لبنان، (ط1)، 1984، ص138.

(3) وضاح زيتون، معجم المصطلحات السياسية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1)، 2010، ص254.

كما عرّفته **الجمعية العامة للأمم المتحدة** بأنه **اعتداء جسدي أو معنوي مقصود من جهة تتمتع بسلطة مادية أو معنوية على جهة أخرى**[1]، فرغم أن هذا التعريف مختصر إلا أنه يحدد المعنى ويعطيه وصفا أسمى وأقرب إلى واقع العنف، وربما تعريفه في القاموس الفرنسي **(robert)** كان سطحياً إلى حدا ما فقد ورد بمعنى التأثير والإرغام تحت التهديد و باستعمال القوة[2].

ثالثا: العنف ومدلولاته.

من خلال ما سبق ذكره في المعاجم والقواميس اللغوية والفلسفية والفكرية بصفة عامة، يتأكد أنّ كلّ فعل مادي أو معنوي يؤذي الأفراد أو الجماعات أو الشعوب أو الأمم فإنه يسمى عنفا، لأنه منافي للتسامح والرفق، ويمكن تقسيمه إلى قسمين العنف المباشر والعنف البنيوي غير المباشر، فالأول يلحق الأذى والضرر بالجسد مباشرة أما الثاني فهو معنوي يلحق الأذى بالنفس وقد يكون تحريضيا، لممارسة العنف الأول، مثل الإقصاء والتهميش وخطابات الاستعلاء والتمييز العنصري والفصل النوعي والاجتماعي، وتكريس التفاوت الطبقي[3].

ومن مدلولات ذلك **الحرب العامة**[4] التي تكون بين الدول أو القبائل المختلفة **والحرب الأهلية** التي تكون بين أفراد الدولة الواحدة أو القبيلة الواحدة، ففيها تمارس

(1) رجاء مكي وسامي العجم، إشكالية العنف: **العنف المُشَّرع والعنف المُدان**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط1)، 2008، ص41.

(2)–robert (p) **dictionnaire le robert**. alphabétique analogique de la langue française (paris société du nouveau livre (snl).1978 .p982.

(3) أُنظر، نافيد س الشيخ، **تعداد الضحايا**، المركز الملكي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، الأردن، (ط1)،2009، ص5.

(4) وأحيانا تكون بين القارات أو مجموعة دول وهي ما يصطلح عليها بالأحلاف والتحالفات مثلما وقع في الحربين العالميتين الأولى والثانية أو ما حدث في الأحلاف الأوربية في قتالهم مع الدولة العثمانية.

مختلف أعمال العنف والتطرف والعدوان، ويزيد فيهما عدد القتلى من الجانبين عن الألف فهذه الأفعال هي عبارة عن عنف منظّم ومُمنهَج بدافع الأسباب السياسية والاقتصادية[1].

ومن بين أهم مدلولات العنف **الإبادة** وقد تمارس ضد جماعة عرقية أو لغوية أو شعب أو أمة أو فرقة دينية أو اتجاه أيديولوجي، فهي بمثابة الإعدام والتصفية العرقية النهائية لهذه الفئات المذكورة، فهي استئصال كلي، فالإبادة الكلية تستهدف أمة أو شعب كامل والإبادة الجزئية تستهدف جزء من هذه الأمة أو الشعب[2].

ومن مدلولات العنف كذلك نجد بعض الممارسات غير المسالمة كالاضطهاد والبطش والتضييق والحصار والترويع وهي من جملة الأعمال الإرهابية التي تعبر عن أحد أصناف العنف المعاصر[3]، كما ضمن ذلك كل سلوك عدواني كالتهميش والتحقير للغير والاعتداءات والحرق والنهب والاستغلال للآخر، والقتل وخطاب الكراهية والحقد العرقي والديني، والتجويع والعزل والإقصاء والتمييز والتهديد والتخويف والغلو والتطرف الديني والفكري.

المطلب الثاني: التسامح ودلالاته.

يُعتبر موضوع التسامح أهم محاور بحث الفلسفة المعاصرة والتي تشكِّل إحدى رهانات الفكر العربي والإسلامي، فالتسامح لا يُمثل موضوع بحثٍ بحت وحسب، أو محور نقاشٍ أكاديمي تنظيري، بل هو من أسمى أهداف الوجود الإنساني وأعظم مباحث فلسفة الأخلاق، فالعالم اليوم يسعى جاهدا لتحقيق السلم وبناء الإنسانية من منظور جديد وعالمي في ظل وجود تسامح حقيقي، وحتى يتجلى مفهومه ويتضح معناه، فيمكن الوقوف على معانيه اللغوية والاصطلاحية لتتحدد تصورات التسامح.

(1) نفسه، ص4.

(2) نفسه، ص ص4-5.

(3) أُنظر، الغرباوي، تحديات العنف، المرجع نفسه، ص17.

أولا: التسامح قراءة في المفهوم.

للتسامح **في اللغة** معانٍ متعددة وكثيرة، حددها اللغويون والأدباء في معاجمهم في مادة **سمح**، فجاء تعريفه عند **ابن منظور** في لسان العرب، السماح والسماحة: الجود، وسمح ككرم معناه صار من أهل السماحة، وسُمُوحة وسَماحاً جاد ورجلٌ سَمْحٌ وامرأة سَمْحة من رجال ونساء سِماح وسُمَحاء فيهما، ورجل سَمِيحٌ ومِسْمَح ومِسْماحٌ سَمْح ورجال مَسامِيحُ ونساء مَسامِيحُ، وفي الحديث: "**يقول الله عزوجل أَسْمِحُوا لعبدي كإِسماحه إلى عبادي**"، والإِسماح لغة في السَّماحِ يقال سَمَحَ وأَسْمَحَ إِذا جاد وأَعطى عن كَرَمٍ وسَخاءٍ وقيل إِنما يقال في السَّخاء سَمَح وأَما أَسْمَح فإِنما يقال في المتابعة والانقياد ويقال أَسْمَحَتْ نَفْسُه إِذا انقادت والصحيح الأَول وسَمَح لي فلان أَي أَعطاني وسَمَح لي بذلك يَسْمَحُ سَماحة وأَسْمَح وسامَحَ وافَقَني على المطلوب(1).

ويضيف بأنّ والمُسامَحة هي المُساهَلة وتَسامحوا تَساهَلوا وفي الحديث المشهور "**السَّماحُ رَباحٌ** "أَي المُساهلة في الأَشياء تُرْبِحُ صاحبَها وسَمَحَ وتَسَمَّحَ فَعَلَ شيئاً وأَسْمَح أَي سَهَّل له وفي الحديث أَن ابن عباس سئل عن رجل شرب لبناً مَحْضاً أَيَتَوَضَّأُ؟ قال:" **اسْمَحْ يُسْمَحْ لك**"، وقولهم الحنفية السَّمْحة ليس فيها ضيق ولا شدة وما كان سَمْحاً ولقد سَمُحَ بالضم سَماحة وجاد بما لديه، والمُسامحة المُساهَلة(2).

كذلك جاء بمعنى المساهلة والرفق والتساهل في **معجم الصحاح** وفيه **(سمح: السماح والسماحة: الجود وسمح به: أي جاء به، وسمح لي أعطاني، وما كان سمحاً، ولقد سَمُحَ بالضم فهو سَمحْ وقوم سمحاء، كأنه جمع سميح ومساميح كأنه جمع مسماح وامرأة سمحة ونسوة سماح لا غير والمسامحة: المساهلة وتسامحوا: تساهلوا)**(3)، فالأصل في

(1) ابن منظور، المصدر نفسه، (مج7)، مادة سمح، ص249.
(2) نفسه، ص250.
(3) الجوهري، المصدر نفسه، ص ص257-258.

المسامحة والتسامح هو التساهل، والرفق، فهو موصوف التعامل البشري، بين الأفراد من حيث الفعل، فإن كان غليظا لا يوصف بالتسامح، وإن كان ليّناً غير حاد فيوصف، ويدخل في جملة ذلك الكرم، فهو وصف جماعة، إن جادو بالخير فيوصفون بالسمحاء.

وفي **القاموس المحيط** جاء بمعنى الجود والكرم والتساهل[1]، وزاد عليه **لويس معلوف** في **المنجد** العطاء والمغفرة والوسع والملاينة والمساهلة والموافقة والصفح[2]، كما جاء في **المعجم الوسيط** بأنه السخاء والتيسير والانقياد والعفو والجود والكرم والملاينة[3].

وكل المعاني التي وردت في المعاجم كما هو ملاحظ تتقارب معانيها وتتشابه حتى في القرآن العظيم وردت متسلسلة في بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾{سورة التغابن:14}، فالتسامح في اللغة يعني التساهل وخفض الشدة والعصبية وملاينة الطرف الآخر بكل رفق.

ثانيا: المقاربات الفلسفية والفكرية لمصطلح التسامح.

أمَّا مفهوم التسامح **في الاصطلاح** فقد ورد من عدة أوجه متقاربة تدل على وصف للتعامل بين الأفراد والعلاقات بين الجماعات المختلفة، كما يعتبر من أدبيات العلوم السياسية والنظريات الديمقراطية، التي تدل على احترام مبادئ محددة، فيشير المصطلح إلى عدم التعصب للجماعة والاستعداد للتعامل والحكم على جميع الأفراد كأفراد دون تمييز فالتسامح في معناه الاصطلاحي هو كل موقف يقر بحق الآخرين في حرية الاختلاف الفكري والديني وتجاوز كل الاختلافات الفكرية والدينية والاثنية والجنسية

---

(1) أُنظر الفيروز أبادي، المصدر نفسه، ص799.

(2) أنظر، لويس معلوف، المصدر نفسه، ص 349.

(3) أُنظر، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص447.

النوعية المؤسسة على اللون واللغة، فهو نقيض التعصب ويكون ميالا إلى قبول المختلف معه ويفتح مجالات للعيش المشترك[1].

كما نجد **إبراهيم مدكور** قد عرفه في معجمه الفلسفي بأنّه **سعة صدر تفسح للآخرين أن يعبروا عن آراءهم و لو لم تكن موضوع تسليم أو قبول، ولا يحاول صاحبه فرض آرائه الخاصة على الآخرين، التسامح الديني احترام عقائد الآخرين قال تعالى:** ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ۝٦﴾[2]، هنا مدكور قد فسّر التسامح بحرية الرأي والفكر دون إكراه، واحترام عقائد وشرائع الآخرين من غير دينك وكلاهما من دلالات التعايش والتفاهم وقبول الآخر.

أمّا **مراد وهبة** فله رأي آخر حول مفهوم التسامح فيقول: **(التسامح يعني الحق في الاختلاف وفي أنسكلو بيديا بريتانيكا** " التسامح هو السماح بحرية العقل أو الحكم على الآخرين" **وهذا التعريف يكشف عن إحدى السمات الهامة للتسامح وأعني بها الحرية بيد أن الحرية ليست مطلقة وإلاّ فإنها تولد التعصب والحرية منذ فجر البشرية منظمة)**[3]، فالحق في الاختلاف يعني به الاعتراف بالآخر وخلفيته الأيديولوجية دون تعصب، وهو حرية نسبية إلى حد ما، وهذا خلاف التطرف والعنف، وبالتالي يعتبر شكل من أشكال التسامح الفكري والديني.

أمّا **جميل صليبا** فقد أورد عدة أسماء للتسامح بمختلف اللغات العالمية في معجمه الفلسفي حيث يقول: **(التسامح في الفرنسية "tolérance"، في الإنجليزية "toleration" "allowance "، "tolerance" ، في اللاتينية " tolerantia "، تسامح في الشيء : تساهل فيه**

---

[1] اُنظر، هاني الجزار، أزمة الهوية والتعصب، هلا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، (ط1)،2011، ص ص97-98.

[2] إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، (ط1)، 1988، ص44.

[3] وهبة، المرجع نفسه، ص185.

والمسامحة المساهلة)[1]، وهو نفس ما ذهب إليه أصحاب المعاجم اللغوية كما سبق ذكره.

كما يصطلح عليه **جميل صليبا** عدة معان مختلفة تمثل عدة تصورات ووجهات رأي فكرية وهي: **(الأول *هو احتمال المرء بلا اعتراض أو اعتداء على حقوقه الدقيقة بالرغم من قدرته على دفعه، أو هو تغاضي السلطة بموجب العرف والعادة عن مخالفة القوانين التي عهد إليها في تطبيقها)**[2] وهذا التصور يحمل ردة الفعل لمن تعرض للضغط والاعتداء.

(والثانيأن تترك لكل إنسان حرية تعبر عن آرائه وإن كانت مضادة لأرائك)**[3]، ويقصد بذلك سعة الصدر في تحمل آراء الآخرين، و**(الثالث*** هو أن يحترم المرء آراء غيره لاعتقاده أنها محاولة للتعبير عن جانب من جوانب الحقيقة، وهذا يعني أن الحقيقة أغنى من أن تنحل إلى عنصر واحد و أن الوصول إلى معرفة عناصرها المختلفة يوجب الاعتراف لكل إنسان بحقه في إبداء رأيه حتى يؤدي اطلاعنا على مختلف الآراء إلى معرفة الحقيقة الكلية)**[4]، فالتسامح حسبه يعني الاحترام وتحمل الآخر، واحترام حرية الفكر التي تختلف معها مهما كانت.

أمَّا **أندريه لالاند** فيرى أنه: **(استعداد عقلي أو قاعدة مسلكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد حتى وإن كنا لا نشاطره رأيه)**[5] وهذا ما يشير إليه معظم المفكرين، إلا أنهم قد قيدوه بالاحترام في أغلب التعاريف، وإلا فهم لم يتطرقوا، إلى بعض

---

(1) صليبا، المرجع نفسه، ص 271.

* يقصد به التسامح السياسي.

(2) نفسه.

** يقصد به التسامح الفكري.

(3) نفسه.

*** يقصد به التسامح الديني.

(4) نفسه، ص ص 271- 272.

(5) لالاند ، المصدر نفسه، ص1460.

المفاهيم التي تصف ردة الفعل مع المواقف العنيفة، وما يصدر من الإنسان كردة فعل من موقف ما.

وهذا ما تطرق إليه **علماء اللاهوت** في مقارباتهم للمصطلح فهو يعني حسبهم **العفو ومغفرة أخطاء المرء بمخالفة تعاليم الدين المقدسات**[1]، مهما كانت مختلفة عن معتقداتك وأيديولوجيتك، كما يمكن تعريفه بسعة الصدر تفسح للآخرين دون استثناء، أو تحمل للآخرين دون إذاية أو إساءة[2].

كما جاء تعريف التسامح في عند مجمع اللغة العربية بأنه سعة صدر تفسح للآخرين أن يعبروا عن آرائهم ولو لم تكن موضوع تسليم أو قبول ولا يحاول صاحبه فرض أرائه الخاصة على الآخرين[3]، وقد جاء معناه في الموسوعة الفلسفية العربية بأنه سلوك شخص يتحمل دون اعتراض أو هجوم على حقوقه في الوقت الذي يمكنه فيه تجنب هذه الإساءة[4].

فخلاصة المقال هو أن التسامح يعني كل سلوك إنساني أخلاقي مقبول متعلق بتصرفات وردود أفعال الناس في محيطيهم، ومع الآخرين ممن يختلف معهم، فهو موصوف الاحترام والتفاهم والتعايش السلمي دون أذى، وهو يعني نبذ الخصام والتعصب والعنف وكل سلوك عدواني يتناقض مع موصوف التسامح، أو يمكن أن نختصره في جملة واحدة فنقول: **(أن نحيا نحن والأخرون على اختلافاتنا في عالم واحد يضمنا)**[5].

---

(1) صليبا، المرجع نفسه، ص271.

(2) اُنظر، عبد اللطيف الحسين، تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)،1999، ص25.

(3) نفسه

(4) نفسه

(5) هاني الجزار، المرجع نفسه، ص98.

ثالثاً: التسامح عند مفكري الإسلام.

أما التسامح في منظور مفكري الإسلام فتختلف الرؤى حوله ما بين الرافضين لفكرة التسامح خاصة ما تعلق بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وما بين الداعيين إلى تفعيل ذلك والعمل بمقتضى أحكام الإسلام العامة في تأسيس العلاقات، التي تقوم دون عنف أو أذى، مع الناس جميعا، المسلمين وغيرهم ممن جاورهم أو تعامل معهم، أو شاركهم نفس المكان الذي يعيشون فيه.

إنّ منظور مفكري الإسلام لمصطلح التسامح، قد بُني وفق منظورهم لحالة المسلمين الراهنة، فلا يخفى علينا أن التراجع الكبير الذي يشهده العالم الإسلامي اليوم له تبعيات كبيرة في قراءة بعض علماء الأمة الإسلامية لمصطلح التسامح، وتفعيله في الحاضر، ومن بين هؤلاء العالم السوري محمد سعيد رمضان **البوطي**• الذي له تفصيل مختلف لما يرى به باقي العلماء المسلمين.

كذلك نجد نفس الموقف يتبناه الأستاذ فهمي **هويدي** الذي يضع ضوابطا لتحديد مفهوم التسامح، ففي رأيه أن التسامح يكون مقبولا ومفهوما في باب مقارنة تسامح الإسلام مع تعصب خصومه، من باقي الديانات الكتابية والوضعية، ولكن عندما نكون بصدد

• البوطي له تفصيل للمسألة من وجهة نظره، عندما يتحدث عن التسامح فكأنه يعتقد بأن الإقرار بالمسألة من باب الخنوع والخضوع للغرب حيث يقول: **(ولكم بحثت عن كلمة التسامح هذه في أمهات كتب الفقه والتراث الإسلامي في نطاق الحديث عن أحكام الإسلام وشرائعه، فلم أجد من استعملها في هذا المجال قط)**، فالبوطي يرى أن توصية الإسلام للعمل بمقتضى التسامح يكون في القيم والمبادئ والأخلاق، دون الحديث عن أحكام الإسلام على أهل الذمة مثلا كالجزية المفروضة عليهم، ثم يقول أن كلمة التسامح **(درجت على ألسنة طائفة من الكتّاب والباحثين في هذا العصر، يرددونها كلما أرادوا أن يبرزوا المعنى الإنساني في شرائع الإسلام وأحكامه)**، فمصطلح التسامح عنده فيه تفصيل دقيق، منه ما تعلق بالتعامل مع الآخر في مجال التعارف وحسن الجوار، أما ما تعلق بالتعامل المالي مع الآخر (الجزية) فلا مجال فيه للحديث عن التسامح، فيقول حول ذلك: **(غير أن الكلمة لا معنى لها في مجال الحديث عن الأحكام التي تتضمن بيانا لحقوق الإنسان، أي التي ترسم أصول التعايش العادل بينهم)**، اُنظر، البوطي محمد سعيد رمضان، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1993، ص، ص142-146.

عرض علمي، وجاد لموقف المسلمين، فإنه يكون بمثابة تصغير للإسلام، وإقلال من قيمته ونيل من مكانته الحقيقية، كما أن التسامح حسبه لم يعد مقبولا في القاموس المعاصر!!![1].

أما باقي العلماء فيتفقون على تعميم التسامح في التعامل مع الناس جميعا دون تمييز، أو تحديد ذلك بمرحلة دون أخرى، فأبو الأعلى **المودودي** العالم الباكستاني يرى أن معنى التسامح أن نتحمل عقائد غيرنا أعمالهم كونها باطلة في نظرنا، دون أن نطعن فيها بما يؤلمهم رعاية لعواطفهم وأحاسيسهم، ولا نلجأ لوسائل الجبر والإكراه لتصريفهم عن عقائدهم أو منعهم بما يقومون به من أعمال[2].

ولا يرى المودودي أن ذلك من باب الاستحسان في التعامل مع الآخر فحسب، بل هو من الواجب فعل ذلك لإبقاء جو السلام وحسن التفاهم بين عدة جماعات مختلفة العقائد متباينة المبادئ[3]، وهذا هو التسامح الحقيقي المحمود في الإسلام، والذي دعانا إليه شرعنا حيث تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨**﴾{الأنعام:108}[4].

مفهوم التسامح عند المودودي يتفق فيه مه الدكتور **محمد فاروق النبهان**، الذي له تصور يتشابه تماما مع الرؤية السابقة، فيقول عن التسامح أنه يعني التساكن والتعايش في

---

[1] نفسه، ص27.

[2] المودودي أبو الأعلى، الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة، ت: خليل أحمد الحامدي، دار القلم، الكويت، (ط4)، 1980، ص ص39-40.

[3] نفسه، ص40.

[4] نفسه.

إطار رؤية إسلامية تحترم حق الآخر، في الرأي و العقيدة والفكر[1]، وهو نفس ما يرى به الدكتور عبد الله الطريقي، في التعامل مع الآخر في الخطاب ومطلق التصرف[2].

المطلب الثالث: قراءة تاريخية في المصادر الدينية حول نشأة العنف والتسامح.

لتحديد نشأة العنف والتسامح وبداية الجدل بينهما، نرجع إلى تاريخ الخلق بصفة عامة، سواء بالنسبة للبشر أو غيرهم من مخلوقات الله، فنجد ذكر ذلك في الكتب الدينية المقدسة بالنسبة للمسلمين، وبالنسبة لأهل الكتاب.

إنَّ مواجهة العنف مع التسامح لم تنشأ ولم تبدأ مع الإنسان وحسب، وإنما الأمر كان قائما قبل بداية البشر بزمن طويل كما هو مذكور في القرآن الكريم، حتى أن بداية استخلاف الإنسان في الأرض تعجَّب له الملائكة الذين يمثلون أعلى رمزية التسامح والعبادة والطاعة[3]، وهم علموا أن من عاش على الأرض قبل خلق الإنسان قد مثلوا بالأرواح، وكانوا عبارة عن نماذج مصورة للعنف بكل أشكاله، فالإنسان حسبهم لن يختلف عن غيره من المخلوقات التي سبقته.

أولا: جدلية العنف والتسامح قبل خلق الإنسان في المنظور القرآني.

عندما نرجع إلى نصوص القرآن الذي يعتبر المرجع الأساسي للفكر الإسلامي نجد فيه ذكرا لقصة تاريخية تعبر عن نموذجين رئيسيين في الحياة، أحدهما يمثل التسامح والآخر يمثل العنف والتطرف وهو ما ذكر في ثاني سور القرآن الكريم[4].

لا شك أن الملائكة هم مخلوقات نورانية، تعتبر من أقدس المخلوقات وأجلّها في الطاعة والعبادة والاستغفار، ومن خلال وصفهم في القرآن، تدرك أنهم يمثلون أنموذجا

---

(1) عبد اللطيف الحسين، المرجع نفسه، ص25.

(2) نفسه.

(3) أُنظر، سيد قطب، في ظلال القرآن، (مج1)، دار الشروق، القاهرة، مصر، (ط32)، 2003، ص56.

(4) في الآية 30 من سورة البقرة.

للسماحة والمساهلة والرفق، كما ذكرهم الله في عدة آيات من كتابه وفي الحوار الذي دار بين هذه المخلوقات السامية وبين الله، تلمس في هذه القصة جدلا بين التسامح والعنف، فجاء في ذلك:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾{**البقرة:30**}.

فالملائكة كان لديهم من الشواهد والأمثلة والتجارب السابقة على الأرض ما يجعلهم يعرفون ويتوقعون أفعال البشر بعد خلقهم، بأنهم سيرتكبون الفظائع المروعة ويسفكون الدماء الكثيرة ويقتلون الأرواح البريئة ويفسدون في الأرض فسادا عظيما، وفي المقابل فالملائكة لا يتصورون إلا الخير المطلق والسلام الشامل والأمن الدائم دون عنف أو تطرف، فهم رواد التسبيح وأهله ويقدسون لله ويسبحون بحمده[1].

فالقصة وما فيها من جدل ملائكي حول خلق الإنسان، تتضح بما نقله ابن كثير في تفسيره عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : **(أنَّ الجنّ[2] قد أفسدوا في الأرض قبل بني أدم فقالت الملائكة ذلك فقاسوا هؤلاء بهؤلاء)**[3]، فحسب الملائكة أن هؤلاء لن يختلفوا في أعمالهم وأفعالهم عمن سبقوهم.

ثم أجابهم الله بأنه يعلم ما لا يعلمه الملائكة، أي أنَّه أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها، فإنه سيجعل فيهم أنبياء ورسلاً

---

(1) نفسه، ص56.

(2) جاء في تفسير ذلك أن الجن سكنوا الأرض قبل الإنسان و أفسدوا فيها و سفكوا الدماء ، فأرسل الله لهم جند من الملائكة فدمروهم وفرقوهم في الجزائر والجبال، وسكنوا الأرض، اُنظر ناصر الدين أبي الخير الشيرازي البيضاوي، تفسير البيضاوي، (ج1)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (ط1)، 1998، ص 67-68.اُنظر كذلك، تفسير مقاتل بن سليمان، (ج1)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، (ط1)، 2002، ص 96، وأبي السعود، تفسير أبي السعود،(ج1)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص80.

(3) إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، (ج1)، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط2)، 1999، ص218.

وسيكون فيهم صالحون وطيبون وعلماء ودعاة للخير والسلام من ينشر قيَّم التسامح في مواجهة العنف والتطرف والشر بكل أنواعه[1].

كما بيّن الله لهم أنّ من حكمة مشيئته العليا التي يجهلها الملائكة أن سيكون في هؤلاء من يحد من تصرفات العنف التي يرتكبها بعض البشر، فبعد سفك الدماء من بعضهم يظهر آخرون ليحقنوا هذه الدماء، فبعد ذلك الشر سيتجلى الخير الأكبر والأشمل وهو خير النمو الدائم والرقي، فبعض يهدم والآخر يبني[2]، ولعلى هذه هي أسمى صور جدلية العنف والتسامح التي أخبر الله بها الملائكة قبل خلق الإنسان.

كما نلمس كذلك من خلال هذه القصة العظيمة فائدة جليلة، تفهم من خلالها وصف أعمال بني الإنسان على مدى الزمان، فكل فعل تسامحي يحكم عليه بأنه فعل ملائكي يتصف بالرفعة والسمو، وكل فعل عنيف تطرفي يوصف بأنه فعل شيطاني أو من تأثير الشيطان، فالفرق الذي بينه الله للملائكة هو مطلقية الأعمال التسامحية التي تقوم بها الملائكة، في مقابل الإنسان المختار بين فعلين، أو بين نقيضين لا يلتقيان، فهذا الذي يختار يكون أفضل من الأول لأنه يجابه الصعاب من أجل نشر التسامح وتفعيل قيمه في وجه العنف والتطرف[3].

وهذا القول صار معلوم بالضرورة، حتى صار الناس يصفون الفعل التسامحي بأنه ملائكي أو نزل من السماء، أو يوصف الإنسان الذي يبحث عن الكمال والمثالية بأنها دعوة إلى الصعود إلى عالم النور والملائكة[4]، ونقيض ذلك هو السقوط إلى درك

---

(1) نفسه، ص ص216–217.

(2) اُنظر، قطب، (مج1)، المصدر نفسه، ص57.

(3) اُنظر، الناصري محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (ط1)، 1985، ص ص34–35.

(4) اُنظر، عدنان الخطيب، حقوق الإنسان في الإسلام، دار طلاس للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا،(ط1)، 1992، ص22.

الشياطين، والفرق كبير بينهما، وشتّان بين من يتبع طريق العنف وبين من يتبع سبل التسامح.

ثانياً: العنف والتسامح وبدايتهما مع الإنسان من المنظور القرآني.

إن بداية العنف والتسامح والجدل القائم بينهما في حياة الإنسان، بدأت بقصة ابني آدم عليه السلام، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وكذلك في كتب اليهود والنصارى، وقد تجسدت رمزية العنف والتسامح، في شخصيتي الابن الأكبر **قابيل**(قاين) وشقيقه الأصغر **هابيل،** فقابيل هو رمز العنف والعدوان والتطرف، وهابيل هو رمز التسامح والرفق والتساهل، فاستأمن آدم ابنه الأصغر عند الأكبر، فقتله حسدا وبغيا وعدوانا من أجل عرض من أعراض الدنيا[1].

وكان هذا أول قتل في تاريخ البشرية[2]، بين معتدٍ ومسالم، وجاء ذكر القصة كاملة في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿**وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠**﴾{**المائدة: 27-30**}.

وفي هذه القصة تكمنُ فطرة الإنسان وتقدم لنا نموذجين، الأول يمثل طبيعة الشر والعنف والغضب والعدوان الصارخ الذي لا مبرّر له والثاني يمثل السماحة الحقيقية

---

[1] أُنظر، السيوطي جلال الدين، تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور،(ج3)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط1)، 2011، ص، ص54-56.

[2] أُنظر، ظاظا، حسن ومحمد عاشور، شريعة الحرب عند اليهود، دار الاتحاد العربي للطباعة، الاسكندرية، مصر، (ط1)، 1976، ص14.

والخير المطلق والوداعة والطيبة، فوقفا وجه لوجه وكل يتصرف على حسب طبيعته التي تمثله[1].

والملاحظ من خلال حوار ونقاش الشقيقين، يتجلى الفرق الكبير بينهما في تناول مسألة القرابين، وكان هابيل أقوى من قابيل ومع ذلك كان متسامحاً ورفيقاً، فطاوعت نفس قابيل قتل أخيه، فكان هو الخاسر وهابيل هو الفائز[2]، إنّ قصة ابني آدم عليه السلام ورد ذكرها في أحاديث النبي ﷺ، وكان ينصح الصحابة رضوان الله عليهم أن يتصرفوا وفق هابيل وأن يتحلوا بطبيعته المتسامحة[3].

وكان يُنكر تصرف قابيل المتَّسم بالعنف فلذلك أخبر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: **(إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي) قال:" أفرأيت إن دخل علي بيتي فبسط يده إلي ليقتلني "فقال: (كن كابن آدم)**[4]، فلذلك طبقها بعض الصحابة في حياتهم وعند مماتهم كعثمان بن عفان[5].

مات هابيل وجسّد بمماته أعلى صور التسامح في تاريخ البشرية، أما قابيل فكان بمثابة مثال حي للعنف والتطرف، فقابيل هو من بدأ أول عدوان على حقوق الإنسان في تاريخ البشرية وفي فجر التاريخ، فهو أول من انتهج سبيل العنف في زهق روح أخيه هابيل الذي انتهج سبيل التسامح[6].

---

(1) أُنظر، قطب، المصدر نفسه، (مج2)، ص874.

(2) أُنظر، الثعالبي عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، (ج1)، ص457.

(3) والقصص كثيرة في تاريخ الإسلام، التي تؤكد تمسك الكثير من الصحابة رضوان الله عليه بوصية النبي ﷺ وأشهرهم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، والصحابة والتابعين الذين اعتزلوا الفتن والحروب والاقتتال.

(4) أخرجه الترمذي، باب الفتن، برقم: 2194.

(5) أُنظر، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المصدر نفسه، (مج1)، ص86.

(6) أُنظر، أحمد عبده عوض، حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب، ألفا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، (ط1)، 2010، ص 40.

لكل صفة سامية بداية ولها مرجع يضرب به المثل في تفعيلها تحقيقا على أرض الواقع، كذلك لكل صفة دنيئة بداية ولها مرجع يضرب به المثل في تطبيقها، وفي قصة ابني آدم عليه السلام تتجسد أعلى صور التسامح في شخصية هابيل الذي رفض التصرف مثل أخيه المعتد، وأما قابيل فإنه مثل صورة العنف والتسرع في العدوان، وهذه هي بداية العنف والتسامح في تاريخ البشرية.

ثالثاً: قابيل وهابيل في الكتاب المقدس.

تتفق المصادر المسيحية مع المصادر الإسلامية في تصنيف قابيل وهابيل من خلال ما جاء في الكتاب المقدس في عهده القديم، فقايين هو رمز الشّر والعنف والفساد بينما شقيقه هابيل هو رمز التسامح والوفاء والإخلاص[1]، وقد جاء ذكر القصة كاملة في **سفر التكوين**[2]، ومن خلال رواية العهد القديم تتصور تهور قايين الذي اقترف جرماً في حق أخيه فقتله، وهابيل لم يحرك ساكنا ولم يرد عليه بالمثل، فوقعت اللعنة على قايين بسبب الفعل المشين الذي لم يتقبله الرب وكتب عليه الجلاء والنفي في الأرض عقابا على فعلته التي لا تغتفر حسب رواية سفر التكوين.

---

(1) أُنظر، البابا شنودة الثالث، شخصيات الكتاب المقدس، دار العالم العربي للطباعة، القاهرة، مصر، ط2، 1980، ص 41.

(2) فجاء فيها{ ١وَعَرَفَ آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ وَقَالَتِ: " اقْتَنَيْتُ رَجُلاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ ٢ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ .وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيًا لِلْغَنَم، وَكَانَ قَايِينُ عَامِلاً فِي الأَرْض ٣وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّام أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلرَّبِّ، ٤وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضًا مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا .فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ ٥وَلكِنْ إِلَى قَايِينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ فَاغْتَاظَ قَايِينُ جداً وَسَقَطَ وَجْهُهُ .٦فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: " لِمَاذَا اغْتَظْتَ؟ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟ ٧إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلاَ رَفْعٌ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا" ٨وَكَلَّمَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ .وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ ٩فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ : " أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟ " فَقَالَ: " لاَ أَعْلَمُ !أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟ فَقَالَ : " مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَم أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ ١١ فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ .١٢ مَتَى عَمِلْتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ ١٣ فَقَالَ قَايِينُ لِلرَّبِّ : " ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ .١٤ إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الأَرْضِ، فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي " ١٥ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: " لِذلِكَ كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايِينَ فَسَبْعَةَ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ مِنْهُ"} **(تك 4: 1–16)**

فلا يختلف العهد القديم عن القرآن الكريم في وصف وحشية عنف قايين (قابيل) وتسامح هابيل الابن البار الذي أبى أن يقاتل أخاه أو يتصرف مثله، فقاين (قابيل) تصرف من تلقاء نفسه ومعه سطرت أولى مراحل التطرف بدافع الحسد، ومن ثم فتاريخ العنف في الكتاب المقدس يبتدئ بظهور قايين وهابيل[1].

وكما هو معلوم فإن قايين هو أنموذج الشر المعروف من القصة، فإن هابيل هو على النقيض الآخر فهو يمثل أنموذج اللاعنف، حتّى أنّ القس **بول بوشان** شبّه عنف قايين بأعمال الحيوانات التي لا تملك رحمة ولا ضمير حيث قال: (**يمثّل عنف قايين بلغة رمزية، فصورة ما هو عدم بشري مقتبسة – وهذا منطقي – من عالم الحيوانات فقد قال الله لقاين: " إن الخطيئة رابضة عند بابك، وإليك تنقاد أشواقها " إنّ فعل ربض لا يصلح إلا للحيوانات، ولذلك أضاف النص: "فعليك أن تسودها")**[2].

فهناك مقت ورفض لتصرف قايين لأنه لا يمثل الإنسانية ولا يمثل الأخلاق التي يجب على الانسان أن يتمسك بها، وينبغي أن يكون عليها، بينما العكس تماما مع هابيل الذي أمسك يده ولم يرد بالمثل على شقيقه فكانا حقا مثالا للعنف بالنسبة للأول ومثالا للتسامح واللا عنف بالنسبة للثاني، وكذلك هذه القصة تمثل أول حالات جدل العنف والتسامح في تاريخ البشرية في الكتاب المقدس.

فقابيل هو أول قاتل على الأرض في تاريخ البشرية، أما هابيل فهو أول متسامح من البشر وأول بار في تاريخ البشرية[3]، وتسامحه مع أخيه يفتح للناس سبيلا ليتبع في تصحيح الأخطاء والعنف الذي يتخلل النفس البشرية، فهابيل المتصف بقيم التسامح يعتبر

[1] بوشان، بول ودني قاس، العنف في الكتاب المقدس، ت: صبحي حمودي، دار المشرق، بيروت، لبنان، (ط1)، 2005، ص8.

[2] نفسه.

[3] اُنظر، البابا شنودة الثالث، المصدر نفسه، ص41.

أحد أبطال الإيمان والإخلاص في الكتاب المقدس[1]، أما قايين فكان مخبولا محبا لنفسه كما (**كانت أمامه فرصة لتحسين موقفه ولكنه لم يستغلها)**[2]، وسولت له نفسه أن يعتدي على أخيه وأن يحظى بما ليس له، فكانت(**كبرياء الذات عنده أهم من نقاء الذات)**[3].

كما نجد وصفا ساميا لتصرف هابيل في الكتاب المقدس، فتم ذكره مع الأبرار وجاء في ذلك ، (**وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ٢٤ وَإِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ)(عب12: 23-24)** ، فهابيل في منزلة الأبرار، ورفعه التسامح الذي كان عليه واتصف به إلى تلك المنزلة الرفيعة والدرجة العالية.

إن قصة قابيل وهابيل هي عبرة للبشرية جمعاء، فمادام المرء حر مختار لأفعاله وتصرفاته مع المواقف وردود أفعاله، وما ينبغي أن يكون عليه في لحظات حياته، فهناك طريقين لا ثالث لهما، ترتسم صورة هذين الطريقين من خلال هذه القصة الخالدة، وهي ما تجعل من تلك المواقف والأفعال التي يصدرها الإنسان ويتعود عليها، تصنف إما مع النموذج الأول الذي يمثله هابيل الصديق، وإما مع النموذج الثاني الذي يمثله قايين الشرير[4].

حتى أننا نجد وصفا متباينا لأعمال الشقيقين في الكتاب المقدس، فأعمال قايين وصفت بالشر المطلق (عنف)و أعمال هابيل وصفت بالبر المطلق (التسامح)، وجاء ذكر ذلك في **رسالة يوحنا الأولى**{**لَيْسَ كَمَا كَانَ قَايِينُ مِنَ الشِّرِّيرِ وَذَبَحَ أَخَاهُ. وَلِمَاذَا ذَبَحَهُ؟ لأَنَّ أَعْمَالَهُ كَانَتْ شِرِّيرَةً، وَأَعْمَالَ أَخِيهِ بَارَّةٌ**}(يو3: 12).

---

(1) اُنظر، الأنبا بيشوى، هابيل وقايين، بريما جرافيك للطباعة والتوريدات، دمياط، مصر، (ط1)، 2011، ص3.

(2) البابا شنودة الثالث، المصدر نفسه، ص43.

(3) نفسه.

(4) اُنظر، الأنبا بيشوى، المصدر نفسه، ص14.

فأصل الشر والعنف بدأ مع ابن آدم الأول قايين (قابيل) وأصل الخير والتسامح بدأ مع هابيل[1]، وكلاهما اختارا أفعالهما على حسب ما أملته عليهما أنفسهما، فالعنف والتسامح وما يشكلانه من جدلية نفسية فردية واجتماعية مشتركة، لا يورّث ولا يتوارث من الآباء لأبنائهم كما يتوهم البعض بل يُختار ويُتّبع ويخضع له الفرد بإرادته النفسية المسيطرة على كل أعماله وأفعاله، مع غيره من أفراد مجتمعه، وفي محيطه الذي يعيش فيه.

[1] انظر، بابا شنودة الثالث، المصدر نفسه، ص41.

المبحث الثاني: جدل العنف والتسامح في الفكر اليهودي.

لا يمكن الحديث عن موضوعي العنف والتسامح في الفكر الديني ومسألة الجدل القائمة بينهما دون الرجوع إلى تاريخ هذا الفكر، والتعمق في دراسته ونشأته وخصائصه ومصادر تأصيله، بداية باليهودية• ثم المسيحية وصولا إلى الاسلام وهو موضوع بحثنا.

إنّ الفكر الديني اليهودي هو أول وأقدم دين سماوي مرتبط بمصادر وكتب تشرع مختلف المواضيع المتعلقة بمعتنقي اليهودية، في شتى ميادين الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها.

المطلب الأول: مصادر تشريع الفكر اليهودي.

يتأسس الفكر اليهودي على مصادر دينية أساسية وضرورية لكل يهودي على الأرض، فلا تتخذ السبل في الحياة من الأهواء أو مجموع الآراء، أو الاجتهادات البشرية الفكرية، أو القوانين والأعراف الوضعية، أو التقاليد الاجتماعية، فالفكر اليهودي مرتبط ارتباطا وثيقا بالمقدس، ويعطيه الأحبار وعلماء اليهود اهتماما خاصا وبالغا في تسيير شؤون حياة الفرد والجماعات اليهودية.

الفكر الديني اليهودي يستمد مختلف المناهج والأليات والعقائد التي تسيّر شؤون الشعب اليهودي من مصادر معتبرة عندهم، وهي جد ضرورية فلا تكاد تجد مسألة غير

• مصطلح اليهود ظهر أثناء العصر الهيليني للإشارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتميزها عن عبادات جيرانهم، وقد سك هذا المصطلح يوسيفوس فلافيوس ليشير إلى العقيدة التي يتبعها أولئك الذين يعيشون في مقاطعة يهودا(مقابل الهيلينية أي عقيدة أهل hellas، وهكذا بدأ المصطلحان كتسمية للمقيمين في منطقة جغرافية ثم اصبحا يشيران إلى عقيدتهم)، أما الأصل العبري للمصطلح فيعود إلى العصور الوسطى، وقد أصبحت كلمتا يهودية وتوراة كلمتين مترادفتين، ولكن ثمة اختلافات دقيقة بينهما، فمصطلح اليهودية يؤكد الجانب البشري بينما مصطلح التوراة فيؤكد الجانب الإلهي، اُنظر، المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهود والصهيونية، (مج5)، دار الشروق، القاهرة، مصر، (ط1)، 1999، ص15.

مستندة على هذه المصادر الرئيسية، منها التوراة♦، والكتب الملحقة بها والتلمود ويُضاف إليهما البروتوكولات الحديثة التي كانت سببا في قيام دولة اليهود في الشرق الأوسط في عصرنا هذا(1).

أولا: العهد القديم ومحتوياته.

الكتاب المقدس هو أول مناهل الفكر الديني عند اليهود والنصارى، وهو مقسم إلى جزأين رئيسين، العهد القديم وهو الجزء الخاص باليهود والعهد الجديد وهو الجزء الخاص بالنصارى.

يتكون العهد القديم من ثلاثة أقسام وهي: التوراة، الأنبياء، المزامير والأمثال ونشيد الأنشاد(2).

(أ) التوراة•: هي أول أجزاء العهد القديم مقسمة إلى خمسة أقسام وتعرف بالأسفار الخمسة، ويُراد بها عند اليهود الكتاب الذي أُنزل على موسى عليه السلام، وكتبها موسى بيده ويسمونها (البنتاتوك*)، وهذه الأسفار هي التكوين، العدد، الخروج، اللاويين، التثنية(3).

إنّ كتاب التوراة مرتب وفق تصنيفات تاريخية متسلسلة زمنيا، فسفر التكوين يتحدث عن خلق السموات والأرض وخلق آدم وقصص الأنبياء إلى موت يوسف عليه السلام

♦ هي كلمة عبرية معناها الشريعة أو الناموس، وهي الكتاب المنزل على موسى، وتعرف بالعهد القديم عند النصارى، أما عند المسلمين فتعرف بالتوراة وكتاب موسى المكتوب في الألواح، اُنظر، المسيري، المرجع نفسه، (مج5)، ص27.

(1) اُنظر، سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 1997، ص61.

(2) ظاظا وعاشور، المرجع نفسه، ص1.

• تنقسم التوراة إلى قسمين حسب الدكتور عبد الوهاب المسيري ، المكتوبة (توراة شبختاف) والشفوية (توراة شبعل به) وهنا يميز بين نوعين من مفكري اليهود السمعاني الذي يخضع للتوراة الشفوية والقرآني الذي يخضع للتوراة المكتوبة، اُنظر، المسيري، موسوعة اليهود والصهيونية، (مج5)، المرجع نفسه، ص16.

* نسبة إلى الكلمة اليونانية بنتا وتعني خمسة.

(3) أحمد مختار عمر، المكنز الكبير، سطور، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2000، ص306.

يليه سفر الخروج يتحدث عن حياة بني اسرائيل من بعد يوسف عليه السلام ورحلاتهم إلى مصر مع موسى عليه السلام، وفي سفر اللاويين يتضمن شعائر الديانة اليهودية وكيفية تعليمها للناس، وأمّا سفر العدد فيحتوي على توجيهات، ومجموعة حوادث وقعت من بني اسرائيل بعد الخروج وآخر أسفار بني إسرائيل التثنية ويعني تكرير الشريعة وإعادة الأوامر والنواهي عليهم وينتهي بذكر موت موسى عليه السلام ومكان قبره(1).

(ب) كتاب الأنبياء: وهي الكتب التي جاءت على لسان أنبياء بني إسرائيل مثل أشعيا أرميا وعاموس(2).

ج) الكتب(كتوبيم): هي مجموعة معتبرة من الكتب مختلفة المحتوى تتضمن المزامير والأمثال كأمثال سليمان عليه السلام، ونشيد الأنشاد(3).

ثانياً: التلمود قراءة في الأسس والمبادئ.

ومن أهم مصادر التشريع الديني اليهودي، نجد التلمود• الذي جمعه الحاخام **(يوحاناس••)** يأتي في المرتبة الثانية بعد التوراة ويعني مجموع الشروحات والتفاسير وهو

---

(1) الخلف، المرجع نفسه، ص ص61-62.

(2) ظاظا وعاشور، المرجع نفسه،ص1.

(3) نفسه.

• يضم هذا المصطلح نظامين من كتب تجميع مناقشات حاخامات التلمود في فلسطين وبابل في أمور (الهالالخاه) و(الأجداه) ويسمى كل نظام منهما (تلمود)، يضم الأول مناقشات علماء التلمود (الأمورائييم) في فلسطين ويسمى (التلمود الأورشليمي) أما الثاني فيضم مناقشات (الأمورائييم) في بابل ويسمى (التلمود البابلي) ويشير المعنى الأول لكلمة تلمود في لغة الحاخامات إلى التعليم والتأمل العميق في أمور التوراة، وقد اهتم فيه (التنائيم) (بالمشنا)، واهتم الأمورائييم (بالجمارا) (الختام) ثم توحد المصطلح بعد ذلك ليشتمل في نواته على أقوال (المشنا) التي تستكمل أحكام التوراة، أما تتمته فهي مناقشات مستضيفة لتلك الأحكام وهي (الجمارا) وكل من (المشنا والجمارا) يشكلان (التلمود) اُنظر، رشاد الشامي، موسوعة **المصطلحات الدينية اليهودية**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، (ط1)،2002، ص307.

•• قام هذا الحاخام بجمع التعليمات الشفوية والروايات التي يعتبرها اليهود وحي غير مكتوب وذلك في القرن الثاني ميلادي، كما قام يوحاناس بتدوين كل هذه الأقوال في كتاب سماه المشناه أي الشريعة الثانية، ثم قام حاخامات فلسطين بزيادات عليها سميت (المدراش)، اُنظر، إبراهيم الحارتي، الصهيونية من بابل إلى بوش، دار البشير للثقافة والعلوم=

الجامع للمشنا والجمارا معا[1]، بل هو أحد أهم الكتب الدينية وأقدسها عند اليهود، ويُعتبر النتاج الأساسي للشريعة الشفوية، أي تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة) ويضم سجلا لنقاشات الحاخامات حول الشريعة اليهودية، والأخلاق والعادات والأساطير والقصص، التي يعدها التراث اليهودي مؤصلة بالتواتر الشفوي.

كما أنه مصدر أساسي للتشريع والأعراف وللتواريخ الواقعية والمواعظ الأخلاقية[2]، التي ألقاها موسى عليه السلام على شعبه، وأعطيت له حين كان على الجبل ثم تداولها هارون وأليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء، ثم انتقلت عن الأنبياء إلى أعضاء المجمع الأعلى وخلفائهم حتى القرن الثاني بعد المسيح حينما جمعها الحاخام يهوذا ودونها[3]، فلذلك نجد اليهود يهتمون اهتماما بالغا بالتلمود، ويرجعون إليه في كل شؤون الحياة المختلفة.

والتلمود يتألف من مكونين رئيسين (المشناه) وهي أول مجموعة مكتوبة من الشريعة الشفوية للدين اليهودي و (الجمارا) وهي نقاش حول المشناه، والتلمود يتوسع في نصوص التوراة الباكرة عموما وفي المشناه بوجه الخصوص، وهو أساس القواعد التالية للشريعة اليهودية وللكثير من الأدب الحاخامي، وكذلك تجري الاشارة في العادة إلى التلمود بعبارة (شاس)، وهي اختصار حروفي للتسمية العبرية (ششاه سداريم)، وتعني المباحث الستة، واسم التلمود مشتق من الجذر العبري (لامد) الذي يعني درس وتعلم، كما في عبارة (تلمود توراة) أي دراسة الشريعة[4].

=(د.ت)، ص76،أحمد سوس، العرب واليهود في التاريخ، العربي للإعلان والنشر والطباعة، دمشق، سوريا، (ط2)، 1973، ص173.

(1) المسيري، المرجع نفسه، (مج5)، ص130.

(2) أحمد ايبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، دار قتيبة، دمشق، سوريا، (د.ت)، ص14.

(3) أحمد سوس، المرجع نفسه، ص ص173-174.

(4) ايبش، المرجع نفسه، ص25.

إن التلمود اليهودي مُرتب ومصنف حسب محتوياته وفق مباحث عديدة ومقالات مختلفة كما أشرنا سابقا حول المشناه والجمارا، كما أن هناك تمييز واضح وجلي بين هذه المحتويات (الهلخاه) والتي تعني المواد المعيارية المختصة بالتشريع، و(الأجداه)التي تعني المواد غير المعيارية[1].

أما المواضيع والحقول التي يهتم بها حاخامات اليهود في التلمود يمكن تفصيلها في ستة مباحث (سداريم مفردها سدر أي سلك)، وكل واحد من هذه المباحث يتألف من سبعة إلى اثني عشر مقالة، تُدعى مسيختوت، وكل **مسيخت** تنقسم بدورها إلى أجزاء أصغر تُدعى **المشنايوت**، ويلاحظ في التلمود أنه ليس لجميع مقالات المشناه نص جمارا وفوق ذلك فإن ترتيب المقالات في التلمود يختلف في بعض الحالات عنه في المشناه[2].

وسداريم التلمود ومباحثه فهي **سدر زراعيم** يبحث في العبادات والصلوات ثم الزراعة والأعشار، **وسدر موعيد** يهتم بالأعياد عند اليهود وأحكام يوم شبات والتقاليد الخاصة وسدر نشيم يختص بشؤون الأسر والزواج والطلاق والنذور وغيرها، وسدر نزيقين يشتمل على التشريعات الجنائية والدماء والأحكام المدنية، **وسدر قداشيم** يبحث شعائر الصوم والتضحيات، **وسدر طهروت** يختص بأحكام الطهارة الشعائرية والمقدسات عند اليهود[3].

المطلب الثاني: العنف وأشكاله في الفكر الديني اليهودي.

لاشك أن أول فكر ديني• مرّ على تاريخ البشرية هو الفكر اليهودي، فطيلة قرون من الزمن كان يشكل مرجعا للكثير من الناس، وحتى من غير اليهود، ولا يخفى علينا أنّه

---

(1) نفسه، ص28.

2 نفسه، ص29.

3 المسيري، المرجع نفسه، (مج5)، ص، ص130-135، ايبش، المرجع نفسه، ص29.

• ونقصد بذلك الديانات الكتابية التي تستند على نصوص مقدسة وقطعية في نظر علماء هذه الديانات.

فكر لا يخلو من العنف وتبعياته، والتطرف بكل أنواعه وخطاب الكراهية وكل أشكال الممارسات اللاأخلاقية التي مُلئت بها كتب اليهود المقدسة.

أولاً: نشأة العنف في الفكر الديني اليهودي.

العنف والتطرف في الديانة اليهودية يعتبر الأقدم ممارسة على الأرض فيما تعلّق بالعنف الممارس وفق أساليب وأسس دينية خالصة، ومخلفاته جلية وكبيرة جدا، فقد دوّنت تاريخا أسودا بالأعمال الوحشية العنيفة والقاسية، فهذا التاريخ حافل بالمذابح الدموية والإبادات الجماعية للرجال والنساء والأطفال والشيوخ، والحرق الكلي للقرى والأمصار[1].

وهذا لعدة عوامل ودوافع تتحكم في ذلك، منها الاستعلاء العرقي، والتمييز بينهم وبين باقي الأمم، ونظرة الدونية والاستعباد والاحتقار والتمييز العنصري للآخر الذي خلّف الطبقية في الذهنية اليهودية فصار الأمر **(من المعالم البارزة في الديانة اليهودية اعتزازها بعرقيتها وقوميتها، حتى أصبح ذلك واضحا عند الشعوب قديما وحديثا ونجد بعض النصوص في قضية تمييز اليهود عن غيرهم في العديد من المسائل)**[2]

وأصل الأمر يعود إلى النسل والعرق اليهودي حسب رؤية حاخامات اليهود وأحبارهم ويرجع ذلك إلى نسل نوح عليه السلام كما هو مذكور في العهد القديم، في سفر التكوين[3]، فجاء في الإفصاح التاسع القصة كاملة، من الفقرة (21)، إلى الفقرة (26)، مذكور فيها ما حدث مع نوح عليه السلام وأبنائه سام وحام.

---

(1) غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ت: عادل زعيتر، دار طيبة، الجيزة، مصر،(ط1)، 2008، ص9.

(2) الشنيبر خالد محمد، حقوق الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام مقارنة بالقانون الدولي، مركز البحوث والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية، (مجلة البيان)، (ط1)، 2014، ص155.

(3) وجاءت القصة كما يلي: (وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا 21 وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّ بدَاخِلِ خِبَائِهِ22فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا 23 فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ

فكانت نقطة الانطلاق في تحديد الأعراق من هذه الفقرات المذكورة في العهد القديم، وبدأ التباين في تحديد الهويات وفق النسل والأصل، فالنص يظهر تنبؤا مسبوقا في احتقار نسل كنعان، الذي خرج من نسله شعوب كثيرة، خاصة في إفريقيا، كما أنه سيكون شعبا مُستعبدا، لا قيمة له عند الله، ويكون هذا نبوءة في معاقبة الشعب الكنعاني في فلسطين والذي سيكون مقاوما لشعب الله، فالعهد القديم يقرر تمييزا عنصريا بين شعب الله خاصة (نسل سام) وبين نسل حام الذي لعنه الله[1].

فالتمييز العنصري الذي شكّل مجمل خطابات الكراهية وكل أنواع العنف والتطرف يرجع إلى هذا الأصل الذي يقسم البشرية إلى صنفين لا ثالث لهما، صنف مبارك جدا ومثالي، وصنف ملعون يجوز ممارسة مختلف أساليب العنف وأشكال التعذيب عليه، **وهذه النظرية العرقية أصبحت محل قبول• حتى عند المسيحين وهنا نعرف جوابا لإشكال قديم حديث وهو سر كون الرقيق كما يعبر بعضهم يباعون عبيدا عهودا طويلة[2].**

والعهد القديم هنا يقرر تمييزا عنصريا بين أبناء سام وهم اليهود والنصارى وبين أبناء حام الذين يشكلون إفريقيا والجزيرة العربية وبعض المناطق[3].

عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ ،وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا 24 فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ 25 فقال: " مَلْعُونٌ كَنْعَانُ ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ 26 وقال: " مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ 27لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ ،وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ) { تك9 :21-26 }.

[1] نفسه، ص ص156-157.

• وقد وردت في ذلك أحاديث تنسب للنبي ﷺ تبيّن مدى التفاضل الموجود بين أبناء نوح وذريتهم كالحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (وُلد لنوح سام وحام ويافث، فولد لسام العرب وفارس والروم والخير فيهم، وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم و ولد لِحام القبط والبربر والسودان) إلا أنّ هذه الأحاديث كلها ضعيفة لا تثبت وهذا الحديث مثلا ضعيف الرواية، وقد ضعّفه غير واحد من العلماء والمحدثين أُنظر، اسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، (مج1)، دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، (ط3)، 2013، ص165.

[2] الشنيير، المرجع نفسه، ص157.

[3] نفسه.

بل إنّ أصل ومنبع العنصرية والحقد ومختلف خطابات الكراهية التي انبعثت منها الصهيونية الحديثة، هو الفكر الديني اليهودي بمعنى التطلعات السياسية الدينية التي تهدف إلى إنشاء وطن قومي لليهود، فلقد أعاد اليهود كتابة التوراة الجديدة التي تهدف إلى تنزيه بني إسرائيل من العيوب والشوائب اللاأخلاقية، حتى أنهم جعلوا وجهة اليهود في الإنسانية كلها قائمة على أساس العنصرية بحيث تأخذ موقف العداء لكل من اختلف مع اليهود.

ونجد أن بدايات العنف الفكري في شريعة اليهود كذلك مؤصل من وعد يهوه• لإبراهيم بتفضيل الشعب اليهودي على جميع الأجناس[1]، وفي هذا الصدد يقول **مارتن لوثر** عن اليهود: **(وانّ سير اليهود في الضلال مع غضب الله عليهم يبين لنا أن القوم لديهم كلمة الله المقدسة وهم يخالفونها ويجعلونها ظاهريا، ويتغنون بتمجيد أنفسهم تمجيدا باطلا في مدارسهم ويشكرون الله إذ حسب دعواهم قد برأهم وطهرهم، واختصهم برعايته، مع علمهم بأنهم لا يطيعون شيئا من أوامره ولا ينتهون بنواهيه)**[2].

فاليهود يُرجعون جميع تصرفاتهم إلى أوامر الله، فما الاستعلاء والتسلط، وما نظرتهم الدونية للأغيار والأمميين إلا تطبيقا للوصايا الدينية المقدسة، ثم يضيف لوثر قائلا: **(واعلم أن مدارسهم في كل مكان ما هي إلا عش إبليس حيث يكثرون التبجح والادعاء واجترار العجب والخيلاء وحبك حبال الكذب والتجديف على الله والخداع على خلقه ... ومن شدة ما عانوا من سخط الله وغضبه انتهى بهم الأمر إلى الكذب على الله وادعاء أنه أمرهم بلعن الشعوب البشرية بغير استثناء)**[3].

• يهوه هو الله في كتب اليهود المقدسة.

(1) اُنظر، أنور الجندي، المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، (ط1)، 1977، ص ص19-20.

(2) مارتن لوثر، اليهود وأكاذيبهم، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، (ط1)، 2007، ص81.

(3) نفسه، ص 86.

فالفكر اليهودي يستمد كل هذا الاستعلاء من تأويل الأحبار الخاطئ، والمتحيز عن حقائق الأديان السماوية، لأنهم وبكل بساطة لا يملكون سند من التوراة يدعم دعواهم الباطلة في تحديد النسل وتفضيل الخلق بعضهم فوق بعض، إلا ما يستخرجونه منها بالتأويل على طريقتهم ومجاراة خيالهم[1]، وعنصريتهم المتوحشة التي تفوق مستوى طباع التفكير البشري.

إنَّ خطاب الكراهية الذي مزال يُمارس في العالم اليوم والذي كان ولا يزال له التأثير الكبير على الإنسانية و يهدد الأجيال، ويهدم الأخلاق والقيم، هو عبارة عن امتداد للفكر الديني في كل زمان ومكان، والحاصل أن الباحث عن مرجعية هذا الخطاب يجد النشأة والبداية مع اليهود، فعلى سبيل المثال نجد مصطلحات **(الأغيار)** • و**(الجوييم)** و**(العكوم)** و**(عوبدي كوخافيم)** و**(مازالوت)** و**(الأمميون)** و**(الشيكسا)** و**(الشيكنس)**[2] و**(الزنوم)** تُطلق على جميع بني البشر دون اليهود.

فنجد ذوي النزعة الحلولية المتطرفة كما يذكرها الدكتور **عبد الوهاب المسيري** تُفرق العالم إلى قسمين اليهود وهم الأتقياء وهم شعب الله الذي يتمتع بالقداسة، والأخرى خارجة عن دائرة القداسة، ما يُعطيهم الحق في تسيّد العالم وممارسة مختلف طقوس العنف والتطرف، وبعث الكراهية والحقد والبغضاء التي تقضي على المشترك الإنساني كما ورد في سفر إشَعياء••.

---

(1) نفسه، ص92.

•هي شرح لمصطلح الجوييم وتعني قوم أو شعب أو أُمة ثم صارت تُطلق للذم والاحتقار والدونية والقصد من الكلمة هي باقي الأمم من غير اليهود، اُنظر، المسيري موسوعة اليهود والصهيونية، (مج5)، ص240.

(2) نفسه، ص، ص 340-345.

•• (٤وَيَبْنُونَ الْخِرَبَ الْقَدِيمَةَ يُقِيمُونَ الْمُوحِشَاتِ الأُوَلَ، وَيُجَدِّدُونَ الْمُدُنَ الْخَرِبَةَ، مُوحِشَاتِ دَوْرٍ فَدَوْرٍ ٥وَيَقِفُ الأَجَانِبُ وَيَرْعَوْنَ غَنَمَكُمْ، وَيَكُونُ بَنُو الْغَرِيبِ حَرَّاثِيكُمْ وَكَرَّامِيكُمْ٦ أَمَّا أَنْتُمْ فَتُدْعَوْنَ كَهَنَةَ الرَّبِّ ، تُسَمَّوْنَ خُدَّامَ إِلهِنَا تَأْكُلُونَ ثَرْوَةَ الأُمَمِ ، وَعَلَى مَجْدِهِمْ تَتَأَمَّرُونَ٧ عِوَضًا عَنْ خِزْيِكُمْ ضِعْفَانِ، وَعِوَضًا عَنِ الْخَجَلِ يَبْتَهِجُونَ بِنَصِيبِهِمْ لِذلِكَ يَرِثُونَ فِي أَرْضِهِمْ ضِعْفَيْنِ بَهْجَةٌ أَبَدِيَّةٌ تَكُونُ لَهُمْ٨ لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُحِبُّ

هنا تبدو المفارقة بين اليهود والأغيار كمنزلة السيد والعبد المملوك، بل أكثر من ذلك لأنها بعيدة جدا عن أخلاق بني البشر فحتى في الطهارة نجد الشريعة اليهودية قد اهتمت بها كثيرا ففي نظرهم هي **محاولة دائمة للفصل بين اليهود المقدسين والأغيار المدنسين**[1].

كما يتجلى كذلك خطاب الكراهية في المعاملات اليهودية مع غيرهم في مختلف الأوصاف المتطرفة التي تُطلق عليهم فــالأمم غير اليهودية عندهم بهائم وأنجاس وكفرة وهم يعتقدون أن الله منحهم الصورة البشرية على سبيل الاستحقاق الذاتي لها، والتكريم لهم، أما **الجوييم** فقد خلقوا من طينة أُخرى حيوانية، ونفوسهم نجسة شيطانية وأنّ الله خلقهم ليخدموا اليهود، ومنحهم الصورة البشرية لا على سبيل الاستحقاق الذاتي، ولكن ليأنس بذلك أسيادهم ويسهل عليهم تسخيرهم إذ بغير هذا التشابه الصوري لا يسهل التفاهم بين السادة المختارين والعبيد المحقرين[2].

ويظهر تقسيم العالم البشري على حسب نظرة اليهود إلى صنفين من البشر المختارين والأطهار المتميزين والعبيد المحقرين ويُعتبرون أشرار وحيوانات لأنهم من أتباع ديانات أخرى[3]، فاليهود يرون أنهم **أطهار بحكم عنصرهم المستمد من الله•، أما غير اليهود فهم حيوانات وأنجاس في أصل عنصرهم، بشر في صورتهم**[4].

الْعَدْلِ، مُبْغِضُ الْمُخْتَلِسِ بِالظُّلْمِ وَأَجْعَلُ أُجْرَتَهُمْ أَمِينَةً وَأَقْطَعُ لَهُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا وَيُعْرَفُ بَيْنَ الأُمَمِ نَسْلُهُمْ وَذُرِّيَّتُهُمْ فِي وَسَطِ الشُّعُوبِ كُلُّ الَّذِينَ يَرَوْنَهُمْ يَعْرِفُونَهُمْ أَنَّهُمْ نَسْلٌ بَارَكَهُ الرَّبُّ} {إش61: 4-9 }.

(1) نفسه، ص343.

(2) الميداني عبد الرحمن حسن، مكايد اليهود عبر التاريخ، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1978، ص12.

(3) العجماوي صالح، جوهر الإيمان في صحيح الأديان، مكتبة القاهرة، مصر، القاهرة، مصر، (ط1)، 1988، ص37.

•ولا فرق بينها وبين الديانات الشرقية القديمة التي تقسم المجتمع إلى أقسام، وفصائل مختلفة في بنيتها، فهي حسبهم تنقسم إلى طبقات خلق بعضها من رأس الألهة فهي طبقة مقدسة لا يرقى أحد إليها وخلق بعضها من قدميه فهي منبوذة ومحتقرة، أُنظر، الواعي توفيق يوسف، الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، (ط1)، 1988، ص540.

(4) الميداني، المرجع نفسه، ص 12.

واستنباطا لما سبق فإننا نخلص أن خطاب الكراهية وممارسة الاستعلاء في الفكر الديني اليهودي مُشرع حسب نصوص التوراة والتلمود، ودعوة الأحبار والحاخامات دليل على ذلك.

ثانياً: العنف وأشكاله في التوراة اليهودية.

كما ذكرنا سابقا حول أهمية الكتب المقدسة التوراة والتلمود عند اليهود يبلغ أهمية بالغة في المجتمع اليهودي، فهما يمثلان المرجعية الدينية دائماً، فنجد تعاليم التوراة ونصوص التلمود مقدسة جدا لا يقبل اليهود مناقشة محتواها، وفي الغالب هي التي تُعطيهم تبريرا لسلوكهم وأفعالهم مع الآخر غير اليهودي.

لقد ارتبط تاريخ اليهود ارتباطا كبيرا بالعنف والتطرف والغلو وسفك الدماء وإهلاك الحرث والنسل، فتاريخ اليهود هو تاريخ المذابح الدموية وقصص التقتيل التي صدرت منهم، فهذا التاريخ لم يكن إلا قصة كبيرة لضروب المنكرات فمن حديث الأسارى الذين كانوا ينشرون بالمنشار أحياء إلى قصص الذين كانوا يشوون بالنار في الأفران، إلى الملكات اللائي كن يطرحن لتأكلهن الكلاب إلى سكان، المدن الذين كانوا يذبحون من غير تفريق من غير تفريق بين الرجال والنساء، والشيب والولدان، بالإضافة إلى التحريق والنهب[1].

ولقد لعب المقدس دورا كبيرا في ممارسة ذلك فتجد في ذلك تحريض واضح وصريح لارتكاب الموبقات والفظائع المهلكة في نصوص الكتب اليهودية الدينية، ففيها مطلق التنظير المتطرف، كما ينقل ذلك المؤرخ الفرنسي **غوستاف لوبون** حيث يقول: **(اقرأ التوراة تجد فيها جميع أنواع الوحشية والبدائية وفي سفر يوشع يُقال لهم " أهلكوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ وحتى الغنم والحمير بحد السيف**

[1] لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، المصدر نفسه، ص9.

وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار")[1]، وهذا الخطاب الديني المقدس يفتح بابا لجميع أنواع العنف المُدان الذي لا يمكن لأي عاقل أن يجد له تبرير، فهب أن الرجال تقوى على حمل السلاح فما بال النساء والأطفال والعجزة والحيوانات؟.

وجاء في العهد القديم الكثير من الدعاوى التي تبرر القتل والإسراف فيه والدمار والحرب والحرق والسبي وسفك دماء الكل دون استثناء ولا حسيب، فتجعلنا ندرك أن التوراة هو كتاب تقتيل وإبادة بلا ريب، من ذلك ما جاء عن تدمير مدينة(عَايَّ) كما هو مذكور في سفر يشوع في الإفصاح الثامن[2].

فعَايَ كأنموذج مناسب في هذا المبحث يتضح من خلاله القسوة والعنف التي ذُكرت في العهد القديم، فأشكال العنف التي تلقاها أهالي عَايَ تجعل من الكتاب المقدس عند اليهود هو كتاب عنف وحرب بامتياز، يمارس عن طريقه اليهود العنف والتطرف والإبادة الجماعية لكل الكائنات الحية دون استثناء، **(ومن أغرب ما يلاحظه المتتبع لمدونات**

---

[1] نفسه، ص19.

[2] فنذكر من ذلك ما فعله يوشع بن نون في عَايَ في نص التوراة : (١٨فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ مُدَّ الْمِزْرَاقَ الَّذِي بِيَدِكَ نَحْوَ عَايٍ لأَنِّي بِيَدِكَ أَدْفَعُهَا فَمَدَّ يَشُوعُ الْمِزْرَاقَ الَّذِي بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ .١٩فَقَامَ الْكَمِينُ بِسُرْعَةٍ مِنْ مَكَانِهِ وَرَكَضُوا عِنْدَمَا مَدَّ يَدَهُ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ وَأَخَذُوهَا، وَأَسْرَعُوا وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ٢٠فَالْتَفَتَ رِجَالُ عَايٍ إِلَى وَرَائِهِمْ وَنَظَرُوا وَإِذَا دُخَانُ الْمَدِينَةِ قَدْ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ .فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَكَانٌ لِلْهَرَبِ هُنَا أَوْ هُنَاكَ .وَالشَّعْبُ الْهَارِبُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ انْقَلَبَ عَلَى الطَّارِدِ . ٢١وَلَمَّا رَأَى يَشُوعُ وَجَمِيعُ إِسْرَائِيلَ أَنَّ الْكَمِينَ قَدْ أَخَذَ الْمَدِينَةَ ،وَأَنَّ دُخَانَ الْمَدِينَةِ قَدْ صَعِدَ ،انْثَنَوْا وَضَرَبُوا رِجَالَ عَايٍ٢٢وَهؤُلاَءِ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ لِلِقَائِهِمْ، فَكَانُوا فِي وَسَطِ إِسْرَائِيلَ، هؤُلاَءِ مِنْ هُنَا وَأُولئِكَ مِنْ هُنَاكَ.وَضَرَبُوهُمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ شَارِدٌ وَلاَ مُنْفَلِتٌ ٢٣وَأَمَّا مَلِكُ عَايٍ فَأَمْسَكُوهُ حَي وَتَقَدَّمُوا بِهِ إِلَى يَشُوعَ .٢٤وَكَانَ لَمَّا انْتَهَى إِسْرَائِيلُ مِنْ قَتْلِ جَمِيعِ سُكَّانِ عَايٍ فِي الْحَقْلِ فِي الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ لَحِقُوهُمْ وَسَقَطُوا جَمِيعًا بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى فَنُوا ،أَنّ جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ رَجَعَ إِلَى عَايٍ وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ .٢٥فَكَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ سَقَطُوا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مِنْ رِجَال وَنِسَاءِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا ، جَمِيعُ أَهْلِ عَايٍ ٢٦وَيَشُوعُ لَمْ يَرُدَّ يَدَهُ الَّتِي مَدَّهَا بِالْمِزْرَاقِ حتَّى حَرَّمَ جَمِيعَ سُكَّانِ عَايٍ ٢٧لكِنِ الْبَهَائِمُ وَغَنِيمَةُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ نَهَبَهَا إِسْرَائِيلُ لأَنْفُسِهِمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ يَشُوعَ ٢٨وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلا أَبَدِيا خَرَابًا إِلَى هذَا الْيَوْمِ) (يش8: 18-28)

التوراة الأمر بقتل الأطفال والنساء والشيوخ وحتى البهائم في التعاليم الخاصة بحرب الموسويين مع أهل فلسطين)[1]، حتى يعلم القارئ أن الفكر اليهودي الديني لا يستثنى منطقة دون أخرى أو يعامل أقوام بمعاملة مختلفة عن آخرين ، فالدمار هو الصورة الغالبة في معاملة اليهود مع الأغيار، ومن جملة هذه الوصايا ما يلي :

1- **" احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيرا فخا في وسطك "**
2- **" وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريما الحثيين و الأمويين والكنعانيين والفرزيين والحوريين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك "**
3- **" اقتلوا كل ذكر من الأطفال و كل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر ابقوهن لكم حيّات "** [2]

لذلك نجد في التاريخ المعاصر الكثير من الدموية والدمار في الاجتياحات اليهودية لمختلف المدن والأمصار مثلما حدث في فلسطين وأريحا وعكا وغيرها، وفي هذا العصر دمويتهم يشيب لها الولدان، من قتل الأسرى مثلما حدث مع الضباط المصريين ما بين 1948 و1956، وأكثر من أربعين مجزرة على الفلسطينيين في نفس الفترة، وفي 1970 قتل اليهود أكثر من أربعين طفل في قصف لمدرسة بحر البقر في الشرقية، وصبرا وشاتيلا 1982 حصدت أرواح ما يزيد عن 3000 شخص من النساء والأطفال والشيوخ، وفي 1994 قام مستوطن يهودي بقتل 29 شخص في المسجد، وفي 1996 قام اليهود بمجزرة عناقيد الغضب بلبنان راح ضحيته أكثر من مئة شخص من النساء والأطفال[3].

---

(1) سوس، المرجع نفسه، ص 165.

(2) نفسه.

(3) أُنظر صفوت الشوّاد، اليهود نشأةً وتاريخاً، دار التقوى للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص ص84-85.

ثالثاً: العنف وأشكاله في التلمود اليهودي.

التلمود اليهودي هو ثاني مصدر مقدس بعد التوراة، حتى أن هناك الكثير من حاخامات **الحريديم** يعده أفضل من التوراة نفسها نظرا لمحتواه الواسع والتبسيط الكبير الذي يشرح فيه كتابه فقرات التوراة•، فلذلك كان الاهتمام به وبتعاليمه من أهم ضروريات اليهود للحفاظ على النسق الكلاسيكي للشريعة اليهودية .

إنّ التطرف والعصبية التي تحدثنا عنها سابقا تتجلى كذلك في التلمود(**المشنا والجمارا**)، وسنذكر منها على سبيل الاستدلال لا الحصر حول ما يتعلق بالقسوة والغلو ومختلف أنماط العنف، فالعنصرية التي يحتويها تفوق حدود العقل، فأرواح اليهود حسبه جزء من الله كالابن من أبيه بل أفضل من الملائكة، واليهود هم شعب الله المختار دون سواه وباقي الشعوب (الأميين) حيوانات يجوز التسلط عليهم، بلا رحمة ولا شفقة[1].

فمثلا عقوبة من يضرب يهودي هي القتل كما في النص **(إذا ضرب وثني يهوديا توجب قتل الوثني) (سنهدرين 58)**[2] ، فالأممي دون اليهود في الحقوق وحتى في المظالم والقصاص، وبذلك تضيع العدالة لمن غير اليهود، ويفتح نص التلمود الباب لأخذ مال الأممي بغير حق فـــــ**(عندما يقتل اليهودي كوثيا لا تتوجب عليه عقوبة الموت و ألأما ما يحتجنه اليهودي من الجوي الأممي فيمكن له الاحتفاظ به لنفسه " (سنهدرين 57)**[3].

• يقول الدكتور أحمد شلبي: "ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتابا منزلا، و يضعونه في منزلة التوراة، و يرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة ولكنه أرسل على يده التلمود شفاها، ولا يقنع بعض اليهود بهذه المكانة للتلمود، بل يضعون هذه الروايات الشفوية في منزلة أسمى من التوراة " اُنظر، أحمد شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (ط8)، 1988، ص266.

(1) اُنظر، الحارتي، المرجع نفسه، ص76.

(2) أحمد ايبش، المرجع نفسه، ص395.

(3) نفسه.

وهذا تحريض صريح على القتل وسفك الدماء بغير حق لغير اليهود، فمنزلة الأغيار والجوييم عند اليهود دون منزلة الكلاب والحيوانات و**(لليهودي في الأعياد أن يُطعم الكلب وليس أن يُطعم غير اليهودي)**(1)، وأموال وممتلكات غير اليهود متاحة للنهب والاستيلاء من طرف اليهود لأن الأمميين **(يقعون خارج نطاق الشريعة، ومالهم يتيحه الله حلالا لبني إسرائيل)(بابا قاما 37)**(2).

كما تُقرُّ نصوص التلمود أن أبناء الأممين وبناتهم بهائم ومدنسات ففي النص ما يلي **(أبناء الأمميين (الجوييم) جميعا بهائم " (يياموت98)** و" **فتيات الأمميين نجسات (نداه) منذ مولدهن"(عبوداه زاراه 36)**(3)، فلم تسلم من كراهيتهم الأمم جميعا فحتى الأطفال الذين لا يعقلون كان لهم نصيبا من البغضاء والحقد والقسوة، وهذا يفسر أشكال العنف والقتل الذي كان ومازال يُمارس على أرض الواقع من عهد **هيرودس الأول**• إلى يومنا.

حتى أنك تجد في التلمود التي تشير إلى تعمد إذاية البشر بالحرق والتعذيب دون حسيب أو رادع كما جاء في التلمود **(علمنا حاخاماتنا : من يسكب الزيت على المواشي أو الأوعية فهو ليس مذنب، أو على الأمميين(الجوييم) أو الموتى فهو ليس مذنب)**(4)، كما أن هناك دعوة للتصدي لتأليفات ومصنفات الأمم بحرقها وإتلافها، ويعتبرون ذلك

---

(1) أحمد شلبي، المرجع نفسه، ص268.

(2) ايبش، المرجع نفسه، ص395.

(3) نفسه.

•هوردس أو هيرُودس ابن انتيباتر الإدومي 73 ق.م، كان حاكما على الجليل ثم صار ملكا في منطقة الشرق الأوسط من الجولان إلى البحر الميت، قتل الأنبياء يحي ثم زكريا، وارتكب مجازراً فضيعة في بيت لحم بعد اخباره من طرف مجوس بأنه سيولد طفل (يسوع) ويأخذ منه الملك فأمر بقتل جميع أطفال بيت لحم ما دون السنتين كما هو مذكور في إنجيل متى(2:1-23).

(4) نفسه.

واجبا وإلزاميا (**من واجب اليهود إتلاف كتب الكفرة و الوثنيين**)(شبّات116)[1] ، وحتى البهائم الخاصة باليهود يعتبرونها أسمى من بهائم غيرهم في الجراح و المطاعن وغيرها.

تأسس الفكر الديني اليهودي على هذين المصدرين الرئيسين قلب كل موازين الأخلاق التي يدعو إليها الدين، وانجّرت وراء ذلك العنف شعوب اليهود جميعاً كبيرهم وصغيرهم، فلم يسلم من تطرفهم حتى الأنبياء والمرسلين، فقد قتلوا **حزقيال** لما انكر عليه الغلو والتطرف، وأكثر من ذلك فعلوه مع **إشعياء بن أموص** نشروه على جذع شجرة **وارميا** قتلوه رجما بالحجارة، **ويحي بن زكريا** قطعوا رأسه، وأبوه **زكريا** نُشر هو الآخر على شجرة، فهم هكذا لا يتورعون عن ارتكاب المجازر والفظائع ما استطاعوا التنفيذ[2] لذلك يقول **مارتن لوثر**: (**ومن المؤكد أن الشمس لم تُشرق في هذا الكون على شعب أشد عطشا إلى الدماء وأكثر نزوعا إلى الحقد من اليهود**)[3].

المطلب الثالث: التسامح في الفكر الديني اليهودي.

ما دامت الشريعة اليهودية تنتسب إلى كتاب مقدس منزل على **موسى بن عمران** عليه السلام فإنها لا تخلوا من دعاوى التسامح والعفو والإحسان ومختلف دلالات اللا عنف حتى أننا نجد نبينا الكريم ﷺ يقول في الحديث الصحيح: ﴿**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**﴾.

فكل ما سبق النبي ﷺ يُعتبر ذو قيمة خُلقية يساعد البشر في تأصيل مفاهيم **الأنسنة والانفتاح والاعتراف والتقارب الحضاري**، ونبذ العنف بكل أشكاله والتطرف والقطيعة التي أدخلت العالم في دوامة من **الصراعات الأيديولوجية الجوفاء**، **والضغائن**

(1) نفسه، ص396.

(2) اُنظر، الميداني، المرجع نفسه، ص ص29-30.

(3) مارتن لوثر، اليهود وأكاذيبهم، المصدر نفسه، ص78.

العقدية، والانغلاق الفكري، ومن بين هذه الدعاوى والنصوص والشرائع نجد شريعة بني إسرائيل التي تعبر عن الفكر الديني اليهودي.

أولاً: التسامح وصوره في التوراة.

لقد حثت نصوص التوراة على الكثير من المواعظ والتنبيهات التي ينبغي على اليهود اتباعها والعمل بمقتضاها، شأنها شأن أي كتاب مقدس، فالمتصفح في شريعة اليهود يجد نفسه أمام نصائح وتوصيات تُلزم متبعها بانتهاج مجموع القواعد المعلومة بالضرورة والأساسية، والتي تحث على احترام الآخر والإحسان إليه وعدم إذايته أو الإساءة إليه أو نبزه بأقبح الأوصاف أو ممارسة خطاب الكراهية ضده.

سواء كان يهوديا أو غيره وهي ما تعرف بالوصايا العشر المذكورة في سفر الخروج•، فيتضح من خلال هذه النصوص التوراتية التسامح الحق الذي ينبغي أن يكون عليه البشر خاصة اليهود، فهذه دعوة صريحة لاجتناب العنف والقتل والظلم والاعتداءات و التطاول على الآخرين والتخريب والتطرف وغيرها من الأعمال المؤدية إلى تأجيج الصراع وإحداث الفوضى.

وأسفار الشريعة الخمسة (التوراة) تبتدئ وتختتم بإحسان كما هو مكتوب (وصنع الرب لأدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما **(تك3:21)**، وكذلك ودفنه (أي الله) (تث34:6)، وإنّ تأدية معروف أو فضل تجاه إنسان تتبدى في الإحسان إليه دون أي توخ أو رغبة بالحصول على مقابل، ويمكن تأديته في حالتين: التكرم بفضل على شخص ليس له علينا فضل سابق، أو تأدية خدمة أو فضل لشخص رغم كون ذلك يترتب عليه

• منها: (12 أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ 13 لاَ تَقْتُلْ 14 لاَتَزْنِ. 15 لاَ تَسْرِقْ. 16 لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ 17 لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَ لاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ ، وَلاَ ثَوْرَهُ ، وَ لاَ حِمَارَهُ ،وَ لاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ){خر20: 12–17}.

استجرار قدر من المشقة علينا و من الكسب له أكثر مما يستحق، والرحمة المذكورة في أسفار التوراة هي ما يقدم دون مقابل[1].

فلاحظ هنا في هذا الباب نجد اهتمام التوراة بالإحسان المطلق دون مقابل لأنه واجب في ذاته الشبيه بمبدأ الفيلسوف الألماني **إيمانويل كانط** وهذا يدل على سماحة دعوة التوراة لنبذ العنف والتطرف ضد الآخر.

وهناك الكثير من النصوص الدينية التوراتية الصريحة التي **تحث على عدم العدوان وكذا عدم المواجهة بقسوة**[2]، إذا فالأمر ليس كما هو مفهوم من طرف بعض الفرق اليهودية المتعصبة والمنغلقة التي أعطت دافعا قويا لليهود من أجل استعمال القوة والعنف بحسب تفسيراتهم لنصوص التوراة والعهد القديم على حسب أهوائهم، وزيغهم شاهد على ذلك، **فكثيرا ما يرد الحديث عن عدم العدوان والدعوة إلى اللين والمسامحة**[3].

فالتسامح والعفو هو ما أراده أنبياء بني إسرائيل، خاصة الذين عاصروا فرعون مصر الذي كان يسومهم سوء العذاب كما تشير إليه التوراة والإنجيل والكثير من السور القرآنية ، واتبع ذلك أنبياء بني إسرائيل بعد موسى وهارون، فلذلك يؤكد داود على الابتعاد عن الشر والاعتداء على الآخرين حيث يقول: **(13 يا من يحرص على الحياة ويحب كثرة الأيام ليرى خيرا 14 صن لسانك عن الشر و شفتيك عن النطق بالغش 15 تجنب الشر و اعمل الخير و التمس واسع وراءه)(مز:34)**[4].

---

[1] ايبش، المرجع نفسه، ص262.

[2] الشنيير، المرجع نفسه، ص99.

[3] نفسه.

[4] نفسه.

فنبي الله داود عليه السلام يُدرك حقيقة السلام الذي ينفس عن البشرية جمعاء، ليس اليهود فقط بل كل الناس تسعى لتحقيق ذلك، ومن أجل السلام نزلت الكتب المقدسة وانتشرت دعوة الأنبياء في كل الأمصار والبلدان.

وأما النبي سليمان بن داود فيحرص كل الحرص في تبليغ دعوة السلام ونشر قيم الفضيلة والتسامح والعفو والابتعاد عن الشر وتحقيق الخير، وفي أمثال سليمان: وأيضا(**16 هناك ستة يبغضها الرب، بل سبعة تمقتها نفسه... 18 وقلب يزرع أفكار الشر، وقدمان تسرعان إلى المساوئ)**[1]، ونبي الله سليمان عليه السلام ينبه ويحذر كل يهودي من أن ينجر وراء الشر والإثم والعنف وأن يمسك نفسه من فعل المظالم التي تهلكه لا محال.

ثانياً: دعوة التسامح عند بعض الفرق اليهودية – الفريسيون أنموذجا –

رغم انتشار العنف في الفكر الديني اليهودي، ورغم تخييم السوداوية على ذهنية اليهودي المتدين، نجد بعض الفرق التي تنتسب إليهم، تختلف وتتناقض تماما مع كل ما هو سلبي، من عنف وقسوة وتطرف لذلك تعتبر هذه الفرق حركات تصحيحية لمفهوم التعامل والتواصل مع الآخر.

فمن الانغلاق إلى التفتح كانت هذه الفرق تمارس طقوس التدين، ومن أهم هذه الفرق(الفريسيون)• و**(كانوا من المهتدين بهدى رسلهم وأنبيائهم المتمسكين بشريعة الله الصحيحة إلى أن أدركتهم رسالة المسيح عليه السلام)**[2] ، فهذه الفرقة لخّصت الرسالة التي جاء

---

[1] نفسه، ص100.

• كلمة فريسيون مأخوذة من الكلمة العبرية (بيروشيم) أي المنعزلون، وكانوا يُلقبون أيضا بلقب (الحبيريم) أي الرفاق أو الزملاء، وهم أيضا الكتبة من أتباع شماي الذي يشير إليهم المسيح عليه السلام، اُنظر، المسيري، موسوعة اليهودية والصهيونية، (مج5)، ص321.

[2] الحارثي، المرجع نفسه ص66.

بها موسى عليه السلام وأنبياء بني إسرائيل في معاملتهم مع الناس، وكان يُطلق عليهم اسم **الصدوقيون**، ورغم تعرضهم للأذى في سبيل ذلك إلا أنهم لم يبدلوا في ذلك شيئا.

فكانوا يعتقدون بحرية الإنسان في الاختيار، وأن الرب يساعد في تيسير طريق الخير ويترك طريق الشر لاختياره ويرون أن يهوه إله الناس جميعا وليس إله بني إسرائيل فقط، وأن الله في كل مكان وليس في معد القدس فقط، وهذه الشمولية التي كان يدعوا لها الصدوقيون هي نفسها رسالة الأنبياء، وكانوا يعارضون الحروب[1].

فهم مثال يُقتدى به في السلم والتسامح، فقد كانوا متمسكين جيدا بالتقاليد الأخلاقية الطاهرة، ويعارضون الحاخامات الذين يمارسون العنف ضد الناس، فنشاط الفرقة الفريسية هو فكري إصلاحي وليس ثوري[2]، لذلك قال عنهم **(هارفولد): (كانت الفريسية سيئة الحظ في التاريخ، قلما وجدت المسيحية فرصة سانحة لمعرفة الفريسية على حقيقتها)**[3]، إذا فهناك من حافظ على أديان ورسائل الأنبياء في بني إسرائيل وإلا لقلنا أن العنف الذي خيّم على أحبارهم لن نجد بعده صلاح أبدا، ومن جملة هذا الصلاح الكثير من الفرق المغيبة كالفريسيين والحسديين والصدوقيين وغيرهم من الفرق اليهودية المعتدلة والمتسامحة.

---

(1) نفسه، ص67.

(2) شلبي، المرجع نفسه، ص221.

(3) نفسه، ص222.

المبحث الثالث: العنف والتسامح في الفكر الديني المسيحي.

الفكر الديني المسيحي(**النصرانية**•) كغيره من الأديان السماوية والشرائع المقدسة التي تستنبط أحكامها من مجموع الأوامر والنواهي والتوصيات النبوية التي بلغها النبي عيسى عليه السلام، كما أنها تحمل سمة أساسية ومتميزة لأنها تتوسط اليهودية والإسلام، كما أنها لم تسلم من جدل العنف والتسامح الذي وقعت فيه اليهودية.

فهي من جهة تصحيح للمعتقدات السابقة لبني إسرائيل كما قال تعالى على لسان المسيح عليه السلام: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٦**﴾{**الصف:6**}، فجاءت لتعيد تأسيس الكثير من المفاهيم الأخلاقية الخاطئة والتصرفات اللا إنسانية التي كان يمارسها اليهود كما أشرنا إليه في المبحث السابق فوقعت فيما جاءت لتصححه وتبطله.

المطلب الأول: مصادر تشريع الفكر الديني المسيحي.

تعتمد الديانة النصرانية على عنصرين مهمين في تأصيل الفكر وإصدار الأحكام وتنظيم شؤون الفرد في المجتمع المسيحي في كل زمان ومكان، فالأول هو العهد الجديد المعروف بالإنجيل والثاني هو المجامع الكنسية المسيحية.

• هي نفسها المسيحية المعروفة، وتستعمل الكلمة لتحديد مكان نشأتها بفلسطين وهي قرية نصرانة مكان ميلاد المسيح من أرض الجليل، أُنظر سعود بن عبد العزيز الخلف، المرجع نفسه، ص121.

أولاً: العهد الجديد مفهومه ومحتوياته.

الإنجيل هو الكتاب الذي أُنزل على المسيح عليه السلام، ويعتبر تصحيحا ومكملا للتوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام، وهداية ودعوة لبني إسرائيل الذين زاغوا وانحرفوا وانقلبوا إلى طبيعة مادية وتفرقوا من بعد موسى عليه السلام[1].

ويُطلق النصارى على الإنجيل العهد الجديد[*] للتفريق بينه وبين العهد القديم الخاص باليهود في الكتاب المقدس كما ذكرنا في مبحث سابق، كما جاء تمييز العهد الجديد عند بعض الباحثين بأنه يشمل **الأسفار المسيحية التي قبلتها الكنائس المختلفة بدرجات متفاوتة على مدى قرون عديدة من الجدل والاختلاف**[2].

وعدد هذه الأسفار هو سبعة وعشرون المتفق عليه من طرف القساوسة والرهبان وعلماء النصارى وهي: إنجيل متّى ومرقص ولوقا ويوحنا وأعمال الرسل ورسائل بولس ويوحنا وبطرس ويعقوب ويهوذا ويوحنا اللاهوتي[3]، كما أننا نجد أن النصارى يتفقون على قبول هذه الأسفار ليومنا هذا.

ويعتمد النصارى على اتجاهين مشهورين في تقسيم الكتب والرسائل في العهد الجديد فالأول يقسم كتب العهد الجديد إلى ثلاثة أقسام رئيسية، القسم الأول الأسفار

[1] أُنظر، المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد، **أطلس الأديان**، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2007، ص 173.

[*] عرف الإنجيل بهذه التسمية في أواخر القرن الثاني ميلادي، أخذها النصارى من مجموعة نصوص نذكر منها، ما جاء في سفر العبرانيين (عب7:7): (لأنه يقول لهم لانما هو ذا أيام تأتي يقول الرب حين أكمل مع بيت اسرائيل و مع بيت يهوذا عهدا جديدا) و ما جاء في نفس السفر (عب9:10) : (ولأجل هذا وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون إذا صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول ينالون عهد الميراث الأبدي) أُنظر، عبد الرزاق عبد المجيد، **مصادر النصرانية**، دار التوحيد للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2007، ص 354.

[2] نفسه، ص353.

[3] سعود بن عبد العزيز الخلف، المرجع نفسه، ص 134، ميرسيا إلياد ويوان كوليانو، **معجم الأديان**، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط، (ط1)، 2018، ص290.

التاريخية وهي أناجيل متّى ومرقص ولوقا ويوحنا، بالإضافة إلى أعمال الرسل، والقسم الثاني فيه الأسفار التعليمية وهي واحد وعشرون رسالة لبولس ويوحنا وبطرس ويعقوب ويهوذا، والقسم الثالث فيه سفر واحد وهو سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتي[1].

والاتجاه الثاني له نفس الرؤيا للأسفار ماعدا القسم الثاني الذي يفصل فيه بين سفر أعمال الرسل والرسائل "بولس (14) ويوحنا وبطرس ويهوذا ويعقوب(الرسائل الكاثوليكية الجامعة)[2].

ونجد أن النصارى يهتمون اهتماما بالغا بالعهد الجديد، بل هو العماد واللب والمرجعية المقدسة التي يستندون عليها في نصوصهم وأحكامهم الدينية والسياسية والاجتماعية وحتى الثقافية، فالعلاقة التي تربطهم بالعهد الجديد علاقة وثيقة ومتميزة، فهي تحتوي على تاريخ المسيح عليه السلام ولادته وسفره ومواعظه وخطبه وجداله مع اليهود والمعجزات التي يظهرها لناس[3].

ثانياً: المجامع النصرانية(التنظير والتنظيم).

أما ثاني مصدر للفكر الديني النصراني فهو المجامع النصرانية، فهو عبارة عن **مؤتمر يُعقد كل ما دعت إليه الحاجة لمعالجة قضية، أو لحل مشكلة، أو لمناقشة أمر كثر فيه الجدال واحتدم فيه الصراع سواء في أصول ديانتهم أو في فروعها**[4]، كما أنه ذو أهمية بالغة لدى النصارى منذ زمن.

وحول هذا المصدر يرى **الأرشمندريت حنانيا إلياس كساب** في كتابه **(مجموعة الشرع الكنسي)** أنّ الكنيسة المسيحية شعرت بعد أن أسّسها المسيح الفادي الكريم على

(1) عبد الرزاق عبد المجيد، المرجع نفسه، ص ص355-356.
(2) نفسه، ص356.
(3) سعود الخلف، المرجع نفسه، ص138.
(4) عبد الرزاق عبد المجيد، المرجع نفسه، ص ص709-710.

صخرة الإيمان، وأثناء جهادها الشاق في القرون الأولى بالحاجة الماسة إلى تنظيم وظيفة السلطة الدينية للقضاء في كل خلاف فاجتمع المجمع الرسولي الأول على إثر مشادة بين فريقين من الرسل والمؤمنين وعلى هذا المثال جرت الكنيسة وأخذت كلما دعت الحاجة تعقد المجامع من مكانية ومسكونية[1]، فالغاية من هذه المجامع هي القضاء على الخلاف والفرقة حسبه، وعلى هذا الأساس أصبحت تعقد هذه الاجتماعات كل مرة من أجل متابعة سيرورة وخطى علماء الدين النصراني.

فيلتقي القساوسة والبطاركة وعلماء المسيحية في تجمعات ضخمة على أساس هيئات شورية[2]، كما يعرفه النصارى بأنه: **(اجتماع رؤساء الكنيسة بحسب الأصول والقوانين لحاجة الكنيسة تقتضيها الظروف، يتدارس فيها أولئك الرعاة الموضوع المطروح عليهم ويأخذون القرار الضروري إلى جميع المسيحيين الذين يرعونهم)**[3] فتكون بذلك هذه التجمعات نواة تسيّر من خلالها التوجهات الدينية وتضع بذلك حد لكل الاستشكالات التي تؤرق البطاركة والقساوسة المجتمعين فيها.

ومنها يخرجون بمختلف الأحكام التي تصدر من هؤلاء الرؤساء، والقرار الأخير والكلمة النهائية في أي موضوع متعلق بالعقائد النصرانية أو شؤون الدين العامة أو حتى تلك المتعلقة بالمجتمع والمعاملات يكون للمجامع، حتى أنها تنسخ أحكام وقرارات الباباوات والقساوسة قاطبة[4].

والمجامع النصرانية نوعان: (المسكونية والمحلية)

---

(1) حنانيا إلياس كساب، مجموعة الشرع الكنسي، (ط2)، منشورات النور، بيروت، لبنان، 1998، ص1.

(2) سعود بن عبد العزيز الخلف، المرجع نفسه، ص 178.

(3) ميشيل أبرص وأنطوان عرب، مدخل إلى المجامع المسكونية، مكتبة البوليسية، بيروت، لبنان، (ط1)، 2003، ص20.

(4) كساب، المصدر نفسه، ص449.

- **أ) المجامع المسكونية:** هو مجمع عالمي كبير، يجتمع فيه باباوات وقساوسة العالم ومن له حق التصويت، يُعقد برئاسة البابا أو أحد مندوبيه، ويجيز مراسمه، يبحث في العقيدة النصرانية ومواجهة بعض الأقوال التي يُرى مخالفتها للفكر الديني المسيح[1]، وأشهرها **نيقية** (325م)، **القسطنطينية**(381م)، **أفسس**(431م)، خلقدونية (451م)، **المجمع الثامن**(869م)، **المجمع 12** (1215م)، **مجمع روما** (1769م)[2].
- **ب) المجامع المحلية(المكاني):** وهي مجامع تختص بإقليم محدد ومحلي، تُناقش فيها أهم تطورات تلك المنطقة المحلية وهو معتبر جدا، أما قراراته فتكون خاصة وليست عامة، وهو أسبق زمنا من المجمع المسكوني، كان يُعقد في أوائل القرن الثاني الميلادي، بينما المجمع المسكوني فبدأ ينعقد في القرن الرابع ميلادي، ففكرة المجامع المسكونية وليدة المجامع المحلية المكانية، ولقد اقتبست أنظمته من النظم القانونية والتشريعية في آسيا واليونان في تلك المرحلة كما يؤكد ذلك الكاتب المسيحي **حبيب سعيد** في كتاب **(تاريخ المسيحية)** حيث قال: **(وسرعان ما تقرر كعرف متواضع عليه وقانون مسلم به أن يجتمع أساقفة الكنائس المستقلة في عاصمة الولاية، مرة في الربيع و مرة في الخريف، وكان يشترك في مداولاتهم نخبة من الشيوخ كمستشارين، ويحضرها عددا من الشعب كمستمعين وقد تعرضت قرارتهم إلى كل مشاكل الإيمان والنظام)**[3].

---

(1) الخلف، المرجع نفسه، ص178.

(2) عبد الرزاق عبد المجيد، المرجع نفسه، ص714.

(3) حبيب سعيد، تاريخ المسيحية فجر المسيحية، دار التأليف والنشر الكنيسة الأسقفية، الإسكندرية، مصر، (د ت)، ص89.

المطلب الثاني: العنف والتطرف والغلو والقطيعة في الفكر الديني المسيحي في العصر الوسيط – أزمة الموريسكيين أنموذجا-.

إنّ الفكر الديني المسيحي لا يخلوا من اشكال العنف وممارسته على الآخر غير المسيحي، رغم أن نشأته كانت تصحيحا للفكر الديني اليهودي، ورغم المعاناة التي عاناها المسيحيون من طرف اليهود وحلفائهم في مرحلة الاضطهاد الديني، خاصة في عهود **نيرون (64م)** و**تراجان (106م)** ، و**ديسيوس (246-251م)**، و**دقلديانوس (284م)**[1]، إلا أنهم مارسوا العنف بشكل مبالغ فيه، بل أكبر من العنف والتطرف الذي لحقهم في مرحلة الضعف حتى قال القس النصراني **دي روزا** في كتاب **(تاريخ الكنيسة الأسود): (ناقض المسيحيون يسوع المسيح وفعلوا بغيرهم كما فُعل بهم و أكثر)**[2].

عاشت أوربا وبعض مناطق العالم أوضاعا عصيبة جدا، بفعل العنف والتطرف الذي كان ممارسا بشكل لا يصدقه العقل على مدى قرون من الزمن، والأغرب في ذلك أن هذه الأوضاع تسببت فيها السلطة الدينية، التي كانت تمثلها الكنيسة والقساوسة والرهبان الكاثوليك في الغالب، بمعية السلطة السياسية، فقاموا بارتكاب أعظم الفظائع باسم الدين المسيحي، فأبادوا بذلك الكثير من الأعراق والجماعات، وضيقوا الخناق على العلماء، وأقاموا محاكما لمرافقة أعمال القضاة المكلفين، سميت بمحاكم التفتيش الكنسية.

ومن بين الذين ذاقوا ويلات السلطة الدينية الكنسية، المسلمين الذين بقوا في بلاد الأندلس بعد سقوطها، أو ما اصطلح عليهم تاريخيا بالموريسكيين، أو المدجنين الجدد الذي استقروا في جنوب شبه الجزيرة الأيبيرية.

---

[1] متولي يوسف شلبي، أضواء على المسيحية، الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، (ط1)، 1968، ص، ص21-26.

[2] القس دي روزا، التاريخ الأسود للكنيسة، ت: آسر حطيبة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، 1994، القاهرة، مصر، (ط1)، ص 38.

أولا: الأندلس ما قبل الحكم المسيحي الكاثوليكي (من التسامح إلى العنف).

كانت شبه الجزيرة الأيبيرية أثناء حكم المسلمين تتكون من عدة مقاطعات ومناطق مأهولة بالسكان من مختلف الأجناس، امتزجت فيها الديانات والعقائد المتنوعة، تتشكل من المسلمين والمسيحيين واليهود، ورغم التباين العقدي والأيديولوجي، استطاع سكان هذه المناطق تحقيق أسمى سبل العيش المشترك، دون نزاعات أو عنف، بل كانت حرية التدين والاعتقاد مشهورة وجلية، وقد عُرفت في تلك المرحلة بمهد الديانات الكبرى، نظرا للاحترام المتبادل بين سكانها، **لذلك أُعتبرت استثناءً في تاريخ الأمم والحضارات، لأنها أقرت التعايش السلمي والقبول المتبادل بين المسلمين والنصارى واليهود**[1].

وهذا هو الحاصل طيلة قرون من حكم المسلمين، في مختلف المراحل من أيام الأمويين، إلى مرحلة ملوك الطوائف، فينقل لنا الدكتور **حتمالة** صورة وصفية لطبيعة الحياة الاجتماعية والوضع الذي كان سائدا بين سكان المنطقة، فيقول: **(هناك حقيقة أولية يجب أخذها بعين الاعتبار، وهي تعدد العقائد الدينية عند السكان في شبه الجزيرة الأيبيرية ... لقد كانت كل مقاطعة من مقاطعات قشتالة والأندلس وأراغون أيام المسلمين تتألف في الواقع من عدة مدن رئيسية، وكان لكل مدينة كنائسها ومساجدها ومعابدها اليهودية، إذ حصلت كل ملة على حرية الاعتقاد وإقامة المعابد)**[2]، والملاحظ هو احتواء المدن الإسلامية على تنوع ديني يتشكل من العديد من الديانات من بينها الديانات الكتابية اليهودية والمسيحية والإسلام.

(1) كار ماثيو، الدين والدم إبادة شعب الأندلس، هيئة أبو ضبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، (ط1)، 2013، ص12.

(2) حتمالة محمد عبده، الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، مطابع الدستور التجارية، الأردن، (ط1)، 2000، ص696.

وهذا التعايش الذي يكفل الحريات، جعل تلك المنطقة قبلة للديانات السماوية الثلاث، بعد مرحلة حكم الوندال الذين عرفوا بالتعصب والقطيعة مع الآخر، فمرحلة الحكم الإسلامي توسطت مرحلتين مسيحيتين كاثوليكيتين منغلقتين بكل المقاييس الدينية والاجتماعية.

وبعد سقوط غرناطة وسيطرة جيوش قشتالة وأراغون على المنطقة، تحت قيادة الملكة **إيزابيلا القشتالية** والملك **فرناندو الأراغوني** تغيرت الحياة الاجتماعية في بلاد الأندلس، فبعد عقد معاهدة التسليم الموقعة من أبي عبد الله الصغير[1]، بدأت الأوضاع تتغير تدريجيا نحو الأسوأ وتحولت المنطقة إلى بؤرة صراع أيديولوجي بين المسيحيين والمسلمين المسالمين منهم الذين لم يخوضوا حربا ولا معركة ضد النصارى.

فما هو معلوم تاريخيا أن المسلمين بعد السيطرة على أي منطقة وإخضاعها، لا يجبرون أحدا على دخول الدين بالإكراه، ولا يقربون حياته الخاصة، ولا يتدخلون في شؤون دينهم، وهو ما تنص عليه الآيات القرآنية منها **قوله تعالى**﴿**لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴿٨﴾**﴾ {سورة الممتحنة:8﴾، وقوله تعالى: ﴿ **لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ** ﴾{البقرة: 256}، وهذا أول دافع لتأسيس العيش المشترك السلمي، وخير دليل على ذلك التزاوج وتشكل العائلات الإسلامية من مزيج بين الإسبان والمسلمين حتى في دير الخلافة والسياسة والأمثلة كثيرة، عكس ما حدث معهم بعد سقوط غرناطة.

فبعد أكثر من ثمانية قرون من التعايش الإنساني المشترك بين المسلمين والمسيحيين، حدثت أزمة القطيعة والتصادم، بل احتدم الصراع إلى أوجه إلى أن وصل إلى غاية ممارسة العنف والتطرف بكل أشكاله على المسلمين وقد بدأ التباعد الاجتماعي

---

(1) السرجاني راغب، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة اقرأ، القاهرة، مصر، (ط1)، 2011، ص688.

مباشرة بعد خطاب الملكين المذكورين ذوي الخلفية الدينية في سنة 1501م في مرسوم رسمي لهما لاضطهاد المسلمين، وجاء محتواه "**أنّ الله اختارهما لتطهير غرناطة من الكفرة**"[1] وهذا ما عقّد وضعية المسلمين هناك، ما دفعهم إلى التنصر قهرا خشية من النتائج والعواقب التي تحوم حولهم، وحدثت الأزمة التي عرفت بالأزمة المسيحية الموريسكية أو الصراع بين الغالب والمغلوب على الأرض المشتركة في بلاد الأندلس.

ينقل لنا المؤرخ الاجتماعي الإسباني **أنطونيو دومنغيث** كلاما عاما حول هذه الأزمة، والتي سمّاها أزمة الصراع• المسيحي الموريسكي، التي مرّت بثلاث فترات أو مراحل حسبه، الأولى هي تنصر الموريسكيين والثانية ردهم على العنف الممارس ضدهم والثالثة طردهم من إسبانيا، فيرى دومنغيث أنّ كل حدث من هذه الأحداث أدخل تغيرات جذرية في العلاقات التي كانت تربط المجموعتين المتواجهتين مثّل الأول القطيعة الرسمية مع التعايش الذي ميّز العصور الوسطى، وسجّل الثاني توهُّم إيجاد طريقة للتفاهم المتبادل وصادق الثالث على انتصار الكاثوليكية الإقصائية في إسبانيا، عبر هذه الفترات التاريخية نرى بطريقة ما تحولا من الثنائية إلى الوحدة[2].

ويُفهم من كلامه السياسة غير المعقولة والشديدة المنتهجة والمستندة على النص الديني الكاثوليكي، التي تختلف تماما عن المرحلة السابقة من حكم المسلمين المتميزة كما ذكرنا بروح الاحترام الذي كفل مرحلة طويلة من العيش المشترك في بلاد الأندلس بين

---

(1) العيدروس محمد حسن، العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، (ط1)، 2011، ص72.

• في الواقع لا يمكن تسمية ذلك بالصراع وإنما هي تصفية عرقية وإبادة جماعية، لأن الصراع هو مواجهة وصدام بين جماعتين تتبدلان العنف والعدوان من أجل قضاء كل طرف على الآخر، بينما في حالة الموريسكيين فإنهم كانوا ضعفاء لا يملكون سلاحا ولم يقوموا بمواجهة القوات الصليبية المتطرفة التي كانت تمارس عليهم مختلف أسليب العنف.

(2) أورتيث أنطونيو دومنغيث، تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة أقلية، كلمة، أبو ضبي، الإمارات العربية المتحدة، (ط1)، 2013، ص19.

المسلمين والآخر، لتتغير الأوضاع كليا وجذريا في مرحلة حكم المسيحيين مع إيزابيلا وفرناندو.

لقد أصبحت شبه الجزيرة الأيبيرية بعد السيطرة المسيحية مختلفة تماما لما كانت عليه من ذي قبل فالوضع اختلف كثيرا عن السابق، وفي كل الأحوال نجد أن الزحف المسيحي الاستردادي، لا يملك تقريبا شيئا من الرصيد الإنساني الذي كان سائدا في المجتمع الأندلسي الإسلامي السابق العهد طيلة قرون، بل ما طبع هذا الزحف هو سمة الاجتياح السريع غير المتأني الذي لا يسمح بخلق مناخ للتعايش أو تحكيم العدالة الاجتماعية(1)، وربما يتوهم البعض أنها مرحلة حينية تتغير تلقائيا بعد الاستقرار، وفرض السيطرة المطلقة على المنطقة، لكنها للأسف استمرت طويلا وطيلة سنوات عقبها الطرد النهائي سنة 1616م.

المميز في هذه المرحلة هو الفجوة التي حدثت بين المواطنين في المنطقة، فلا مجال للحديث فيها عن قيمة الإنسان، أو أبعاد الإنسانية، أو وجوده الأسمى، أو الأخلاق التي تنص عليها النصوص المقدسة التي جاءت في نصوص العهدين القديم والجديد أو رسائل بولس وغيرها، فوصية الكتاب المقدس واضحة وصريحة وهي دعوة إلى السلم مع جميع الناس ودون استثناء، وفيها حرص شديد على فعل الخير لتعم الحياة البشرية دون عنف، لكن الحاصل مختلف تماما.

ثانياً: الموريسكيون دلالة الاسم بين التميز والتحقير(خطاب الكراهية).

لقد وقع المسلمون في مأزق حقيقي بعد سقوط الأندلس ونهاية الحكم الإسلامي في شبه بلاد الأندلس، فالسيطرة السياسية المطلقة أصبحت للإسبان وهي غربية خالصة

---

(1) حمادي عبد الله، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (ط1)، 1989، ص27.

وانتمائهم كاثوليكي، وهو ما صار يشكل أزمة كبيرة جدا لهذه الأقليات التي استوطنت المكان منذ زمن بعيد جدا، أمّا هذا السقوط كانت له تبعات على المسلمين في هذه المرحلة المتزامنة مع سنة 897 هـ الموافق لـ 1492مـ.

فما كان عليهم إلا أن يتنصروا، ويدخلوا في كنف المسيحية بضغط من الكنيسة الكاثوليكية، وخوفا من العنف والأذى الذي سيلحقهم من المسيحيين، وهو ما حدث فعلا بعد سنوات، لكنهم رغم ذلك لم يسلموا من خطابات الكراهية والتمييز العنصري وممارسات الاستعلاء التي كانت تحدث هناك، والتي فرقت بينهم وأثرت مباشرة على حياتهم الاجتماعية التي لم تعد هنيئة كما كانت سابقا.

وقعت الكثير من المدن الإسلامية في يد الكاثوليك، من بينها أشبلية وجيان وطليطلة وبلنسية وسرقسطة وقرطبة وبلد الوليد وغيرها، وسكان هذه المدن فضلوا البقاء في أوطانهم بعد أن اختاروا التنصر، وقد أُطلق عليهم اسم **المدجنين(mudéjar)** والتي تعني مجنس جديد، وهذا المصطلح يحمل في معناه نوع من الدونية والتصغير، لكن رغم ذلك لم يمارس ضدهم العنف، فكان تعايشا مصلحيا لحاجة المسيحيين لحرف المسلمين أو المدجنين الجدد.

بينما في مملكة غرناطة والتي تحتوي على ثلاثة مدن وهي مالقة وغرناطة وألميرية كان الوضع مختلفا تماما فبعد تقديم مجموعة من العهود والمواثيق بعدم التعرض للمسلمين أو مصالحهم، ظهر نوع من التعايش والتسامح في سياسة المجلس المسيحي الذي كان يحكم غرناطة بعد السقوط، وهم **أنييغو لوبث دي مندوسا**، **الكونت دي تنديا** وهذا الأخير كان حاكما على غرناطة، والأب **إرناردو دي زافرا** وكان سكرتيرا للملكين[1].

---

(1) حتمالة، المرجع نفسه، ص670.

إلا أنه سرعان ما تغيرت أوضاع المسلمين وانقلبت وضعيتهم وقد أخذت سياسة التسامح التي طبقها المجلس تضعف تدريجيا، حتى عجزت عن تنفيذ الشروط المتفق عليها في معاهدات الاستسلام، واعتبرها المجلس باطلة المفعول، إذ فرض على المسلمين أحد أمرين: التنصير القسري أو التهجير القسري[1].

وكما ذكرنا سابقا، فقد اختار المسلمون التنصر، ولكن بعد تعميدهم وإكراههم على التنصر من طرف الكنيسة الدينية الكاثوليكية بغرناطة أُطلق عليهم اسم جديد وهو: **(الموريسكيين)**، أو **الموريسكوس(los moriscos)**، أو الموروس **(los moros)** وهو في الحقيقة وصف تحقيري لهم وليس مجرد اسم وحسب.

إنّ مصطلح الموريسكي أو الموريسكوس **(Los moriscos)** أُطلق على المسلمين الذين تنصروا بعد مصطلح المدجنين**(mudéjar)**الذي أُطلق على المسلمين الذين كانوا يعيشون باقي المدن التي سقطت من قبل، ودخلت تحت حكم المسيحيين في أواخر القرن الرابع عشر بشبه الجزيرة الأيبيرية[2]، وهو في محتواه ومعناه يحمل كامل الكراهية والعداوة والاحتقار لهؤلاء الذين تنصروا حديثا وهو موصوف التمييز العنصري للجنس غير الإسباني، فذلك يُعد تصغيرا لهم أمام المسيحيين الأصليين.

و أصل كلمة موريسكي**(morisco)** جاءت من مصطلح **مورو (moro)** ولها دلالة الوثني غير المُعمّد، تمييزا لهم عن النصراني الأصلي، والقصد بذلك التحقير والإساءة والاستصغار، أما أصلها اللاتيني فهو**(maurus)** تشير في العهد الروماني إلى سكان

---

(1) نفسه.

(2) عبد الكريم جمال، الموريسكيون تاريخهم وآدابهم، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، (ط1)، 2008، ص6.

المغرب الأوسط والغربي كتمييز جغرافي، وتشمل الجزائر كاملة وسواحل المغرب الأقصى وموريتانيا[1].

فبداية التمييز بين المسيحيين والآخر المسلم في المجتمع الإسباني بدأ بإطلاق مصطلح الموريسكيين على الآخر، وهذا يُعدُّ تصنيفا جديداً، ولم يكن كتمييز فيزيولوجي يحدد انتماءهم الجغرافي أصلهم، بل هذه المرة كان يحمل في معناه لهجة عدوانية تجاه غير المسيحيين "موروس" ومسيحيين، فكأنهم أرادوا من خلال ذلك تقسيم المجتمع إلى سيد ومسود، أو شريف ومشروف، لأن واقع المرحلة يثبت أن هذه دلالة صفة عدوانية وتحقيرية[2].

لقد بلغت العصبية أوجها في الأوساط الاجتماعية الأندلسية، وأصبح الإنغلاق والقطيعة هو السمة البارزة، وانتشرت مقولة في الأوساط المسيحية وهي **"أنّ مسلما مرتدا إلى النصرانية يعتبر في حقيقة الأمر مسيحي غير نصراني بالفطرة أي أنه أكثر خطورة مما كان عليه في الأصل"**[3].

وهذا كان تمهيدا من الكنيسة لأخذ الاحتياط من هؤلاء المعمدين الجدد حتى لا ينخدعوا بممارستهم طقوس العبادة المسيحية في الكنائس ودير العبادة، فكأن لسان حال الكنيسة يقول أنّ هؤلاء يضمرون الشر لكم ويعيشون بينكم، فلا يجب أن يؤتمنوا ولا يجب أن يعيشوا في أمان، فتم تصنيفهم في منزلة أخطر من المسلم الأصلي، وهذا التمهيد كان دافعا قويا للبحث عن السبل للتخلص من هؤلاء الموريسكيين بتصفيتهم أو طردهم نهائيا من بلاد الأندلس.

---

(1) ميكيل دي إيبالثا، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ت:جمال عبد الرحمن، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، (ط1)، 2005، ص26.

(2) نفسه.

(3) حمادي، المرجع نفسه، ص29

إنّ الطريقة والكيفية التي انتهجتها الكنيسة لها بُعد مستقبلي طويل المدى، وتبدو أكثر دقة في الحقيقة فبعد تغيير ألقاب هذه العائلات في قشتالة وجيان وقرطبة وغيرها من المناطق التي أخضعوها من قبل أدركوا أن الوضع سيختلط عليهم بعد ذلك، إذ أنهم لن يميزوا بين المسيحيين القدامى والمسيحيين الجدد إلا بإطلاق أوصاف جديدة ليهم، فلذلك بدأت الأوصاف بالمدجنين، ثم الموريسكيين.

ثالثاً: الكنيسة الكاثوليكية وبداية التأسيس للعنف.

إن الهدنة التي تمت بين الغالب (المسيحي) والمغلوب (المسلم) نصّت على حماية أملاك المسلمين واحترام الشعائر الدينية للمسلمين، وحقن الدماء، وفتح المجال للعيش المشترك بين المسيحين والمسلمين، وإنشاء ديوان قضاء لحل النزاعات بين المسلمين والنصارى، ويكون القضاء فيه مشتركا بين قضاة مسلمين ومسيحيين والسماح للفقهاء والعلماء بممارسة التعليم[(1)].

وهذه القرارات بعثت الطمأنينة والسكينة في نفوس المسلمين، وصورت لهم أن الحياة لن تتغير باعتلاء المسيحيين الحكم، وزادت ثقتهم في الملكين الجديدين فرناندو وإيزابيلا، وقرر المسلمون البقاء والاستقرار لخدمة أراضيهم ولممارسة أشغالهم الاعتيادية.

لكن سرعان ما تم نقض العهد، وهو ما يفسر الأذى الذي لحق بالمسلمين بعد ذلك وهذا كله حصل بعدما أخذا حاكما إسبانيا بنصيحة رجال الكنيسة، والتي تقضي بإبادة المسلمين والقضاء عليهم، بشكل جماعي دون استثناء، وكان ذلك بعد إجبارهم على التنصر والتعميد، ففرضت الكنيسة قوانينا جائرة جداً، على المسلمين واليهود ومراقبات

[(1)] قشتيلو محمد، محنة الموريسكوس في إسبانيا، مطابع الشويخ ديسبريس، تطوان، المغرب، (ط1)، 1999، ص ص25-26.

مستمرة عليهم، وهي ما عرفت **بمحاكم التفتيش**[1]، وهذه المرحلة تعتبر مرحلة التأسيس والتنظير قبل ممارسة العنف بكل أشكاله.

إنّ القرارات السياسية المتخذة من طرف ملكي إسبانيا كانت بتأثير الكنيسة، فإليها يرجع الأمر كله، فكانا الملكان لا يخطوان خطوة دون مباركة منها، فهي المؤسس لطبيعة العلاقات الاجتماعية والمعاملات بين الناس في الأندلس، وبعد وصول أحد سفراء البابا الكاثوليكي، الكاردينال القوي النفوذ **خيمينث دي ثيسنبروس** تلته عدة اجراءات قمعية وعنيفة جدا في حق المسلمين وهذا هو الجانب آخر من السياسة الجديدة في عام 1499م لما تناقش مع الفقهاء هناك، فتبع ذلك إحراق كتب دينية اسلامية وعمليات تنصير اجباري[2].

فالكنيسة كانت السبّاقة في اتخاذ الإجراءات التعسفية أو بمعنى آخر كانت لها الامتياز المطلق في التنظير والتقنين للقرارات التي تتماشى مع طبيعة الانغلاق الكنسي في المرحلة الوسيطية، وكانت مهمة رجال السياسة والجنود والشعب وحتى القضاة التنفيذ والتطبيق، وهذا معروف بالضرورة فتحريك الوضع في المنطقة كاملة كان لا يمر دون مباركة الكنيسة والقساوسة والكاردينالات.

ولعلى المراسلات التي كان يقوم بها الباباوات من الحين للآخر مع الملكين فرناندوا وايزابيلا ومن حكم من بعدهما، يعتبر في الواقع تأسيسا لاستعمال القوة المفرطة والعنف البنيوي على الآخر من المسلمين الذين قرروا البقاء في الأندلس، ونذكر منها مراسلة قام بها البابا **سوبرينو** تعقيبا على رسالة أرسلها **الكونت كاستيار**، فهذا الأخير كان

---

(1) عبد الكريم، 2008، ص ص14-15.

(2) وات مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الاسبانية، ت: محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط2)، 1998، ص162.

ينصح فيها الملك بعدم التعرض للموريسكيين الذين يشكلون النواة الأساسية في مجتمع غرناطة وبلاد الأندلس نظرا لمعرفتهم بالزراعة والحرف الميكانيكية والطب وغيرها من الأمور التي تؤثر على إسبانيا سلباً بشكل كبير.

فنظرته كانت موضوعية وتحقيقا للمصلحة العامة، بينما البابا **سوبرينو** فقد استهان بالأمر ولم يعتبره جللا برأيه فاعتبر ممارسة العنف على الموريسكيين وطردهم ضرورة لابد منها، لأن الموريسكيين حسبه يحملون الشر، فالله حسبه لن يغضب من الانتقام من أعدائه بل يفرح كثيرا والسماء تمطر فرحا بذلك[1].

والملاحظ أنّ الدفع الذي قدمه رجال الكنيسة للملك الاسباني كبيرا جدا يبعث الارتياح في نفسه لدرجة أن جميع الأعمال اللا أخلاقية التي كان يقوم به الجنود والشعب في حق الموريسكيين كانت تفرحهم وتزدهم سرورا.

ومن بين أهم المراحل التي تعتبر معلما تاريخيا في ممارسة العنف القسري والبنيوي في إسبانيا بل هناك من يعدها مرحلة البداية لتأسيس مملكة نصرانية خالصة وخالية من المسلمين ومن طقوسهم الدينية، هي مرحلة **كارلوس الأول**[2]، الذي تأثر كثيرا بالفكر الديني الكاثوليكي، بل كان محركه الأول لما يتخذه من قرارات ضد الموريسكيين فمرحلة هذا الإمبراطور الجبار لا تقل عن غيرها في عصر أسلافه من حيث الضغط والاضطهاد للموريسكوس، غير أنها بطرق أخرى وبشكل آخر[3]، لا تقل وحشية عن من

[1] أرينال مرثيديس غارثيا، الموريسكيون الأندلسيون، ت:جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، مصر (ط1)، 2003، ص225.

[2] حتمالة، المرجع نفسه، ص726.

[3] قشتيلو، المرجع نفسه، ص29.

سبقه في حكم المنطقة، فحتى الشعب الإسباني قد ضويق في عصر كارلوس هذا فلا يستغرب أن يكون نصيب الموريسكوس من المضايقة أكثر(1).

وكما جرت عليه عادات ملوك الإسبان فإنّ **كارلوس الأول** كان هو الآخر لا يخطو خطوة دون مباركة البابا والقساوسة، خاصة البابا **كليمنطي السابع** الذي حثّ الملك كارلوس على تخيير المسلمين بين التنصر أو الموت، وقد كتب بهذا الرئيس الديني لأشبلية البابا **ألونصو مانريكي** عام1534(2).

وربما يعتقد البعض أن هذه الفتوى تبرز نوعا من الاختيار، لكن الحقيقة كانت مدروسة بدقة من طرف البابا **كليمنطي السابع** لأنه يعلم يقينا أن المسلمين لن يفعلوا ذلك سرا، وسيحافظون على ممارسة شعائر الإسلام خفية وتقية كما نصحهم بذلك علماء غرب الجزائر كالشيخ **المغراوي** وابنه **شقرون** والشيخ **المقري** وهو ما سيشكل فرقا مسيحية سرية تراقب أحوال المسلمين بعد التنصر، ويقتحمون خصوصياتهم وحياتهم الخاصة، في منازلهم ومقرات عملهم.

إنّ القيادة الحقيقية في بلاد الأندلس كانت دينية كنسية فوق إرادة الملوك والحكام والأمراء فلا تتحرك الهمم ولا الجيوش إلا بدفع الفتاوي والقرارات الدينية التي تصدر من الكنيسة الكاثوليكية، وتستوقفنا حادثة وقعت في هذه المرحلة تشد الانتباه، وهي المراسلة التي كانت بين ملك فرنسا **فرانشيسكو الأول وكارلوس،** والتي تتمحور حول اشتغال المسلمين في الأعياد المقدسة**(الأحد)**، فراسله مخاطبا إياه بنبرة تحمل تحريضا دينيا متطرفا جدا، جاء فيها **(كيف لكاثوليكي مثلك أن يسمح لأعداء دينه بأن يسكنوا داخل بيته؟)**(3).

---

(1) نفسه.

(2) نفسه.

(3) نفسه، ص30.

ويُفهم من الرسالة مغزى فرانشيسكو وما يصبو إلى تحقيقه من هذه الرسالة، فلو استعمل كلمة ملك أو حاكم عوضا عن كاثوليكي، لما تحرك كارلوس باتخاذه القرارات الجائرة في حق حريات المسلمين في غرناطة ومن بعدها بلنسية وملقة وغيرهما، لذلك أصدر كارلوس أوامره بتنصير المسلمين أو خروجهم من إسبانيا[1]، ومن جملة الاجراءات المتخذة ضد المسلمين منعهم من الخروج من بيوتهم ومنعهم من ممارسة أي نشاط تجاري.

وأما اللباس فقد منعهم من ارتداء القبعات وغيرها ومن يُخالف ذلك يستعبد مباشرة، ومنعهم من العمل في القُداس كما أمرهم بالانحناء أمام كل نصراني يحمل الصليب وأمرهم بتقبيل الصليب، وأن يغلقوا المساجد ويتركوا صلاة العامة، كما جعل الرقابة عليهم من قبل النصارى، ولتطبيق أوامره أصدر الرئيس الديني فتوى مفادها أن كل من خالف أوامر الإمبراطور كارلوس يعتبر عدوا للكنيسة وتمارس عليه مختلف أساليب العقاب[2].

فهذه الاجراءات التي قام بها كارلوس كانت تمهيدا يسبق موجة من العنف الجسدي على الموريسكيين في بلاد الأندلس، فهذا العنف البنيوي الممارس على الأقليات هو تقييد مطلق لحرياتهم وإرادتهم، وهو تدرج تصاعدي في الممارسات المتطرفة، وانتقام مباشر يمارس تعبدا للدين المسيحي، وسيفتح بابا لممارسات أخرى أكبر من هذه الممارسات، ألا وهو إعادة تفعيل عمل محاكم التفتيش الكنسية، لكن هذه المرة بصورة وحشية تحمل دمارا وخرابا واجتياحا كليا على كل من لا تهواه أنفسهم، فتبيد بذلك الآخر بأي شكل من الأشكال.

---

(1) نفسه.

(2) نفسه، ص ص30–31.

رابعاً: العنف والتطرف على الموريسكيين صوره وأشكاله.

عندما ننتقل للحديث عن العنف الذي مارسه المسيحيون على الموريسكيين، الذين اعتبروا خصوما للكنيسة التي تحارب أعداءها، نطرح تساؤلا مهما، ألا وهو منزلة الإنسان والإنسانية والأخلاق في الفكر في الفكر المسيحي؟، فما وقع في بلاد الأندلس لا يستوعبه العقل، ونقلا عن المؤرخين الإسبان والغربيين حتى يتسنى لنا رؤية الحقيقة بكل موضوعية و بعيدا عن المبالغة.

لقد استعمل المسيحيون الإسبان مختلف الأساليب القمعية، الموصوفة بالعنف والتطرف بُغية التخلص من الموريسكيين نهائيا، فبعد ممارسات خطاب الكراهية والتحامل على كل من ليس إسباني، جاء الدور على تفعيل العنف بكل أنواعه، وهو ما يعرف بالإبادة العرقية، بمباركة الكنيسة التي أعطت الضوء الأخضر لدواوين محاكم التفتيش ومجالس التنفيذ.

بدأت أساليب العنف عمليا في إسبانيا، بالحد من الزيارات بين الموريسكيين لتفريق شملهم وتشتيت صفوفهم وجمعهم على كلمة واحدة من جديد، وبعدها بإلزاميتهم باتباع طريقة النصارى في الزواج والخضوع للكنيسة في طقوس الزفاف، ومنها ما يتعلق بمنع السلاح عنهم وفي المقابل تسليح المسيحيين مثلما حصل في مالقة، ومنها ما يتعلق بالذبائح وإجبارهم على الخضوع لجزارين نصارى، والكثير من القرارات والمراسيم المتعلقة بالعبادات من أجل منعهم نهائيا عن أدائها ولو خفية[1].

ولطمس الهوية الإسلامية والعربية نهائيا ومحوها في المنطقة، عمدت الكنيسة إلى إصدار مراسيم خطيرة، من بينها:

---

[1] اُنظر، حتمالة، المرجع نفسه، ص726.

- القضاء على اللغة العربية نهائيا ، فلقد كان الكاردينال خيمنس وأعوانه يقولون إنه لكي تنجح مهمتهم في تحويل المسلمين إلى النصرانية، فيجب القضاء على اللغة العربية وقطع الصلة بين العرب و ماضيهم وفي رأيهم أن العرب ما دامو مقيمين على تقاليدهم وعاداتهم فإنه من الصعب نجاح المهمة(1)، فإلزام المسلمين والعرب على التحدث باللغة الاسبانية، وترك اللغة العربية أول بوادر محاولة السيطرة المطلقة على الآخر وفرض الهيمنة عليه، وهو ما يبرر استعمال الموريسكيين اللغة الإلخيمادية أو ما عرفت بالإلخميادو وهي ربط للغة الاسبانية باللغة العربية من أجل المحافظة على لغتهم العربية وثقافتهم وهويتهم وأدبهم وتهربا من بطش الكنيسة.
- **حرق الكتب العربية** وكل ما تحتويه المكتبات من مخطوطات وكتب علمية و شرعية وغيرها ولقد قُدرت الكتب المحروقة بمليون كتاب وما يزيد وهو ما أشار إليه **الكونت سيركور**(2)، فكانت البداية بكتب المدارس والمكتبات العامة ثم المكتبات الخاصة للأفراد فكل الكتب وُجهت للحرق حتى يقضوا على ثقافة العرب والمسلمين فالكردينال **خمينيث** أحرق العديد من المرات عشرات الألوف من كتب الدين والشريعة الاسلامية(3) وهذا حتى يضمن المسيحيون قطع العلاقة كاملة مع الدين واللغة والثقافة العربية الإسلامية.

أما عن **القتل والحرق والسجن والتعذيب** وسائله وكيفيته وطرقه والأماكن المخصصة له وتحديد الأيام التي يُنفذ فيها الأحكام، فكله من تخصص الكنيسة التي أطبقت السيطرة على الآخر وتحت رعاية وحماية السلطة السياسية التي التزمت الحياد أمام

(1) العيدروس، المرجع نفسه، ص72.
(2) نفسه.
(3) مهندس حمدي عبده سلامة موسى، محاكم التفتيش الكنسية بالأندلس، التجهيزات الفنية بمطابع الشرطة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2014، ص150.

المقدسين من الباباوات والقساوسة والكاردينالات، الذين خططوا لإبادة أمة بأكملها وباستعمال أساليب وحشية في الغالب.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر الكاردينال **توماس توركمادا** الذي يُعتبر أعلى شأن في رجال الدين وأقربهم إلى الملكة ايزابيلا القشتالية، وكان رئيسا لمحاكم التفتيش في إسبانيا لمدة 17 عاما متصلة، ولم تعرف مرحلة من مراحل العنف الممارس في إسبانيا وحشيةً و دمويةً مثل عصره ومرحلته التي تفنن فيها في ممارسة العنف وأساليب التعذيب على الموريسكيين.

فهذا الكاردينال قتل الآلاف من الموريسكيين، والحصيلة محددة وقد ذُكرت مفصلة في الكتب التاريخية، فقد أحرق (10220) شخصا بالنار، وذبح (6048)شخصا وعذب حتى الموت (65271) شخصا، وشنق (12340) شخصا، والكثير ممن ماتوا في السجون جوعا وبردا ونتيجة الأعمال الشاقة المفروضة عليهم وكان عددهم (19670) شخص، كما قام بسلب أملاكهم وأموالهم وكل ما يملكون وقدمها قربانا للكنيسة والجمعيات الكاثوليكية[1].

إن التطرف الذي مارسه ديوان التفتيش والباباوات والكاردينالات كان ممنهجا ودقيقا ويتضح ذلك من تطبيقه على الموريسكيين، فمن خلال العقوبات التي كان ينفذها هؤلاء، تدرك مباشرة أنها نفس أساليب باقي دواوين التفتيش في ايطاليا وفرنسا، إلا أن الضحية هذه المرة يختلف عن السحرة والمشعوذين وأصحاب الهرطقات كما وُصفوا[2].

---

[1] نفسه، ص ص184- 185.

[2] نفسه، ص، ص144-147.

فهذه المرة المتهم هو مسلم يبطن دينه و يمارس شعائره خفية، **فكانوا إذا وجدوا رجلا يدعي النصرانية ويُخفي إسلامه، كأن يجدوا في بيته مصحفا أو يجدوه يصلي أو كان لا يشرب الخمر أقاموا عليه الحدود المغلظة[1].**

وهذه الحدود تمثل أعلى درجات العنف والتطرف، فكانوا يلقون بهم في السجن ويعذبونهم عذابا لا يخطر على بال بشر فكانوا يملؤون بطونهم الفارغة بالماء حتى الاختناق، وكانوا يضعون في أجسادهم أسياخا محمية، وكانوا يسحقون عظامهم بآلات ضاغطة وكانوا يمزقون الأرجل ويفسخون الفك، وكان لهم توابيت معلقة بها مسامير حديدية ضخمة تتغرس في جسد المعذب تدريجيا وكانوا يقومون بدفنهم أحياء[2].

الأساليب اللاإنسانية التي اتبعتها الكنيسة للتخلص من الموريسكيين، جعلت العالم بأسره يندهش من قسوتها وإفراط رجال الدين في تطبيقها على البشر حتى أن جنود نابليون بونابرت حين فتحوا إسبانيا اندهشوا لما شاهدوه من آلات فتاكة وشنيعة فكان يُغمى عليهم ويصابون بالغثيان بمجرد تخيل ضحايا هذه الآلات[3].

ولعلى ما ذكره الكولونيل الفرنسي **ليمونسكي** عن غرف التعذيب التي كان يستعملها الرهبان والكهنة الكاثوليك اليسوعيين في قبو الدير التي يعيشون فيها يسد الأنفس ويبعث الرهبة فيها، فقد وصف **عرش الدينونة** أو ما يُعرف بمجلس القضاء وغرف التعذيب وآلات تحطيم العظام وسحق الأجسام و آلات صندوق الرأس وغيرها من وسائل التعذيب الوحشية[4]، ولقد تم تصوير هذه الآلات وجماجم الموريسكيين وأماكن التعذيب، فكل من

---

(1) السرجاني، المرجع نفسه، ص697.

(2) نفسه، ص ص697-698.

(3) نفسه، ص698.

(4) مهندس، المرجع نفسه، ص، ص131-136.

يراها يدرك أنها صور تتكلم وتصف مدى بشاعة العنف الكبير الذي مارسه رجال الدين والكنيسة في الأندلس.

أما عن **حرق البشر** فهو السمة الغالبة على عقوبات رجال الدين على الموريسكيين فقد كانت تعقد له مراسيم رسمية دينية على شكل موكب كبير جدا، يتقدمه الكاهن الأكبر يرتدي حلة بيضاء، ويحمل صليبا أسود، ويتبعه مجموعة من الكهنة، ثم مجموعة من الشعب يلبسون البياض ويحملون صلبانا سوداء، ثم يتبعهم المدانين من الموريسكيين المحكوم عليهم بالحرق وقد غطتهم الأوحال والنجاسة والقاذورات، التي رمى بها المتدينون من الناس والمتعصبة للكنيسة(1).

فإذا ما وصلوا الساحة وُضع أمامهم صليبا كبيرا ووسطهم أكواما من الحطب عالية، ثم يصرخ الكاهن الأعظم بأعلى صوته ليسمعه الجميع **(إنّ هؤلاء الكفرة قد استحقوا الحرق رجالا ونساءً لأنهم من المسلمين وأنهم قد استخفوا بالأحكام المقدسة وأنهم قد اتخذوا الشيطان وليا و حقروا الكنيسة وهم لا يأتون ثمرا، لذا وجب قطعهم وحرقهم بالنار عملا بقول السيد المسيح له المجد: "من ليس معنا فهو علينا وأن كل شجر لا تثمر وجب قطعها وإلقائها في النار، إن الذنب ذنبهم ودماؤهم على رؤوسهم" ثم يصرخ أحد الكهنة باللاتينية المجد لسيدتنا والدة الإله ومبارك كل مؤمن طائع)** ثم يشعلون النار فيموت هؤلاء و هم ينظرون إلى الصليب المنصوب أمامهم(2).

وكل هذا بحضور الملك وحاشيته السياسية، ثم ينظر متقدم الوفد وكبير الكهنة إلى ناصية الملك ويقول له: **(ليبارك الله جلالتكم وليمكنكم من الحكم طويلا في الأرض ما**

---

(1) قطب محمد علي، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، دار القلم، بيروت، لبنان، (ط1)، 1985، ص ص88-89.

(2) نفسه.

دمت مسندا لشرائع الديوان وشرائع الكنيسة الرسولية الرومانية)[1]، والملاحظ في خطاب الكاهن الموجه للملك، يدرك أن دعوة الكاهن بالتمكين من البقاء في الحكم والتعمير في السلطة مقترن بطاعة رجال الدين والكنيسة، وهو ما أشرنا إليه سابقا، وهو سيطرة الكنيسة على رجال السياسة والحكام.

إن تعداد ضحايا العنف الديني على الموريسكيين كان كبيرا جدا، ويعتبر أبرز عنف ممارس منذ التاريخ على البشر، نظرا للوسائل المستعملة، والأشكال التي تمت بها عملية الإبادة والتصفية العرقية ، فقصص العنف الديني التي عرفتها شبه الجزير الإيبرية لا تحتويه المجلدات، ولا تزال معالمه ظاهرة وتدرس للاعتبار، فمذابح سرقسطة ولشبونة وبلنسية وغيرها من الديار التي شهدت عنفا في المرحلة الوسيطية قد دونها التاريخ ليحاكم بها ضمير الكنيسة التي تتحمل كل قطرة دم وكل جسد احترق وكل جسم اخترق وكل إنسان عُذب حتى الموت من أجل نشر تعاليم تتناقض مع ما هو مدون في الأصل المقدس ألا وهو "**احترام الإنسان للإنسان**" فالدعوة المسيحية الخالصة دعت إلى حرية العقيدة والدعوة إلى التسامح والمساواة ومحبة الإنسان لأخيه الإنسان، مستهدفة من وراء ذلك تحقيق مثل أعلى للإنسانية معتمدة على قيم السماء العليا[2].

---

[1] مظفر علي، محاكم التفتيش في إسبانيا و البرتغال، مطبعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة، مصر، (ط1)، 1947، ص129.

[2] الموحي عبد الرزاق رحيم، حقوق الإنسان في الأديان السماوية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1)، 2002، ص95.

المطلب الثالث : التسامح و الرحمة في الفكر الديني المسيحي.

لقد حَمَلَ النص الديني المسيحي في كتبه المعتبرة وأناجيله المشهورة والمقبولة والأسفار والرسائل التي يتألف منها الكتاب المقدس، دعاوي صريحة، وأوامر قطعية وواضحة، بالتقيد بسماحة اليسوع عليه السلام وأخلاقه التي وصفها الكتاب المقدس، فالإنسانية كمطلب ضروري هي ما تشكل مجمل الخطاب الديني المسيحي، وهناك يوجد كم هائل من الفقرات التي تحمل دلالات التسامح والتعايش، والحوار مع الآخر والاحسان إليه وقبوله بكل اختلافاته، والمساواة بين الناس جميعا، ونبذ التعصب والتفرقة والعنف والتطرف، فالمسيحية هي دين للناس أجمعين حسب النصوص الواردة في العهد الجديد بالخصوص، سنحاول في هذا المطلب تبيان أهم الخطابات التي تحمل مفاهيم التسامح واللا عنف.

أولاً: التسامح والتعايش مع الآخر في العهد الجديد.

عند التعمق في البحث عن ثقافات الشعوب وتاريخ حضاراتها نتبين بوضوح وجود علاقة وحدة وتناقض بين النص والواقع، لا سيما أنّ النص غالبا ما يرد نتيجة دراسة واقع محدد يحمل استخلاصا نظريا لدراسة هذا الواقع، وتؤكد الدراسات التاريخية أن المسيحيين الأوائل كانوا قد نظموا أنفسهم في روما في مجامع أطلقوا عليها اسم (الاكليزيا)، ودور هذه الجمعيات كان الترحيب بالعبيد، وكانوا يتبعون مبادئاً سامية تتجلى من مواساتهم للعبيد ووعودهم لهم بأنهم سوف يعيشون في ملكوت يسوده العدل والمساواة بين الناس جميعا[1].

فلا العنف ولا التطرف من دعاوي الدين المسيحي أو العقيدة المسيحية، فالأصل قطعي في النصوص المقدسة، وشتّان بين التنظير والتطبيق كما تطرقنا إليه من قبل، وهذا

[1] نفسه، ص107.

ما يجعلنا نتساءل عن قيمة الآخر غير المسيحي في النصوص المقدسة، وعلى أي أساس تقوم أصول المعاملات المسيحية مع الآخر، كما نتساءل عن طبيعة العلاقات من موصوف التسامح والرفق واللا عنف.

من السمات الغالبة على العهد الجديد، نجد بزوغ مفهوم التسامح بشتى أشكاله وبمسميات مختلفة كالمغفرة والرحمة والعفو وتجاوز السوء، والإحسان، وغيرها من الدلالات التي تحمل معنى التسامح في قالبها، كما تدعوا كذلك إلى حسن المعاملة ونبذ العنف والتطرف، بكل أنواعه، فالإنسانية هي في محور تعاليم الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد[1].

فدعوة التسامح أكثر وضوحا في فقرات الإنجيل، لكل المسيحية، بل هو السبب الأول لنيل رضا الرب[2]، ألا وهو المغفرة والعفو، وتجاوز زلات الآخرين، وهناك أخلاق تظل شهيرة وهي تمنعنا من الاعتداء بأي حال من الأحوال على حياة القريب، وجسده وهي تدين الحرب والإعدام، ولا ترضى بمقاومة الشر بالقوة وهي تنشد العذوبة اللانهائية والعفو ثم العفو، وهي تجيب الذين يعترضون بأن مثل هذه الفضيلة تدعنا عُزلاً تجاه أعدائنا، فتجيبهم نصوص العهد الجديد: **(لا تخافوا من يستطيعون قتل الجسد ولكنهم لا يستطيعون قتل الروح طوبى للمضطهَدين)**[3].

وشهرة هذه الأخلاق كما يقول الكاتب في محتواها العظيم الذي يُقرّب الإنسان من درجة عليا أشبه بمقام الأنبياء المخلصين، فهدف المسيحية الحقيقية هي، إرساء مفهوم

---

(1) الأنبا أنجيلوس، الإنسانية حسب تعليم العهد الجديد، مطبعة دالتا، الإسكندرية، مصر، (ط1)، 2016، ص7.

(2) فقد ورد في انجيل متى ما يشرح كيفية التعامل مع الناس{١٢وَ اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا ١٣وَلاَتُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ وَالْقُوَّةَ وَ الْمَجْدَ إِلَى الأَبَدِ آمِينَ. ١٤فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ ١٥وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ} (متّى6: 14 – 15).

(3) ألبير بايه، **أخلاق الإنجيل** ، ت: عادل العوا، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، (ط1)، 2016، ص57.

الإنسانية في كل الأحوال، حتى أنك تجد في تعاليم العهد الجديد مجموع الحقوق والفضائل الإنسانية التي كان يعلمها يسوع لأتباعه، منها ما تعلق بفقراء الروح ومنها ما تعلق بالوداعة وحسن التعامل مع الناس، ومنها ما تعلق بالزهد في الحياة والابتعاد عن ملذات الدنيا ومنها ما تعلق بالرحمة والرحماء، ومنها كذلك ما تعلق بتطهير القلوب، ومنها ما تعلق بالدعوة إلى السلم والسلام، وأكثر ذلك دعوة يسوع إلى الصبر وقد خصّ المضطهدين من الناس بذلك[1].

وقيمة العفو والمغفرة مهمة جدا لتأسيس حياة اجتماعية وثيقة ومتماسكة فالحرص الذي أعطته المسيحية فضاء واسعا في الكتاب المقدس يبين ذلك[2]، فلولا العفو والمغفرة وتجاوز السيئات للآخرين لكان المجتمع الواحد شبيه جدا بما يصنعه الحيوان، كما جاء في إنجيل يوحنا عن التسامح ما يقارب ما ذكرنا، وفيه قصة المرأة[3] التي زنت وجاءوا بها إلى المسيح لكي يطبق عليها الحد مذكريه بحكم موسى عليه السلام على مرتكبي الزنا والفواحش، لكنّ رد المسيح عليه السلام عليهم كان مثاليا، بل وأخرسهم بعدما ذكرهم بالغايات والمبادئ الإنسانية الحقيقية.

---

(1) الموحي، المرجع نفسه، ص97.

(2) فلذلك جاء في نفس الإنجيل لمتّى حول المسامحة والعفو ما يلي: {٢١حِينَئِذٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ بُطْرُسُ وَقَالَ: "يَارَبُّ كَمْ مَرَّةً يُخْطِئُ إِلَيَّ أَخِي وَأَنَا أَغْفِرُ لَهُ هَلْ إِلَى سَبْعِ مَرَّات"٢٢قَالَ لَهُ يَسُوعُ:"لاَ أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ بَلْ إِلَى سَبْعِينَ مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ} (متّى18: 21-22)}.

(3) والقصة:{٢ثُمَّ حَضَرَ أَيْضًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصبْح وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ. ٣وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِنًا وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسْطِ٤ قَالُوا لهـ: " يَا مُعَلِّمُ هذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هذِهِ تُرْجَمُ .فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ ٦ قَالُوا هذَا لِيُجَرِّبُوهُ لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ .وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبِعِهِ عَلَى الأَرْضِ ٧ وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ ،انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ:" مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ!" ٨ ثُمَّ انْحَنَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الأَرْضِ ٩وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الآخِرِينَ .وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي الْوَسْطِ .١٠فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ قَالَ لها:" يَا امْرَأَةُ أَيْنَ هُمْ أُولئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ أَمَا دَانَكِ أَحَد " ١١فَقَالَتْ : " لا أَحَدَ يَا سَيِّدُ " فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : "و لاَ أَنَا أَدِينُكِ .اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا} (يو8: 2-11).

وهذه القصة مشهورة جدا في الإنجيل وما جاء على لسان القساوسة وهي تبين طبيعة البشر الضعيفة، وطبائع النفوس والحكم إزاء الآخرين ومحاولة إدانتهم، لذلك بيّن لهم المسيح العيوب المستترة التي ينطوي عليها كل واحد منهم، فانصرف كل واحد منهم يبكي، لأنه يعلم ما تخفيه نفسه، والمغزى العام من القصة هو محاسبة النفس وليس محاسبة الغير، فالتسامح يكون للآخر كما يكون لك، وأن تحب الآخر كما تحب نفسك، فلا تظلم الآخر لأنك لا تحب أن تُظلم .

وأحسن من جسّد تعاليم التسامح والعفو في الكتاب المقدس هو **استفانوس** لما تعرّض للاضطهاد والقتل بطريقة بشعة[1]، فرده يعكس مدى أهمية العفو والتسامح في التعاليم المسيحية، وعدم الرد والتهم على من آذاه كان له الأثر الكبير على شخصيته، فلذا وردت قصته للناس للاعتبار منه ومقابلة العنف بالتسامح، وهي تعاليم حرص المسيح عليه السلام كثيرا لتعميمها، والعمل بمقتضى ذلك.

فسعة قلبه ونقاء سريرته هي ما دفعته ليقابل السوء بالعفو، وهذا ما يدعوا إليه الإنجيل[2]، في أسفاره وفقراته، وهذا الحرص له بُعد مستقبلي مثالي جدا، يكفل استمرارية السلم والسلام بين الناس، فلا تراق الدماء ولا يقتل الناس بعضهم بعضا من أجل متاع الدنيا الزائل حسب تعاليم النصوص المقدسة.

---

(1) وتمام قصته في سفر أعمال الرسل: 58{وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَرَجَمُوهُ .وَالشُّهُودُ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ عِنْدَ رِجْلَيْ شَابٍّ يُقَالُ لَهُ شَاوُلُ 59 .فَكَانُوا يَرْجُمُونَ اسْتِفَانُوسَ وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ : «أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي 60ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ : «يَا رَبُّ لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ» وَإِذْ قَالَ هذَا رَقَدَ}.(رس7: 58-60).

(2) كما ورد في رسائل بولس إلى أهالي رومية:{١٧ لاَتُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرّ بِشَرّ .مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ .١٨إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ .١٩لاَتَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ ،بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ ،لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ «:لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. ٢٠فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ .وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ .لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ »٢١لاَيَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ}(بو12: 18-21).

وهذه من أعظم الوصايا التي جاء ذكرها في كتب الدين المسيحي، وأعتقد أنها تبين جوهر التسامح المطلق الذي دعت إليه المسيحية وكتبها منذ النشأة[1]، لأن المسيح يوصي بالابتعاد عن كل أشكال العنف وما يترتب عنه، كما يرى المسيح عليه السلام أنه لا طائل ولا فائدة من ممارسة العنف أو اعتماده كسبيل للرد على ن خاصمك أو عاداك، أو حاول قتلك أو آذاك لأنه يفتح بابا للشر وتسود الأعمال التي كانت منتشرة من ذي قبل وجاءت المسيحية لتصححها كما أشرنا إليه.

فالتسامح الذي يدعوا له المسيح ليس قولا وحسب، وإنما فعلا وتطبيقا على أرض الواقع، ومع الجميع دون استثناء، لأنه يوحد الناس على الحق ويقربهم من السلم والأمن ويُبعده عن النزاعات و الحروب، فالإنجيل يحتوي على فقرات عديدة و متعددة من خطابات العفو و التسامح و دلالات اللا عنف وهذا دل على شيء فإنما يدل على رسالة الدين الأولى التي بقيت محفوظة في الأوراق والنصوص، وبعيدة عن العمل والتطبيق للأسف.

ثانيا: التسامح المسيحي الممارسة والتطبيق.

على مرّ التاريخ نجد الكثير من القصص والحوادث التي تبين لنا معاملات المسيحين مع غيرهم خاصة الرهبان والقساوسة، في الكثير من الأماكن و الأمصار لهم اليد الطولى في الإحسان إلى الناس و الإشفاق على المحتاج منهم، ولازال هذا الوضع

---

(1) فقد جاء في إنجيل لوقا: {٢٧«لكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، ٢٨ بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. ٢٩مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا. ٣٠وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ. ٣١وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ هكَذَا. ٣٢وَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ فَضْل لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضًا يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ}.(لو6: 27-32).

على ما هو عليه ليومنا، بغض النظر عن الخلفيات والأهداف التي يبحث عنها الكثير من الناس، والسمة الغالبة على هؤلاء هو **التواضع**.

وهو وصف المتسامحين من أصحاب الأخلاق الطاهرة، والصفات المثالية، ويدفع أصحابه إلى حب الناس والعكس، كما دعت إلى ذلك الشريعة المسيحية والفكر الديني النصراني، فالتواضع المسيحي كمثال راق على فهم نصوص التسامح المذكورة في العهد الجديد هو فضيلة وعدل و قناعة **لأنها تكبح جماح الميول البشرية إلى حب الترفع والعظمة والزهو والخيلاء**(1).

ونجد هذه الصفة الغالبة على أعيان الفكر المسيحي سواء الكاثوليكي أو الأرثوذوكسي قد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢﴾{**المائدة:82**}، وهذا يعتبر أول سمة غلبت على النصارى عكس اليهود، وهي الابتعاد عن التكبر والخيلاء، وهذه المطالب والأوامر الإنجيلية، وحتى ترك الرد على المعتدي ونبذ التطرف والابتعاد عن الشر، لأن عددا من المفسرين الكتابيين يرون فيها أنها طلب بأن يكون اتباع اليسوع عليه السلام مثله، فوق شر الانسان، يعبرون عن صفات الله(2).

وهذه الصفات تحمل في طياتها الأخلاق والقيم والفضائل، فالتسامح الحق هو أن لا تقابل العنف بعنف مضاد، ولكن تقابله بفيض من الصلاح والسلم(3)، وهكذا تتجلى قيمته الحقيقية، وتجعل من ذلك موقفا ساميا ومرموقا، فمن قابل العنف بالتسامح تنعكس

(1) المطران مخائيل عسّاف، الأخلاق المسيحية، المطبعة المخلصية، صيداء، لبنان، (ط1)، 1948، ص211.
(2) الشنيير، المرجع نفسه، ص101.
(3) نفسه، ص101.

شخصيته الصابرة والبارة والملتزمة بتعاليم الدين، حتّى وإن كان من حقه أن يرد العنف بالعنف و القوة بالقوة، لكن بفعله المتسامح يسدُّ بابا للفساد والفوضى.

ومن جملة الأخلاق المسيحية التي تبعث روح التسامح والإخاء **الرهبنة** التي اشتهر بها العديد من النصارى، أو ما تعرف بالعزلة المسيحية عن العالم الشرير، والراهب **(هو المتعبد في صومعة من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا و ملاذها زاهدا فيها، معتزلا أهلها)**[(1)]، وكما هو معروف قديما وحديثا هو بُعد هؤلاء الرهبان من المسيجين عن الحرب والعنف، بل ينبذونها ولا يحبونها بأي حال من الأحوال، فمدلول حياتهم وفق ما تحمله الكلمة هو ترك الاشتغال بالحياة الدنيا واعتزال الناس والاشتغال بالنفس.

ونجد التسامح المسيحي كتطبيق وتحقيق لمبتغى العهد الجديد ووصايا المسيح عليه السلام، هو **عدم التمييز** بين الناس وتفعيل **المساواة** بين الجميع، سواء كانوا مؤمنين بالمسيحية أو غرباء عنها، فالأخلاق المسيحية **توجب الإكرام للناس جميعا، والحب للأخوة بشكل خاص، وهو أمر مقبول من حيث المبدأ ، فكل إنسان يسعى أن يُكرم ويُحترم ولا تلازم بين المحبة والإكرام**[(2)].

فالإكرام والاحترام، من الممارسات التي صارت تتحقق عمليا، ولعلى تلاميذ المسيح عليه السلام لقنوا الناس دروسا في الإخاء وعدم التمييز والمساواة، وبلا ضين أو احتقار وخاصة الفقراء و المحرومين من الناس، فكما نعلم أن الاحتقار والظلم لا يقع إلا عليهم[(3)]

---

(1) أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، (ط1)، 2004، ص12.

(2) الشنيير، المرجع نفسه، ص151.

(3) فلذلك جاء في رسالة يعقوب: {٢فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ إِلَى مَجْمَعِكُمْ رَجُلٌ بِخَوَاتِمِ ذَهَبٍ فِي لِبَاسٍ بَهِيٍّ، وَدَخَلَ أَيْضًا فَقِيرٌ بِلِبَاسٍ وَسِخٍ ،٣فَنَظَرْتُمْ إِلَى اللاَّبِسِ اللِّبَاسَ الْبَهِيَّ وَقُلْتُمْ لَهُ : «اجْلِسْ أَنْتَ هُنَا حَسَنًا»وَقُلْتُمْ لِلْفَقِيرِ: « قِفْ أَنْتَ هُنَاكَ » أَوِ : «اجْلِسْ هُنَا تَحْتَ مَوْطِئِ قَدَمَيَّ»٤فَهَلْ لاَ تَرْتَابُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ ، وَتَصِيرُونَ قُضَاةَ أَفْكَارٍ شِرِّيرَةٍ}(يع2: 2-4)

وهذا النهي إن دلّ على شيئا فإنما يدل على دعوة الأتباع إلى الخضوع لتعاليم السماحة المسيحية .

فخلاصة القول في هذا الفصل هو أن الفكر المسيحي الديني خلّف لنا اتجاهين لا ثالث لهما وهما :

* **الأول** يؤمن بالتسامح والاخلاق ونبذ العنف، طائفة اتبعت التعاليم المسيحية المستمدة من الكتب والوصايا المقدسة بلا قتل بلا نزاعات لا سيف، وإن لطموا أو تم الاعتداء عليهم أو نهبوا أو اضطهدوا، هؤلاء اختاروا حياة الفقر مع الفقراء والزهد والترفع عن الحياة باعتزال العالم وشرّه، حتى أنهم طافوا الأمصار يعلمون الناس، بلا زواج، بلا اندفاع عن العالم، أو التمسك بها، وهذه الفئة هي ما تمثل تيار التسامح واللا عنف .

* **الثاني** من تعلّم نفس المبادئ والوصايا، وانتهجوا نفس التقاليد الكنسية، لكن عمليا كانوا عكس الطائفة الأولى، فنهبوا وسرقوا وقطعوا الطريق، وقتلوا الناس وأحرقوا القرى ودمروا البلدان، وأهلكوا البشر، وأبادوا الكبار والصغار، ولم يسلم منهم لا صغير ولا كبير، ولا مسيحي ولا غيره وهذه الطائفة تمثل تيار العنف واللا تسامح المسيحي[1].

---

[1] ألبير بايه، المرجع نفسه، ص ص116-117.

الفصل الثاني : جدل العنف والتسامح في الفكر الاسلامي.

لقد عرف الفكر الديني الإسلامي جدلا كبيرا وواسعا، على مستوى علاقات المسلمين مع بعضهم، ومع غيرهم، جعل ذلك يشكل جدلية حول وصف هذه العلاقات ما بين الغلو والاعتدال، أو ما تعرف بالعنف والتسامح ما يجعل الباحث يطرح على نفسه أسئلة حول مصدرية هذه الأعمال والتصرفات وشرعيتها.

فلا شك أن الفكر الاسلامي شبيه بالفكر الديني السابق الذي عرضناه في الفصل الأول، من حيث التأويل واستلهام النصوص من الكتب المقدسة، المعتبرة والمعلومة بالضرورة، فلهذا نجد أن الكثير من الفرق والجماعات الاسلامية تدعي أنها تعود لمصادر الفكر الاسلامي في إصدار الأحكام وتنزيلها تطبيقا، أو يدعون أنه ينظّرون لذلك من خلال النصوص الدينية المتعددة، ما ولّد لنا تيارين متناقضين ومتناحرين فيما بينهما، والجدل جلي وواضح من أعمالهما وأشكال تعاملهما مع المسلمين، فتشكلت بذلك ذهنية التخاصم من خلال الصراعات التي ارتبطت برغبات مختلفة[1].

في هذا الفصل سنعرض فيه جدلية العنف والتسامح في الفكر الديني الاسلامي سيكون مقسما إلى ثلاث مباحث أساسية، نتناول في المبحث الأول مصادر التشريع في الفكر الاسلامي وفي المبحث الثاني يُخصص لتاريخ وأشكال العنف ونشأته في الفكر الاسلامي معه بعض النماذج، أما المبحث الثالث فسيكون خاص بالتسامح في الفكر الاسلامي منابعه من الكتاب والسنة وأشكاله مع المسلمين والآخر مع بعض القصص والنماذج.

[1] ابراهيم محمود، الفتنة المقدسة عقلية التخاصم في الدولة العربية الإسلامية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1999، ص59.

المبحث الأول: مصادر الفكر الإسلامي.

إنّ الفكر الديني الإسلامي مقترن بمصادر ومستندات نصية دينية تحدد طريقة التعامل والتصرف في الواقع، بل لا يوجد أمر إلا وله ما يستند عليه، فلقد اتفقت كلمة العلماء على أنّ كل ما يحدث للناس من وقائع في هذه الحياة لها في الشريعة الاسلامية أحكام، وهذه الأحكام يُعرف بعضها من نصوص في القرآن والسنة، ويُعرف بعضها من دلائل أخرى أرشد إليها الشارع الإسلامي ليتعرف بها حكم ما لم يدل على حكمه نص في القرآن أو السنة[1].

فكل الأوامر التي يتّبعها المسلمون مستمدة من مصادرها كما ذكرها الدكتور عبد الوهاب خلّاف[2]، وحتى في القرآن الكريم ما يدل على ذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾{النساء:59}

المطلب الأول: القرآن الكريم المفهوم الدلالة والأقسام.

يُعتبر القرآن الكريم أول مصادر التشريع الإسلامي وأهمها، بل هو المصدر الأساسي، **من غير خلاف بين العلماء فهو من عند الله عز وجل أساس التشريع ومصدره**[3] وباقي المصادر متعلقة به، ومستفردة بأحكامه شرحا وتأويلا.

فالسنة شارحة له في الكثير من المواضع حتى قالت عائشة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ: **(كان خلقه القرآن)**[4]، وباقي المصادر إما متعلقة بالقرآن مباشرة قياسا و

---

(1) عبد الوهاب خلاف، مصادر التشريع الاسلامي فيما لا نص فيه، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 131.

(2) نفسه

(3) عباس شومان، مصادر التشريع الإسلامي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، (ط1)، 2000، ص35.

(4) أخرجه أحمد في مسند عائشة، برقم24601.

استدلالا وتأويلا ومقاربةً، وإما متعلقة بالسنة إجماعاً أو جمهوراً، وفي هذ المطلب سنتوقف على مفهوم القرآن وأقسامه ومحتوياته.

أولاً: القرآن الكريم المفهوم والدلالة.

يتضح تعريف القرآن من حروف مصطلحه التي تشكّل نفس حروف الفعل قَرَأَ وهي كلمة نزولا من خلال الوحي، عن طريق جبريل عليه السلام في سورة العلق، لذلك يعرفه ابن منظور في لسان العرب: **(قَرَأَهُ يَقْرَؤهُ و يَقْرُؤهُ الأَخيرة عن الزجاج قَرْءاً وقِراءة وقُرآناً الأُولى عن اللحياني فهو مَقْرُوءٌ... وقَرَأْتُ الشيءَ قُرْآناً جَمَعْتُه وضَمَمْتُ بعضَه إِلى بعض)**[1]، فالقرآن بمعنى القراءة و الجمع والضم لبعضه بعضا.

ثم يضيف وهو**(اسم لكتاب اللّه مثل التوراة والإِنجيل ... وسمي القرآنَ لأَنه جَمَعَ القِصَصَ والأَمرَ والنهيَ والوَعْدَ والوَعِيدَ والآياتِ والسورَ بعضَها إِلى بعضٍ وهو مصدر كالغُفْرانِ والكُفْرانِ)**[2]، فالقرآن تمييز لكتاب الله تعالى الذي أنزله على النبي ﷺ مثلما يُميز التوراة الذي أنزل على موسى عليه السلام أو الإنجيل الذي أُنزل على عيسى عليه السلام أو الزبور الذي أنزل على داوود عليه السلام، ومن خلال اسمه تدرك أنه مصدر للفعل قرأ.

وفي كتاب مباحث علوم القرآن يعرّفه مناع القطّان: (**" قَرَأَ " تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة ضمُ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة ، مصدر قرأ قراءة و قرأناً قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾، أي قراءته، فهو مصدر على وزن" فُعلان")**[3].

---

(1) ابن منظور، المصدر نفسه، (مج12)، مادة قرأ، ص51.

(2) نفسه.

(3) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، (ط7)، 1995، ص ص14-15.

والقرآن الكريم هو آخر الكتب نزولا وناسخها، وهو المصدر الأول في تشريع الأحكام والفتاوي وغيرها من متطلبات الشرع الدنيوية، يعرّفه الدكتور **محمد علي الصابوني** في **التبيان** بأنه(**كلام الله المعجز، المنزّل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس)**[1].

كما نجد أنه يرد بعدة أسماء وأوصاف كلها تدل عليه وتشير إلى محتواه فمن الأسماء القرآن، والفرقان، والتنزيل، والذكر، والكتاب ومن الأوصاف نجد نور، رحمة وشفاء، وموعظة، وعزيز، ومبارك وبشير ونذير[2]، وأسمائه مذكورة في القرآن الكريم فلفظ **القرآن** ورد في قوله تعالى:﴿**قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١**﴾{**ق: 1**}.

ولفظ **الفرقان** ورد في قوله تعالى: ﴿**تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١**﴾{**الفرقان:1**}، و**التنزيل** في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٩٢**﴾ {**الشعراء: 192**}، أما **الذكر** فورد في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩**﴾(**الحجر : 9**)، و**الكتاب** فجاء ذكره في قوله تعالى: ﴿**حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢**﴾(**الدخان : 2-3**).

وأما وصف القرآن ومحتوى القرآن من آيات وقصص فقد جاءت في مواضع كثيرة في القرآن، بل تكاد تجدها في معظم السور القرآنية، فمنها وصفه **بالنور** و**البرهان** ما ورد في قوله تعالى : ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ۝١٧٤**﴾ {**النساء: 174**} ، وأما وصفه **والموعظة** و **الهدى** و**الرحمة** فجاء ذكر ذلك في

(1) الصابوني محمد علي، التبيان في علوم القرآن، مكتبة البشرى، كراتشي، باكستان، (ط2)، 2010، ص9.
(2) نفسه، ص10.

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾{يونس: 57}.

ثانيا: القرآن، خصائصه، أقسامه وحروفه.

إنّ القرآن الكريم بوصفه كتابا ومصدرا خاصا لتشريع الفكر الدين الاسلامي منذ بداية الاسلام له خصائص يتميز بها عن سائر الكتب والرسائل، فمنها أنه كتاب **مُعجز**[1] بآياته، وهذا الإعجاز الذي حيّر الناس جميعا على مرّ العصور، فلم يستطع إنس ولا جان من قبل أن يأتي بمثله، ولو بآية أو سورة، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾{الاسراء:88}.

وفي هذا يقول **الزرقاني** في **(مناهل العرفان)**: **(وهنا نلفت النظر إلى أن القرآن بما اشتمل عليه من المعجزات الكثيرة، قد كُتب له الخلود فلم يذهب بذهاب الأيام، ولم يمت بموت الرسول ﷺ ، بل هو قائم على فم الدنيا يُحاج كل مكذب، ويتحدى كل منكر)**[2] والأمثلة كثيرة ومتنوعة عن من أراد أن يأتي بمثله من فحول العرب والأدب ولكنه عجز وأقرّ بعجزه، مثل مسيلمة و الأسود العنسي وسُجاح وحتى ابن المقفع، وغيرهم.

نجد كذلك من خصائص القرآن **الشمولية**، فهو كتاب مطلق للناس جميعا، ولم يختص العرب وحدهم ، فلذلك يقول الله على لسان نبيه: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ {الأعراف: 158}، كما

---

(1) أُنظر القطان، المرجع نفسه، ص31.

(2) الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (ج2)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، (ط3)، 1946، ص232.

أن القرآن الكريم يختص بأنه **قطعي الثبوت، ويُتعبد بتلاوته ويجب أداؤه بلفظه، وفي ذلك يمتاز عن الحديث القدسي والسنة النبوية**[1].

وينقسم القرآن الكريم إلى قسمين رئيسين ألا وهما القرآن المكي وما نزل في مكة وكذلك المدني ما نزل في يثرب أو المدينة المنورة والذي يقرأ القرآن يجد للآيات المكية خصائص ليست للآيات المدنية في وقعها ومعانيها وإن كانت الثانية مبنية على الأولى في الأحكام والتشريع فحيث كان القوم في جاهلية تعمى وتصم، يعبدون الأوثان ويشركون بالله و ينكرون الوحي ويكذبون بيوم الدين وحين تكونت الجماعة المؤمنة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وهاجرت بدينها نرى آيات المدينة طويلة المقاطع تتناول أحكام الإسلام وحدوده وتفصّل أصول التشريع وتضع قواعد المجتمع وتحدد روابط الأسرة، وصلات الأفراد وعلاقات الدول والأمم[2].

إذا فالفكر الديني الإسلامي تكون بعد المرحلة الأولى (المكية) التي تسرد أخبار الأمم السابقة وتُعرّف بالإسلام، أما في المرحلة الثانية (المدنية) ففيها ملامح الدولة الاسلامية الكاملة الأركان، ففي هذه المرحلة صار الناس يعرفون أمور دينهم، ويتبعون سنة النبي ﷺ ، ويخضعون لأحكام الكتاب والسنة.

وفي القرآن الكريم نجد كذلك مجموعة قراءات تخص لفظه، وتعني كل مصر من أمصار الدول الإسلامية من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، وكان للعرب لهجات متعددة اكتسبوها من فطرتهم، واقتبسوا بعضها من جيرانهم وكانت لغة قريش لها الصدارة والذيوع وكان القرشيون يقتبسون بعض اللهجات والكلمات التي تعجبهم من غيرهم وكان من الطبيعي أن ينزل الله أحكم الحاكمين باللغة التي يفهمها العرب أجمع[3].

---

[1] القطان، المرجع نفسه، ص31.

[2] نفسه، ص ص46-47.

[3] الصابوني، المرجع نفسه، ص209.

وجزيرة العرب والمناطق المحيطة بها كان لهم اختلاف بين المنطوق من الألفاظ والكلمات، فالاختلاف جلي في الخفض والرفع والنصب وغيرها من أصول اللغة العربية فلذلك بعد أن نزل القرآن الكريم على حرف واحد وهو لسان مكة، شقّ ذلك على باقي الأمصار التي تجد حرجا في تقليد لسان مكة، فالنبي ﷺ راجع الله حول المسألة حتى نزل على سبعة أحرف تخص جميه الألسن واللهجات العربية، قال رسول الله ﷺ في الحديث: **(اقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل استزيده و يزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف•)** [1]، وقرأ كل مصر بما في مصحفهم وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ[2]، فالاختلاف الموجود في القراءة وليس في الآيات كما يتوهم البعض.

ثالثاً: القرآن ومكانته في التشريع الإسلامي والتأصيل الفكري.

مصادر الفكر الديني الإسلامي كلها ترجع إلى مصدر واحد وهو النص المقدس الذي لا جدل فيه ولا لُبس فيه، وهو القرآن الكريم فلذلك يؤكد العلماء وعلى رأسهم الشافعي الذي يؤكد على أنّ الأحكام لا تؤخذ إلا من نص أو من حمل على نص فالبيان والتأصيل والتشريع تعود كلها لله سبحانه في محكم تنزيله.

ومالم يوجد في الكتاب بنص صريح فالرجوع للسنة وإلا فباب الاجتهاد في المنزلة الأخيرة حسبه وهو المعروف بالقياس[3]، فالقرآن الكريم هو**(المصدر الأول من الأدلة الشرعية، كلي الشريعة وأصل أصولها وينبوع رسالتها وهدايتها﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ**

• وهي القراءات المنسوبة إلى الأئمة السبعة المعروفين وهم: نافع، وعاصم، وحمزة، وعبد الله بن عامر، وعبد الله بن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وعلي الكسائي، والقراءات العشر هي هذه القراءات السبع وزيادة قراءات هؤلاء الثلاثة: أبي جعفر ويعقوب وخلف، اُنظر، الزرقاني، المرجع نفسه، (ج1)، ص416.

(1) أخرجه البخاري، كتاب بدأ الخلق، برقم:3219.

(2) الزرقاني، المصدر نفسه، (ج1)، ص414.

(3) اُنظر، الشافعي محمد بن إدريس، الرسالة، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، (ط1)، 1938، ص ص20-21.

مِن شَيْءٍ﴾، ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾،﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1].

فالكتاب هو المصدر الأول وذلك للأحكام الواردة فيه من خلال الآيات والسور المكية والمدنية التي عالجت النفس البشرية بهداية السماء، وأخذت الناس بالأساليب الحكيمة التي ترقى بنفوسهم في سلم الكمال، وتدرجت بهم في الأحكام التي يستقيم بها منهج حياتهم على الحق، وتنتظم شؤون مجتمعهم على الطريق الأقوم[2].

المرجعية الأولى للمسلمين في جميع الشؤون الاجتماعية والسياسية والعلاقات بينهم وبين الآخرين من اليهود والنصارى، وغيرهم ممن لم يؤمن بالإسلام والشؤون الأسرية تعود إلى القرآن، فالبداية كانت بترسيخ مبادئ العقيدة والإيمان بالله والملائكة والكتب السماوية المنزلة قبل القرآن والرسل واليوم الآخر، ثم الدعوة إلى إقامة الأخلاق الطاهرة وتحسين التعامل وتزكية النفوس وتبيان قواعد الحلال والحرام (الأوامر والنواهي)، ثم تدرج الأمر إلى أن وصل إلى علاج ما تأصل في النفوس من أمراض اجتماعية[3].

والكتاب جاء بثلاثة أنواع من الأحكام **الاعتقادية** التي تتعلق بالإيمان، **الخُلقية** التي تتصل بالفضائل ومكارم الأخلاق•، و**العملية** التطبيقية التي تتعلق بما يصدر من المسلم من فعل أو قول، ونصوصها تختص بالعبادات والكفارات وأحكام الأسرة والمعاملات

---

(1) الصالح محمد أديب، مصادر التشريع الإسلامي ومناهج الاستنباط، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2002، ص68.

(2) القطان، المرجع نفسه، ص70.

(3) نفسه، ص ص106-107.

• وهو الجزء الذي يشتمل على موضوع بحثنا المتعلق بطبيعة العلاقات والتعامل مع المسلمين والآخر والحوار والجدال والعيش المشترك وغيرها من المواضيع التي تهتم بالجانب الأخلاقي للمسلمين.

والعقوبات وأحكام السلم والحرب وعلاقة الحاكم بالمحكوم وما يقتضيه ذلك من حقوق وواجبات[1].

القرآن بحكم تصدره مرجعية الفكر الاسلامي انتهج طريق خاص في الاصلاح للبشر قصد الاتباع والخضوع بُغية تحقيق أولى وأسمى الغايات الانسانية، بل وسلك سياسة حكيمة وصل بها من مكان قريب إلى ما أراد الله من هداية الخلق، فتذرع بجميع الوسائل المؤدية إلى نجاح هذا الاصلاح الوافي بكل ما يحتاجه البشر[2].

ودليل إلزامية الاتباع لكتاب الله كمصدر أول للتشريع والتأصيل لمختلف الأحكام والفتاوى، هو ما جاء ذكره في الوجيز في ترتيب المصادر والمرجعيات ما نقله الدكتور وهبة الزحيلي من ترتيب المصادر بدءاً بالقرآن ثم السنة ثم الاجماع ثم القياس عملا بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ **{النساء: 59}**، فالأمر باتباع الله والرسول هو أمر باتباع الكتاب والسنة في مجالات العلم والشرع وغيرها[3].

المطلب الثاني :السنة ومنزلتها في تشريع الفكر الإسلامي.

تأتي السنة في المرتبة الثانية من حيث التشريع للفكر الديني الاسلامي، فهي تُعد في منزلة القرآن عند الجمهور من العلماء وأصحاب المذاهب الفقهية والأصوليين، ما عدا بعض الفرق الاسلامية والكلامية مثل المعتزلة والجهمية والخوارج على العموم، ومن

---

[1] الكبيسي أحمد عبيد، أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي، دار السلام، دمشق، سوريا، (ط3)، 2004، ص58.

[2] الزرقاني، المرجع نفسه، (ج2)، ص361.

[3] وهبة الزحيلي، أصول الفقه الاسلامي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، (ط1)، 1986، ص ص21-22.

أجل تنظيم شؤون الفرد يقوم الفكر الديني الاسلامي على احترام السنة و اتباعها والعمل بمقتضى أوامر و زواجر النبي ﷺ وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾{الحشر:7}.

وهذا لتبيان منزلة السنة وتأثيرها في التشريع الاسلامي وبناء الفكر الديني لدى المسلمين بل حتى الاتباع لأفعال النبي ﷺ وما يقوم به وتقليده في كل شيء كان يُعتبر أصلا في التشريع عند المالكية وهو ما يعرف بعمل أهل المدينة.

أولا: السنة المفهوم والدلالة والأقسام.

السنة هي كلمة قديمة الاستعمال، معروفة عند العرب ، ففي **اللغة** جاء تعريفها في لسان العرب بأنها السيرة الحسنة، وما أطلق في الشرع يقصد به سنة النبي ﷺ، وما أمر به ﷺ ونهى عنه، وندب إليه قولا وفعلا مما لم ينطق به القرآن الكريم، كما تعني الطريقة وهي مأخوذة من السَّنن وهو الطريق أو المسلك والأصل في ذلك ما انتهجه الأوائل في سلك الطريق[1]، فالسنة في مفهومه الشرعي هي مسلك النبي ﷺ في التعامل مع الأمور والمسائل المختلفة، فمن فعل مثله فهو سني ومن خالفه في ذلك فهو ليس سني، ويصطلح عليه بالمبتدع أي من انتهج طريقا جديدا غير معهود من ذي قبل.

والسنة عند **الفقهاء** ما رسم ليُحتذى به استحبابا، أي ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه[2]، وهي الندب واستحباب فعل الشيء، وقد تطلق عند الفقهاء والعلماء في

---

(1) ابن منظور، المصدر نفسه، (مج7)، مادة سنن، ص، ص277- 279.

(2) الكبيسي، المرجع نفسه، ص63.

مقابل البدعة[1]، كما تعرف عندهم كذلك بأنها كل ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة[2].

وعند **الأصوليين** هي ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير إذ أن النصوص الشرعية في هذه الأنواع الثلاثة هي التي تُستنبط منها الأحكام[3]، وتحمل على رتبها من وجوب وندب أو إباحة أو تحريم أو كراهة حسب ما يقتضيه الفعل أو القول أو التقرير[4]، وبمعنى آخر كل ما صدر عن الرسول ﷺ من الأدلة الشرعية مما ليس بمتلو(أي من القرآن)، ولا هو معجز، ولا داخل في المعجز[5].

وعند **علماء الحديث** تعني السنة كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خُلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[6].

المُلاحظ أن السنة ثلاثة أقسام، القولية وهي كل ما صدر من النبي ﷺ من قول صريح بلفظ ومعنى، كالنصح والنهي والأمر وغيرها، والفعلية هي كل ما صدر منه ﷺ من أعمال وتصرفات بدنية وحركات، والتقريرية هي كل ما سكت عنه النبي ﷺ أو استحسنه ولم يفعله[7].

(1) البراجيلي متولي، دراسات في أصول الفقه "مصادر التشريع"، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2010، ص80،
(2) مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي، دار الوراق للنشر والتوزيع، (د.ت)، ص65، اُنظر، الزحيلي، المرجع نفسه، ص450.
(3) الديب، المرجع نفسه، ص109.
(4) البراجيلي، المرجع نفسه، ص77، الكبيسي، المرجع نفسه، ص 65، السباعي، المرجع نفسه، ص65.
(5) الزحيلي، المرجع نفسه، ص450.
(6) السباعي، المرجع نفسه، ص65.
(7) الكبيسي، المرجع نفسه، ص66.

ثانيا: السنة وتأسيس الفكر الديني الإسلامي.

إن الفكر الديني الإسلامي يقترن ويتمسك بالسنة على أساس المصدر الثاني له، بل هي الأصل عند جميع المذاهب الفقهية المشهورة•، فمن دونها لا يمكن للمسلم أن يؤتمن كلامه أو أفعاله حتى و لو تمسك بالكتاب وجاءت السنة لتعبر عملياً و تطبق مبادئ الدين و أحكامه كما أمر بها الله عز و جل.

فلذلك أُطلقت على طريقة النبي ﷺ وطريقة اصحابه بمعنى أنها تطلق على ما دل عليه دليل شرعي، وهي تعطي التزاما للتطبيق العملي لمبادئ الدين وأحكامه كما أمر الله و بيّن الرسول ﷺ(1)، فالفكر الإسلامي يستند كثيرا على السنة ويعود إليها كمرجعية أساسية في التعامل مع المسلمين وغير المسلمين في شؤون الحياة السياسية والاجتماعية والدينية فهي تبين مبهم القرآن وتفصل مجمله و تخصص عمومه و تبين ناسخه من منسوخه وتضيف أحكاما لفرائض ثبت أصولها بالقرآن الكريم(2).

المطلب الثالث: الإجماع وحجيته في تشريع الفكر الإسلامي.

الإجماع هو ثالث مصادر تشريع الفكر الإسلامي بعد الكتاب والسنة، كما يُعتبر قديما بالمقارنة مع المصادر غير النصية ونقصد بذلك القياس والاستحسان والمصالح المرسلة، وبدأ العمل به بعد وفاة النبي ﷺ في المدينة بين الخليفة وأهل الشورى، فعمليًا كان بعد عرض الواقعة أو الحدث الذي لم يجدوا له حكم أو فتوى في القرآن الكريم والسنة النبوية، فيجتمع خليفة المسلمين في الصدر الأول بمجموع الصحابة• المشهود لهم

• ونقصد بها المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة وهي مذهب الأمام أبي حنيفة النعمان الكوفي، ومذهب الإمام مالك بن أنس المدني، والإمام مذهب الشافعي محمد بن إدريس العسقلاني، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل البغدادي.

(1) الصالح، المرجع نفسه، ص108.

(2) شومان، المرجع نفسه، ص56.

• وقد استمر الأمر من بعد الصحابة رضي الله عنهم، فصار الإجماع أمرا معلوما بالضرورة وقد مرّ على مراحل صنفها العلماء إلى أربعة مراحل في عصور مختلفة وهي عصر الصحابة وتعتبر المرحلة الأولى التي يعتمد فيها=

بالعلم والحكمة، فيُجمعون على حكم الواقعة المعروضة، مستندين إلى آثر أو رأي يراه فيوافق الباقون على ذلك[1].

أولا: الإجماع التعريف والمفهوم.

جاء تعريف الاجماع في لسان العرب باللّم فيقول ابن منظور: **(جمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعا وجمّعه وأجمعه فاجتمع واجتمع وهي مضارعة وكذلك تجمّع واستجمع والمجموع هو ما جمع من هنا وهناك وإن لم يجعل كالشيء الواحد)**[2]، كما أن الإجماع له معنيين في اللغة، الأولى ما أتى به ابن منظور، و الثانية الاتفاق، فأجمع القوم على شيء أي اتفقوا عليه ومنها قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾{يونس:71}[3].

أما في الاصطلاح فقد اختلف الأصوليون في معناه وشروطه وأنواعه والذي عليه الأكثرون في تعريفه هو **(اتفاق مجتهدي الأمة بعد وفاة محمد ﷺ في عصر من العصور على حكم شرعي في واقعة من الوقائع)**[4]، أو**(اتفاق أهل الحل العقد من أمة محمد ﷺ على أمر من الأمور الشرعية)**[5]، فالإجماع يكون بذلك اتفاق مجموعة من الصحابة أو العلماء في أي عصر لمناقشة قضايا الأمة وحوادثها وشؤون الرعية، في مسائل لم يرد ذكرها في السنة والقرآن، فيسمى ذلك الاجتماع بالإجماع.

وهو ثلاثة أقسام يكون بقول وفعل وبقول وإقرار وبفعل وإقرار، فأما القول فهو اتفاق الجميع على حكم واحد ويقولون جماعة بأن هذا مباح أو مكروه أو صحيح أو فاسد

=الإجماع، ثم عصر التابعين ثم عصر الاجتهاد، ثم عصر فقهاء المذاهب الأربعة، اُنظر، الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، المرجع نفسه، ص ص487،488.

(1) نفسه، ص90.

(2) ابن منظور، المصدر نفسه،(مج3)، مادة جمع، ص196.

(3) الزحيلي، مصادر التشريع الإسلامي ومناهج الاستنباط، المرجع نفسه، ص153.

(4) نفسه، ص153.

(5) شومان، المرجع نفسه، ص90.

وباطل، أما بالفعل فكأن يفعل الجميع نفس الفعل ويقومون بنفس العمل، وأما الإقرار فهو أن يقوم البعض بشيء أو يقوله و يبلغ ذلك الباقين فلا ينكرونه بل يسكتون على ذلك.

وهكذا يصير الإجماع على شقين صريح الدلالة وهو اتفاق جميع المجتهدين على الرأي قولا وفعلا وهو بيّن و جلي، والشق الثاني هو الإجماع السكوتي وهو تقرير البعض لفعل البعض أو تقرير البعض لعمل البعض الآخر[1].

ثانياً: حجية الإجماع في تأصيل الفكر الإسلامي.

الإجماع له أهمية كبيرة جدا في تشريع الفكر الإسلامي، حيث يكون حجة على الجميع، لأن النبي ﷺ أوصى باتباع الصحابة من بعده، والإجماع قد وقع من الصحابة في الكثير من الأحكام والعديد من الوقائع المُثبتة في كتب الفقه والأصول[2].

فانعقاد الإجماع وتقرير حُكم لا يوجد في الكتاب أو لم تشتمل عليه السنة، يصير من بعد ذلك مُلزماً و واجب الاتباع ولا تجوز مخالفته• وليس لأي أهل عصرٍ مخالفته أو نقضه، لأنه قد أصبح حكما قطعيا لا يقبل النقض أو النسخ••، وتثبُت المراد به، كالقرآن والسنة[3].

ولقد اتفق الجمهور على أن الأمة لا تجتمع على الحكم إلا عن مأخذ ومستند، وهذا أمر يتناسب مع من مسلمات هذه الشريعة وهي أن الحاكمية لله وحده، وليس لأحد سواه

---

(1) نفسه، ص94.

(2) الصالح، المرجع نفسه، ص157.

• والإمام مالك رحمه الله يعتبر الإجماع أمرا مقدسا لا يعلى عليه، فقد قال "إجماع أهل المدينة حجة" أي إذا كانوا من الصحابة أو من التابعين دون غيرهم، انظر، الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، المرجع نفسه، ص505.

•• ويرى بعض العلماء من أشهرهم الإمام أحمد رحمه الله أن الإجماع لا يعد مصدرا من مصادر التشريع واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ۝٢٨﴾ ووجه الدلالة فيما ذهبوا إليه أن الإجماع يعتمد على الرأي والرأي يفيد الظن، والظن لا يغني من الحق شيئا، اُنظر، شومان، المرجع نفسه، ص66.

(3) الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه، المرجع نفسه، ص50.

في هذا المنصب حتى رسول الله ﷺ فيما يأخذ وفيما يذر وفي إطار التشريع إنما يقول ويفعل بما يوحى إليه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾{النجم:3-4}[1].

وعلماء الأصول وأصحاب التصنيف، الذين يُثبتوا مرجعية الإجماع كمصدر فعّال ومهم جدا في تشريع الفكر الديني الإسلامي، يُؤكدون أنه يأتي في درجةٍ لا تقلُّ شأناً من السنة، واستدلوا على حجيته بما ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ {**النساء: 115**}.

والمفهوم من هذه الآية أن اتباع غير سبيل المؤمنين هو مخالف للهدي النبوي الشريف، وفيها وعيد، وفي ذلك يقول السمعاني في تفسيره: **(واستدل أهل العلم بهذه الآية على أن الإجماع حجة)**[2]، وكذلك يستدل الأصوليون بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾{**النساء: 59**}.

ويتفق أهل العلم من المسلمين أن أولي الأمر في السياسة هم الحكام وفي العلم والاجتهاد في الدين هم العلماء المجتهدون، فإذا اتفق أولو الأمر في الاجتهاد التشريعي وهم أرباب الاجتهاد على حكم، وجب اتباعه والالتزام بحكمهم وتنفيذه بنص القرآن بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾ {النساء: 83}[3].

---

(1) الكبيسي، المرجع نفسه، ص100.

(2) السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد، تفسير القرآن، (مج1)، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 1997، ص479.

(3) الزحيلي، الوجيز في أصول الفقه، المرجع نفسه، ص51.

وأما حجية الإجماع من السنة فورد الكثير من الأحاديث التي توصي التمسك بالجماعة والانقياد لأحكامهم، وفتاويهم في مسائل الدين والمجتمع منها ما جمعه الدكتور **وهبة الزحيلي** في كتابه **الوجيز** ما نصه: **(من هذه الأحاديث " لا تجتمع أمتي على خطأ "، " إن الله مع الجماعة "، " لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله "، " من فارق الجماعة شبرا فمات مات ميتة جاهلية"، "إن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد")**[1].

وكذلك نجد بعض الأحاديث التي تحبب المسلمين في لزوم الجماعة واتباعهم في أمور دينهم ودنياهم وعدم مفارقتهم كالحديث الذي قال فيه ﷺ: **(عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن)**[2] وقد قال الشافعي رحمه الله عن هذا الحديث: **(إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان قوم متفرقين)**[3].

فالإجماع في مراحله الأولى كان ولابد منه لجمع المسلمين على كلمة واحدة، وحتى لا يتفرقوا في مسائل الدين المختلفة التي لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ. ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: **(فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسنا، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ)**[4]، وهكذا ساد الإجماع في الكثير من المسائل مثل مسألة سواد العراق بين الغانمين في

(1) انظر الزحيلي، وجيز في أصول الفقه، المرجع نفسه، ص52.

(2) أخرجه الترمذي، أبوا الفتن، برقم:2165.

(3) البراجيلي، المرجع نفسه، ص222.

(4) أخرجه أحمد، في مسند عبد الله بن مسعود، برقم:3600.

خلافة عمر[1]، أو كقتال المرتـدين، وعـدم بيـع أمهـات الأولاد، وتوريـث الجـدة، وغير ذلك من إجماعات الصحابة رضـوان الله علـيهم[2]، ومـن حـذا حـذوهم مـن بعـدهم، فلـذلك قـال تعـالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾{آل عمـران:110}، لـذا فالإجمـاع لا يـرتبط بعصر الصحابة فقط كما يؤكد ذلك الزحيلـي وبقـول الجمهـور، فإجمـاع المجتهـدين فـي أي عصـر يعتبـر حجـة، ولا يخـتص ذلـك بعصـر الصـحابة فقـط[3].

---

(1) أُنظر، الصالح، المرجع نفسه، ص ص168–169.

(2) أُنظر، شومان، المرجع نفسه، ص65.

(3) الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، المرجع نفسه، ص532.

المبحث الثاني: العنف والتطرف دوافعه وأشكاله في الفكر الإسلامي.

لا شك أن العنف بغيض ومذموم لما ينجر عنه من أعمال وحشية وممارسات لا إنسانية ويقود إلى الحروب الفتاكة والمعارك الطاحنة التي تُزهق فيها الأرواح وتُخرب فيها البلدان، ولكن وللحقيقة فهي سنة بشرية وتعتبر من مظاهر تنازع البقاء[1]، فالعنف وصف ملازم للإنسان في الحياة، مهما كان انتماؤه الأيديولوجي أو عقيدته الدينية، ولهذا فإننا لا نستغرب أن نجد صفحات التاريخ الإسلامي تحتوي على العديد من أعمال العنف والتطرف الكثيرة والمتنوعة، فقد أخبر النبي ﷺ بذلك في الحديث في قوله: ﴿**يُقبض العلمُ ويَظهرُ الجهلُ والفتنُ ويكثرُ الهَرَجُ، قيل: يا رسول الله وما الهرج؟ فقال هكذا بيده؛ فحرفها كأنه يريد القتل**﴾[2].

موضوع العنف وما يحتويه من دلالات ومعاني مقاربة، له الصدى الكبير في العالم الإسلامي اليوم، وهو سؤال الراهن لما يُشكله من تأثير على وضعية المسلمين وصورة الإسلام على مستوى العالميْن الإسلامي والغربي، فالإسلام اليوم تُوجه له أصابع الاتهام في كل مرة بأنه دين عنف وبأنه مهد الجماعات المتطرفة في مختلف بقاع العالم فتجذّر عن ذلك مصطلح جديد في الثقافة الغربية وهو مصطلح **الإسلاموفوبيا**[3] فصار بذلك اتهاما يُطلق على المسلمين اليوم وفي كل مرة.

---

[1] وهبة الزحيلي، أثار الحرب في الفقه الإسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريا، (ط3)، 1998، ص56.

[2] أخرجه البخاري، كتاب العلم، برقم: 85.

[3] خاصة بعد مرحلة سقوط الاتحاد السوفياتي وهجمات 11 سبتمبر ولعلى هذا ما تحدث عنه ميشال فوكو وحقبة ما بعد مرحلة الحرب الباردة، فصورة الإسلام في الغرب ليست مثالية ولا طاهرة لعدة أسباب ثقافية وفكرية فلذلك تجد مكتبات الغرب مليئة بالكتب التي تحرض على الإسلام وتحذر منه، اُنظر، معتز الخطيب، العنف المستباح، دار المشرق، القاهرة، مصر، (ط1)، 2017، ص113.

إن تأسيس العنف باسم الدين له تراكمات ونتائج مازالت موجودة في الفكر الديني بشكل عام، ولا يُستثنى من ذلك الإسلام ولا المسيحية ولا اليهودية وكلٌّ له دوافع وأسباب حتى وإن اختلفت النتائج في حصيلة الضحايا وتعداد المتضررين من ذلك.

المطلب الأول: دوافع وأسباب نشأة العنف في الفكر الإسلامي.

إنَّ بداية العنف في تاريخ الإسلام سُجِّلت في أول مراحل الدعوة النبوية، وكان ذلك في مكّة قبل انتشار الإسلام، والمُلاحظ أن المؤمنين بالدين الجديد الذي كان يُمثل خطرا على عُباد الأوثان في تلك المرحلة(قبل الهجرة)، والتي تميزت بضُعف المسلمين وقلتهم أدخل الخوف في نفوس المكيين، فمارسوا على المسلمين في شبه الجزيرة مختلف أنواع العنف وأشكاله وخطابات الكراهية وأنماط التطرف منها العنف البنيوي، الذي شكَّل حربا نفسيةً كبيرة على المسلمين.

رغم ذلك فالنبي ﷺ حرّم على نفسه العنف وحرّم الدفاع عن النفس[1]نظرا لحساسية المرحلة التي اتسمت بالضعف من جانب المسلمين، وبالقوة من جانب المشركين، ولا شك أن النبي ﷺ قد بنى مشروعية السلطة على مدى ثلاثة عشر عاما دون أن يضرب ودون أن يدافع عن نفسه لا هو ولا من اتبعه وكان يقول لهم: **(صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة)**[2]، وبعد التمكين في الأرض وبداية قيام دولة للمسلمين، وبعد استمرارية تماطل وتطاول العرب وتواصل ظلمهم للمسلمين، شرّع الله لهم حق الرد على من بدأهم بالعنف وفي ذلك يقول تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ٣٩**﴾{**الحج : 36**}، ويسجل هذا النوع ضمن نوع العنف المشرع المحتوم.

---

(1) محمد نفيسة، الإسلام و ظاهرة العنف، دار السقا، دمشق، سوريا، (ط1)، 1996، ص51.

(2) المرجع نفسه، ص50.

حصيلة قتلى الحروب التي دارت بين المسلمين وخصومهم في عهد الخلافة النبوية لا يتجاوز الألف على الأكثر ومن الجانبين (المسلمون وخصومهم)، بينما مخلفات العنف والتطرف وأشكالهما بعد وفاة النبي ﷺ من مرحلة ما بعد مقتل عثمان إلى يومنا هذا بمئات الآلاف على الأقل، ترى فما هو الدافع وما هي الأسباب التي ساقت المسلمين إلى ذلك؟.

هناك الكثير من الأسباب والدوافع التي كانت أصلا لتأسيس العنف الديني بين المسلمين منذ وفاة النبي ﷺ إلى يومنا، ومن أبرزها التأويل واختلاف القراءات الكثيرة لنصوص القرآن ما بين المحكم والمتشابه، وتفعيل نزعات العصبية والقبلية في الحكم والرياسة، والجهل بالاستنباط في سبيل الاجتهاد، والتعصب للأعراق وغيرها من الأسباب غير المباشرة، التي فرقت الأمة بعد جمعها، وتشتت الناس من بعد جمعهم فرقا وجماعات واختلفوا في أمور كثيرة في ميادين الفقه والاعتقاد والسياسة[1]، وقد أفضى كل هذا إلى النزوع بالسلاح واستعمال القوة كسبيل آخر لتحقيق كل طرف لما يراه، ما جعل الساحة الإسلامية دار حرب منذ قرون من الزمن.

وكل هذه الأشكال التي توصف بالعنف والتطرف لها أسباب كثيرة ودوافع كبيرة يمكن حصرها فيما يلي:

أولا: التأويل والاستنباط والتفسير بين المبالغة والانحراف.

تأويل النص الديني وقراءته على غير وجه، لم ينشأ حديثا بل كان له جذور تاريخية ضاربة في عمق المرحلة الأولى من الخلافة الإسلامية، ربما كانت أول دوافع ممارسة العنف الذي وصل إلى حد الاقتتال بين الصحابة وبين الأهل والأقارب من العشيرة الواحدة كما سنبين ذلك.

(1) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (ط2)، 2009، ص11.

مرجعية المسلمين الأولى هي الكتاب والسنة وهما المصدران الوحيدان اللذان يتفق حولهما معظم الفرق الإسلامية قاطبة والمذاهب الفقهية جميعا، إلا أننا نلمس نوعا ما تناقضا صريحا في التأويلات والقراءات المختلفة لنصوصهما، ما ولّد فتاوى و رُؤى دينية كانت باعثا مباشرا لممارسة العنف والتطرف على المسلمين أو بالأحرى الخصوم من الملة الواحدة، بل كانت أولى المراحل التأسيسية للعنف وبلا شك هي المرحلة الأولى التي تلت مقتل خليفة المسلمين **عثمان بن عفان رضي الله عنه**[1]، فانجر المسلمون بعد ذلك إلى قراءة القرآن وتفسيره كل على حسب ما يراه، وكل يتأول على حسب منظوره فوقع ما وقع في هذه المرحلة، التي تعتبر أقرب عهدا إلى مرحلة النبوة.

يتميز تأويل المرحلة الأولى من الخلافة الإسلامية بعد مقتل عثمان بن عفان بجدلية التفاسير المتعارضة لنصوص القرآن ما بين نصوص الطاعة والقصاص، طاعة الحاكم الجديد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونصوص القصاص والثأر ومعاقبة الجناة الذين قتلوا عثمان بن عفان بالدار، فانقسم المسلمون ما بين مؤيد لمطلب طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم، وكانوا يطالبون بالقصاص والثأر من قتلة خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبين مؤيد لعلي رضي الله عنه بصفته الخليفة الجديد للمسلمين، ولقد احتج طلحة والزبير على عائشة بعد رفضها الخروج معهم بقوله تعالى : ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾{**النساء : 114**} ، فخرجت معهم[2]، و وافقتهم في اختيارهم وخرجت وهي متأوّلة لهذه الآية[3].

(1) أُنظر، ريتا فرج، العنف في الإسلام المعاصر، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، (ط1)، 2010، ص65.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية، (مج4)، المصدر نفسه، ص310.

(3) حسان محمد، الفتنة بين الصحابة، مكتبة فياض، القاهرة، مصر، (ط1)، 2006، ص211.

والملاحظ في خطاب طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام أنهما استدلا بمشروعية ما يقومان به بنص القرآن الكريم، وفي المقابل سمى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه رده وقتال مخالفيه من عسكر طلحة والزبير بالجهاد في سبيل الله، وندرك ذلك من قوله لجماعة طيئ الذين جاءوا ليشاركوه القتال:(**جزى الله كلا خيرا "وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾"**)[1]، وهذه التأويلات قادت الفريقين إلى واقعة كبيرة جدا وعنيفة في تاريخ الإسلام، هي ما عرفت **بواقعة الجمل** والتي خلفت الكثير من القتلى من الفريقين يعدون بالآلاف[2].

ونفس القصة قد تكررت بين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه في مسألة التأويل وترتيب المقاصد والغاية من حيث الأولوية، فقد أرسل علي بن أبي طالب جرير بن عبد الله ليأخذ له البيعة من معاوية وكان واليا على الشام، وهذا أمر شرعي وضروري جدا في خلافة الإسلام، لكن معاوية أبى أن يفعل ذلك إلا أن يسلم علي قتلة عثمان له ليقتص منهم وإلا لن يرضى إلا أن يقاتل عليا إن رفض ذلك وكان الأمر بعدها حربا طاحنة دامت أياما بين جنود علي وجنود معاوية خلفت الكثير من الضحايا يعدون كذلك بالآلاف وهي ما عرفت في تاريخ الإسلام **بواقعة صفين،** وكل من شارك فيه كان متأولا أنه في جهاد ضد الآخر وأنه على حق وخصمه على باطل[3]، وهذا مثال آخر عن أحد أسباب التطرف والعنف الديني نتيجة التأويل والاستنباط المختلف لنصوص القرآن.

أما أهم وأبرز فرقة إسلامية تأويلا لنصوص القرآن في إنزال الأحكام على المسلمين قاطبة، ولايزال تأثيرها قائما ومؤثرا على الأمة والفكر الإسلامي ليومنا هذا هي

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، (مج4)، المصدر نفسه، ص314.

(2) القرطبي محمد بن أحمد، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، (ج2)، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2001، ص1079.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، (مج4)، المصدر نفسه، ص ص342-343.

فرقة **الخوارج**، وهذا الأنموذج الأشهر والأكبر في تاريخ الإسلام وفرق المسلمين عموما وذلك لتأثير التأويل والاستنباط العشوائي للنصوص الدينية خاصة تلك التي نزلت في حق الكافرين بالدين الإسلامي وأنزلوها في غير منزلها على المسلمين غالبا[1]، وطبقوا أحكاما قاسية تتنافى مع تعاليم الدين على المسلمين فالمرحلة التي تلت وقائع العنف التي حدثت بين الصحابة أعقبها وقائع أخرى، توصف بالوحشية والعنف بكل أشكاله.

فبعد تكفيرهم للخليفة الثالث عثمان بن عفان متأولين أنه حاكم بغير ما أنزل الله في مسائل الأمة، وبعده الخليفة الرابع علي ابن أبي طالب لأنه رضى بالتحكيم (بينه وبين معاوية) والسيدة عائشة وطلحة والزبير وأصحاب الجمل وصفين، وذلك بعد تأويلهم للوقائع من نصوص القرآن بأنهم وقعوا في الكفر بعد ارتكابهم للكبائر، ومرتكب الكبيرة حسبهم كافر[2]، لذلك استحلوا دماء المسلمين فكانوا جماعة الكفر الأولى في الإسلام الذين قاتلوا الجميع من الخلفاء إلى العباسيين والأمويين و كان شعارهم " **إن الحكم إلا لله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** "[3].

ولا يزال تأثير فكرهم ينخر جسد الأمة الإسلامية إلى غاية اليوم وهذا الأنموذج أثر على الكثير من الفرق الإسلامية ولو نسبيا مثل الحال مع المعتزلة الذين تأولوا النصوص في تكفير بعض الصحابة والكثير من المسلمين مع استحلال دمائهم وذلك عملا بمقتضى بعض النصوص تأويلا.

(1) اُنظر، الصلابي علي محمد، فكر الخوارج والشيعة، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، (د.ت)، ص42.
(2) نفسه، ص46.
(3) مهدي فضل الله، **الإيمان** والتكفير والذات والآخر في الإسلام، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، (ط1)، 2012، ص212.

ثانيا: العصبيات والقبليات.

التعصب للعرق والدم والنسل والأصل والدفاع عن الانتماء من جملة العصبية التي كانت سائدة قبل الإسلام عند القبائل العربية، ولكن الإسلام حرص كل الحرص على إلغائها ودحضها تماما لأنها مبنية على الطبقية و العرقية التي تبعث خصال العنصرية والمفاضلة في المجتمع الواحد، وهو ما يفسر الاستعباد الكبير والرق الكثير الحاصل قبل الإسلام، و لهذا نزل قوله تعالى في سورة الحجرات : **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾{الحجرات:13}.**

فأصبح أمر تفاوت المسلمين وتفوقهم على بعضهم البعض، مبني على الإيمان والتقوى، وسقطت دعاوى الجاهلية التي كانت قبل الإسلام فأصبحت مسألة المساواة في اللون والعرق والدم معلومة بالضرورة، وتم إلغاء الطبقية جملة وتفصيلا، فتلاشت العصبية بمجيء الإسلام في فترة النبي ﷺ الذي ألغى كل ما كان سابقا من ممارسات استعلائية وتفاضلية تستند على العنصر أو الفئة بمقتضى **دستور المدينة**[1].

لكننا نلاحظ في تاريخ الإسلام في جميع مراحله بعد وفاة النبي ﷺ وبعد مقتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان، عودة جديدة للعصبية والتفوق القبلي على البقية بصبغة دينية[2]، وقد ظهر بقوة بين المسلمين حتى اختلطت به السياسة وتحول إلى معارك دموية[3] خاصة ما تعلق منها بالخلافة والولاية والحكم والرياسة.

---

(1) أُنظر، ابن كثير اسماعيل، البداية والنهاية، (مج2)، المصدر نفسه، ص، ص353-355.

(2) أُنظر، أوب زهرة، المرجع نفسه، ص12.

(3) رشيد الخيون، اتجاهات التطرف والغلو في التراث الإسلامي، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر، (ط1)، 2016، ص13.

وبلا شك أن العصبية التي انبعثت من جديد في هذه المرحلة التي انتشرت فيها الفتن وتميزت بالعنف، قد بدأت بين بني أمية وبني هاشم في أول الأمر[1]، واستمرت بعد ذلك طيلة عقود من الزمن، بل كل الخلافات الإسلامية كانت لها أبعاد عصبية، نذكر منها دعوات العلويين والعباسيين والفاطميين وفي بلاد الأندلس دعوات الأمويين وبني عامر والحجازيين وبني قيس وغيرها، فمعيار القوة الذي كان يُختار به الخليفة والحاكم كان قوميا أو ما يعرف بالعصبية وهنا يقول ابن خلدون: **(ولما كانت الرئاسة تكون بالغلب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى سائر العصائب ليقع الغلب منها وتتم الرئاسة لأهلها)**[2] وهو الحاصل في تاريخ الإسلام في مرحلته الأولى تأسيسا وفي مراحل لاحقة تقليدا.

فدعوات المسلمين من بعد الخلافة الراشدة، اتسمت بطابع القبلية والانتصار للعرق في الغالب، وللأفراد أحيانا وهو ما يفسر أسماء الخلافات، الخلافة الأموية نسبة إلى أمية بن خلف العربي ثم الخلافة العباسية نسبة للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، ثم الدولة الأيوبية نسبة للأيوبيين ومؤسسها صلاح الدين الأيوبي، والدولة البويهية والمنتسبة محمد بن بويه، والخوارزمية المنتسبة لمحمد بن خوارزم شاه، والزيانية والحمادية والأغلبية وغيرها من الدويلات وسائر الخلافات التي مرت في تاريخ الإسلام وحياة المسلمين.

ثالثا:المذهبية والخلاف الفكري والعقائدي.

ومن الأسباب التي دفعت الفكر الديني الإسلامي إلى انتهاج العنف وأدخلته في دوامة من الصدامات الداخلية والنزاعات المتطرفة **الخلاف العقدي والفكري** الذي يعتبر الأصل الأول في نشأة الفرق والمذاهب الإسلامية التي راحت تكفر بعضها البعض وتفسق

---

(1) اُنظر، أبو زهرة، المرجع نفسه، ص13.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، (ج1)، دار يعرب، دمشق، سوريا، (ط1)، 2004، ص260.

بعضها البعض كما مارست نمطية الاقصاء لمخالفيها وخصومها، فنتج عن ذلك مواجهات دامية على مر التاريخ الإسلامي، وأكبر مثال على ذلك الأزمات التي وقعت بين الخوارج والسنة والشيعة وغيرها من الفرق.

فلا شك أن الخلاف تأسس بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة، فبعد وحدة الصف التي عرفت في المرحلة النبوية، ظهر صدام الصحابة ببعضهم البعض في حقيقة موته ﷺ بين مكذب ومصدق، ثم في تحديد مكان دفنه، ما بين القدس والمدينة ومكة، ثم اختلاف آخر في باب الخلافة و الإمامة، ما بين الأنصار والمهاجرين القرشيين ثم خلاف الصحابة مع بعضهم في مسائل الخلافة ما بين علي ومعاوية وخلافات أصحاب الفرق ما بين الخوارج والسنة والشيعة والقدرية ومسائل الإيمان والجبر والقدر وغيرها من قضايا الدين التي فرقت الأمة الإسلامية أحزابا وجماعات[1]، ولا تزال تبعات الاختلافات التي صارت عقدية معتبرة قائمة ليومنا.

الغريب في أمر الأمة الإسلامية واللافت للنظر في الفكر الإسلامي هو توقف جميع الفرق والجماعات المعروفة على حديث النبي ﷺ الذي رواه أصحاب السنن• وأحمد في المسند والدارمي وهو قوله: **(افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى**

---

[1] الإسفراييني أبو إسحاق، التبصير في الدين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (ط1)، 1983، ص، ص19-21.

• وقد خصّص أبو بكر الأجري في كتابه (الشريعة) لذلك باباً بعنوان: (ذكر افتراق الأمم في دينهم وعلى كم تفترق هذه الأمة؟) وأورد في ذلك ثلاثة عشر حديثا كل تتفق في المعنى بما في ذلك افتراق اليهود إلى واحد وسبعين فرقة والنصارى إلى اثنان وسبعين فرقة والمسلمين إلى ثلاثة وسبعين فرقة، وقد فصل في ذلك في الإشارة إلى الفرق والاتجاهات الرئيسية منها الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة، ثم تتشعب تتفرع كل فرقة إلى ثمانية عشر فرقة وتبقى واحد وي الناجية كما في الحديث (20) من الكتاب، فكل الأحاديث التي أوردها الأجري تتشابه في السياق ما عدا بعض الاختلافات في اللفظ في تسمية الفرقة في بعض الأحاديث بالملّة كما في الأحاديث (23) و(24) و(26) و(31) وباقي الأحاديث مذكور فيها فرقة، اُنظر الأجري أبو بكر محمد بن الحسين، الشريعة، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الحديث، القاهرة، مصر، (ط1)، 2005، ص، ص16،18.

على ثنتين وسبعين فرقة و تفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة " وفي رواية ابن ماجة وأحمد والدارمي "كلهم في النار إلا واحدة ، قيل من يا رسول الله قال الجماعة)[1]

فهذا الحديث كان الدافع الأول والأساسي في ظهور مصطلح **الفرقة الناجية** التي تتبناها كل الفرق، وتحتكرها لنفسها وصفاً، لتكون لهم الشرعية في ممارسة الإقصاء وخطابات الاستعلاء والكراهية مع خصومهم، وفتحت الباب على مصراعيه في سل السيف وسنه من أجل ممارسة العنف بكل أشكاله، فإذا مثلت أو احتكرت الفرقة أو الجماعة (فرقة الله) أو (أهل الله) لم يبق لغيرها سوى الاحتقار والدونية فيصبح من واجبهم الديني دعوة الأخرين لنبذ مذاهبهم أو فراقهم وإشهار توبتهم ويدخلون في عقيدتك[2]، وإلا فهم سيصبحون خصوما وجب ردعهم بكل سبل العنف والتطرف الممكنة.

فهذا الحديث تم استغلاله للاحتكار من طرف الفرق الإسلامية ما ولد الاحتقان وفجّر الضغائن ضد الآخرين من نفس الملة، فنجد الشيعة والحنابلة وأهل الاعتزال والأشاعرة قد تفردوا به، وكل يرى أنه على الحق وغيره على الباطل، وكل يدافع عن خصوصيته في استلهام الدين وفهمه دون خصمه، وكل صار ينادي أنه أهل الله وفرقته هي الناجية[3].

وفي المقابل يقدم له تبريرا كبيرا لممارسة العنف الذي ينطلق غالبا من التكفير مثلما حصل مع فرقة الخوارج ضد خصومهم أو التفسيق مثلما حصل مع المعتزلة ضد الآخرين أو الوصف الإقصائي للآخر بالنصب (النواصب) مثلما يحدث مع فرق الشيعة ضد الآخر اللا شيعي، أو وصف الرفض مثلما حصل مع السنة ضد الشيعة.

---

(1) أخرجه ابن ماجة، كتاب الفتن، برقم: 3992، وأخرجه أبو داود، في كتاب السنة، برقم: 4596، وأخرجه أحمد في مسند أنس بن مالك، برقم: 12208.

(2) الخيون، المرجع نفسه، ص5.

(3) نفسه.

المطلب الثاني: العنف في الإسلام أهم المراحل التاريخية.

لا ننكر أن العنف المستند على القوة، والمؤسس على الغلو والتطرف من الأعمال البغيضة والمذمومة والمرفوضة عند جميع البشر، كما تنجر عنه عدة أعمال لا أخلاقية مثل الحروب والثورات والإبادات والقتال والتقتيل والحرق والتعذيب، والنهب والاستيلاء والأسر والتعدي على مختلف الحرمات، وخطابات الكراهية، والشتائم، والتجويع والترويع، والحصار والتضييق وغيرها من مختلف الأفعال والتصرفات الموصوفة باللاتسامح، إلا أن منطق العنف واستعمال القوة من سنن الاجتماع البشري، ومن السمات البارزة على مر السنون.

بل ويعتبر ذلك من أكبر مظاهر التنازع من أجل البقاء، وهو ملازم لجميع المخلوقات، عبر مختلف الأزمنة التي عاشها الإنسان، فلا ينفك عن ارتكاب ذلك ولقد قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٣٦﴾{البقرة:36}، والغريزة الإنسانية مبنية على المقاتلة والميول إلى القوة والعنف فتنبعث من خلال ذلك الحياة الاجتماعية بشكل التنازع الجماعي المجرد من أي تعاون فتنشأ عن ذلك أشكال العنف منها الصدامات والحروب وغيرها[1].

إن من خصائص الإسلام وما يتميز به عن غيره من الأديان الكتابية والوضعية من حيث الاسم أنه مشتق من السلم والمسالمة[2]، كما يقول النبي ﷺ: **﴿المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده﴾**[3]، فقد تأسس على الرفق والملاينة، وروح التسامح الحق والإخاء، ورغم ذلك فإننا نجد في تاريخ الإسلام والمسلمين الأمثلة الكثيرة والحوادث

---

[1] أُنظر، وهبة الزحيلي، أثار الحرب في الفقه الإسلامي، المرجع نفسه، ص ص56–57.

[2] أُنظر ابن منظور، المصدر نفسه، (مج7)، مادة سلم، ص240.

[3] أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، برقم: 10.

الفظيعة والحروب المدمرة والمعارك الطاحنة التي قامت بين المسلمين أنفسهم[1]، ولهذا تحدث النبي ﷺ عن شرّ قد اقترب وبما يكون من بعده وما يستقبلهم من عنف وحرب وقتل وغيرها من الأعمال التي تتنافى مع تقاليد الإسلام[2].

إنّ تعداد ضحايا العنف باسم الدين في تاريخ المسلمين كثير جدا، بدأ في مرحلة متقدمة مع الصحابة في العقد الخامس من القرن الأول هجري ولقد خلّف ذلك قتلى بالآلاف بل وأكثر، واستمر الأمر بعدهم في **مرحلة الخلافة الأموية** التي تأسست على يد الصحابي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وامتدت الصدامات الدامية باسم الدين في **مرحلة الخلافة العباسية** خاصة في بدايتها وما فعلوه مع الأمويين ثم مع العلويين، وهو نفس ما وقع أثناء **مرحلة حكم الفاطميين** في مصر، سنعرض في هذا المطلب أهم المراحل وأبرز ما وقع فيها، من حوادث تتسم بطابع العنف والتطرف

أولا: العنف والتطرف في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

المرحلة الأولى التي انطلق منها العنف واستفحل في المجتمع الإسلامي، وشهد المسلمون أساليبا سابقة في تاريخهم، ومشاهدا مروعة، كان في عهد الصحابة وفي أواخر الخلافة الراشدة، وأبرز المشاهد والوقائع التي جرت في هذه المرحلة يمكن اختصارها في ثلاث حوادث أساسية مشهورة، وهي **واقعة مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه**، والتي تعتبر المحطة الأولى لبداية حوادث العنف والتطرف والاقتتال بين المسلمين أنفسهم.

ويؤكد المؤرخون والعلماء أنه بمقتله رضي الله عنه، استُل سيف الفتنة[1]، وكان بادرة انطلاق أعمال العنف والتخريب في المدينة وما جاورها لمدة طويلة، وكان النبي ﷺ

---

[1] لن نخوض في هذا المطلب في مسألة الجهاد ودوافعه وأركانه وأسسه، لأن هذه المسألة متعلقة بدوافع دينية إلهية مؤصلة في الكتاب والسنة سواء كان جهادا للطلب أو لدفع الصائل، نفس المسألة لم نتطرق إليها في مطلب العنف عند اليهود والنصارى، لكن إذا كان الأمر متعلق بتجاوزات مع الأسرى أو قتل النساء أو الأطفال أو تطاول باسم الدين أو ارتكاب أعمال عنف باسم الدين فسنشير إلى ذلك ما استطعنا.

[2] أُنظر، القرطبي، المصدر نفسه، (ج2)، ص1062.

قد أخبر أن رحى الإسلام ستزول بخمس وثلاثين[2]، ووقع ما حدّث به النبي ﷺ، وتحقق قوله فيما وقع لعثمان وفي طريقة قتله فضائع عظيمة[3].

وكانت من سنن الله تعالى التي تحدث عنها النبي ﷺ هو أن يُهلك المسلمون بعضهم بعضا، ويتقاتلون فيما بينهم، ويسبي بعضهم بعضا[4]، وهو ما حصل في مرحلة الصحابة وخلافتهم، وكما قلنا أن أبرز الأحداث التي وقعت هي مقتل الخليفة على يد المسلمين ممن ثار عليهم، من أهالي مصر والعراق، إلاّ أن اللافت للنظر في هذه الواقعة التاريخية، هي ردة فعل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه مع من ثار عليه من أهالي البصرة والكوفة ومصر[5].

فقد أمر الخليفة أن يجتمع عنده الناس في بيته فجلسوا المحارب والمسالم فقال: **(يا أهل المدينة استودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي)** ثم قال: **(أنشدكم بالله هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم على خيركم؟ أتقولون إن الله لم يستجب لكم وهنتم عليه وأنتم أهل حقه؟)** ثم اختتم كلامه رضي الله عنه بقوله:

---

(1) نفسه، ص1070.

(2) في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود مرفوعا: قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما﴾ رواه أبو داود، في كتاب الملاحم والفتن، برقم:4254.

(3) أُنظر، ابن كثير، البداية والنهاية، (مج4)، المصدر نفسه، ص، ص256-258.

(4) وقد ذكر ذلك في الحديث الذي رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة حيث قال ﷺ : (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا) رواه مسلم برقم: 2889

(5) وكانوا غلاظا شدادا جفاة لا يحترمون صحابة النبي ﷺ ولم تشفع صحبتهم للنبي في أعينهم ولم يتهذبوا بسيرته ولا آدابه فكانوا أقرب ما يقال عنهم أنهم يحملون جاهلية القرون الأولى في قلوبهم، أُنظر محمد سهيل طقوش، **التاريخ الإسلامي الوجيز**، دار النفائس، بيروت، لبنان، (ط5)، 2011، ص100.

(فمهلا لا تقتلوني فإنه لا يحل إلا قتل ثلاثة رجل زنى بعد إحصانه أو كفر بعد إيمانه أو قتل نفسا بغير حق، فإنكم إذا قتلتموني وضعتم السيف على رقابكم ثم لم يرفع الله عنكم الاختلاف أبدا)[1].

وبعد مقتل الخليفة اختلف الصحابة والتابعون فيما بينهم حول مقتل عثمان وذلك في سنة 36هـ ، فطائفة تدعوا لبيعة علي رضي الله عنه وطائفة أخرى تدعوا للقصاص من قتلة عثمان، ومن بين الصحابة الذين طالبوا بالقصاص الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم وقد ألّحوا على عائشة رضي الله عنها لتخرج معهم، وأما علي فقد أرسل عمار بن ياسر ليستنفر الناس حتّى يصدوا الطائفة الأولى، فوقعت معركة طاحنة بين عسكر علي وعسكر طلحة والزبير وفيها عدد كبير من القتلى من الفريقين[2].

وفي سنة 37هـ أرسل علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم يدعوه لبيعته، إلا أن معاوية رفض ذلك وطالبه بأن يقدّم له قتلة عثمان رضي الله عنه ليقتص منهم، لكن علي رفض طلبه، وخرج إليه لملقاته، ولما بلغ الأمر معاوية بن أبي سفيان ذلك، خرج إليه بجيش الشام وعَسكَرَ بمنطقة صفين، وبعدها وقعت حرب صفين بين جيش الشام بقيادة معاوية وبين جيش العراق بقيادة علي بن أبي طالب وهي **الواقعة الثانية الشهيرة** في تاريخ صدر الإسلام، فتقاتل الجيشان بالقواضب والسمهريات لمدة تزيد عن الثلاثة الأشهر في الغالب، والتقى الجيشان لأكثر من سبعين مرة في هذه المدة[3]، ولقد قُتل في هذه الواقعة في هذه الواقعة خلق كثير من أهل الشام والعراق، فقد اقتتلوا بالرماح حتى تقصّفت، وبالنبال حتى فنيت، وبالسيوف حتى تحطّمت[4].

---

[1] أُنظر، ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ط1)، 2012، ص396.

[2] أُنظر ، اسماعيل بن كثير، المصدر نفسه، مج 4، ص، ص308-312.

[3] أُنظر، القرطبي، المصدر نفسه، ص، ص1085- 1087.

[4] اسماعيل ابن كثير، المصدر نفسه، (مج4)، ص353.

وحصيلة الضحايا في هذه الوقائع الثلاث تفوق المائة ألف[1]، وهذا عدد كبير إذا ما قرناه بالزمن الذي وقع فيه وقربه لمرحلة النبوة، فلذلك يمكن اعتبار هذه المرحلة هي أهم وأبرز محطات انطلاق و بدايات العنف في تاريخ الإسلام.

ثانيا: العنف والتطرف في المرحلة الأموية.

إنّ المرحلة الثانية التي تتميز بالعنف وشتى أساليب التطرف، وتتصدر قائمة المراحل التي اتسمت بالغموض والخوف والبعد عن التسامح والسلم والقيم الأخلاقية الدينية، بل وارتكبت هذه الأفعال بقناعات شرعية وقراءات متطرفة لمصادر الإسلام الأساسية، ألا وهي المرحلة الأموية، التي حدثت فيها الفظائع والجرائم التي لا تَمُتُ للإسلام بصلة.

في هذه المرحلة التي توسعت فيها حدود الدولة الإسلامية وبلغت مشارق الأرض ومغاربها، من حدود الصين إلى بلاد المغرب الإسلامي والأندلس لم تخلو من الصراعات السياسية والدينية، فاللافت للنظر أن هذه الدولة كانت تعيش معظم أيامها في صراع داخلي[2]، ضد العلويين[3] تارة، وضد الزبيريين[4] تارة وضد الخوارج تارة أخرى وفي أواخر مراحلها كان الصراع ضد أبناء العمومة، أي صراع أموي خالص بين أمراء بني أمية.

إن أحداث العنف التي تخللت مرحلة الحكم الأموي كانت في معظمها ذات طابع ديني، يستند على دوافع شرعية، منها ما تعلق بالخلافة وأحقية الملك، مثل ما هو الحال بين الأمويين والعلويين، والشيعة والزبيريين ومع المختار بن أبي عبيد الثقفي، ومنها ما

---

(1) اُنظر، نافيد س الشيخ، المرجع نفسه، ص25.

(2) محمد عبد الله عودة وأخرون، مختصر التاريخ الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، (ط1)، 1989، ص75.

(3) نسبة لأبناء وأحفاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(4) نسبة لأبناء الزبير بن العوام رضي الله عنه.

تعلق بأسس عقدية مختلفة مثلما ما وقع مع الخوارج بكل فرقهم، أو ما وقع في ثورة القرّاء التي قادها عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومن معه، ومنها ما كان قبليا وعرقيا مثلما ما حدث في ثورة اليزيد بن المهلب أو حركة الموالي[1].

لا شك أن الفظائع وأعمال العنف التي ارتكبت في تاريخ دولة بني أمية كثيرة ومتعددة، وقد يطول شرحها بالتفصيل لكثرة الدماء التي أريقت والرؤوس التي قُطعت والجثث التي أُحرقت، ففي خلافة معاوية بن أبي سفيان عرفت قتال والتحام كبير ضد الخوارج الذين خرجوا عليه سنة 41 هـ[2]، لذلك يمكن تمييز مرحلة ما بعد معاوية كأبرز محطة لانطلاق أعمال العنف والتطرف ضد المسلمين، ونقصد بذلك العنف المؤسس على الشرعية والدين.

فبعد وفاة معاوية رضي الله عنه أرسل ابنه يزيد رسالة شديدة اللهجة وفيها وعيد شديد للوليد بن عتبة ليأخذ له البيعة من نفر رفضوا أن يبايعوه في حياة معاوية، وهم الحسين بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير بن العوام وهم من سادة الصحابة، وطلب من عامله أن يأخذ منهم البيعة بشدة[3]، وهنا كانت الشرارة التي ألهبت الصراع بين بني أمية وغيرهم من العلويين والزبيريين وأهل المدينة عامة.

لقد تميزت فترة ما بعد معاوية بثلاثة أحداث رئيسية عنيفة، أوّلها مقتل الحسين رضي الله عنه وثانيها القتال مع عبد الله بن الزبير ومن معه، والثالثة وقعة الحرة مع أهالي المدينة، فأما الحسين لما جاءته الرسالة خرج ليلا إلى مكة ولبث هناك مدة تقارب الأربعة أشهر ثم خرج يريد الكوفة بعد إلحاح أهلها عليه ليأخذوا له البيعة، فأرسل إليه

(1) نفسه، ص75.

(2) أُنظر ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر نفسه، (مج5)، ص ص9-10.

(3) أُنظر العش يوسف، الدولة الأموية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، (ط2)، 1985، ص166.

عبيد الله بن زياد جيشا وأمّر عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص وأمرهم بقتل الحسين ومن معه، فأدركهم بكربلاء وقد جمع عبيد الله بن زياد أكثر من عشرين ألف من المقاتلين[1]، فدار بينهم قتالا كبيرا، وقُتل الحسين وقُطعت رأسه ورؤوس أصحابه، وحملها شمر بن ذي الجوشن إلى ابن زياد[2].

أما وقعة الحرة في المدينة سنة 63هـ فهي من أشنع أعمال بني أمية على الأمة وذلك أن أهالي المدينة خلعوا يزيدا بعد مقتل الحسين بن علي وأعلنوا ذلك جهارا في المسجد، وطردوا عامله عثمان بن محمد بن أبي سفيان وهو ابن عم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، واتفقوا على إجلاء بني أمية من المدينة وهم قرابة الألف، فاجتمعوا في بيت مروان بن الحكم، وحاصرهم أهل المدينة، فراسلوا يزيدا يشتكون له ما أصابهم من جوع وعطش وإهانة، فقرر يزيد أن يبعث إليهم عمرو بن سعيد بن العاص فأبى أن يفعل وخاف من إراقة دماء قريش[3]، فبعث مسلم بن عقبة (وكان يُسمى مسرف•) مع أكثر من عشرة آلاف فارس[4].

ولا شك أن مسلم بن عقبة كان يبيّت نية في ارتكاب إبادة كبيرة ضد أهل المدينة العزل، فقد استباح المدينة ثلاثة أيام يقتلون الناس ويأخذون المتاع، فقُتل من أهل المدينة خلق عظيم فلم يرقبوا فيهم رحمة ولا رفقا، وما يزيد من فظاعة هذه الأحداث مقالة مسلم بن عقبة حيث أنه لما فرغ من القتل وإراقة الدماء قال: **(اللهم إني لم أعمل عملا قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله عملا أحب إليّ من قتلي أهل المدينة ولا**

---

(1) أُنظر، القرطبي، المصدر نفسه، (ج2)، ص 1116–1117.

(2) أُنظر، صلاح طهبوب، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر الأموي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1)، 2009، ص37.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر نفسه، (مج5)، ص، ص212–219.

• لأنه اشتهر بالقتل وإراقة الدماء خاصة ما ارتكبه بالمدينة من سفك دماء أهل المدينة.

(4) ابن الأثير، المصدر نفسه، ص529.

أرجى عندي في الآخرة[1]، وعلما أنّ النبي ﷺ يقول: " **من أخاف أهل المدينة أخافه الله عزّ وجلّ وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا** "[2].

وأمّا عبد الله بن الزبير فإنه غمّه مقتل الحسين بن علي كثيرا، فخلع اليزيد وأخذ البيعة لنفسه في مكة ليكون أميرا للمؤمنين، وقد أسّس جيشا واختار أخاه مصعب بن الزبير ليكون قائدا عليه، وفيها خاض قتالا مع المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي طالب بثأر الحسين، وقد دارت بينهما الملاحم الكثير والاشتباكات العظيمة[3]، ولقد أرسل له يزيد جيشا كبيرا وحاصر مكة ولكن الجيش عاد بعد وفاة يزيد، وبعدها بُويع لابنه معاوية[4] الذي لم يبقى في الملك أكثر من شهر وعشرة أيام، واستخلفه عبد الملك بن مروان بن الحكم.

أمّا عبد الملك بن مروان فقد اتخذ معينا له في مقام الوزير وكان ذو رأي كبير ومشورة عنده، وقد بلغ في التطرف والعنف مبلغا عظيما ألا وهو الحجّاج بن يوسف الثقفي[5]، الذي كان محباً لسفك الدماء، وفي سيفه رهق، وكان كثير قتل النفوس التي حرّمها الله بأدنى شبهة، وكان يتشبه بابن زياد قاتل الحسين رضي الله عنه[6]، ولقد أرسل عبد الملك بن مروان الحجّاج لقتال ابن الزبير بمكة، فحاصرها ومنع عنها المؤن وضربها

---

(1) نفسه، ص532.

(2) رواه أحمد في مسند المدنيين، برقم: 16559.

(3) أُنظر، ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر نفسه، (مج5)، ص، ص281-283.

(4) معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي الثالث كان شابا صالحا، وغلب عليه المرض فلم تدم مدة حكمه لأكثر من أربعين يوم ومات، أُنظر، السيوطي جلال الدين، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، (ط3)،2003، ص168.

(5) الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي من مواليد الطائف ، ولد سنة 41 هـــ وكان اسمه كليب، وأمه هي الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي، أُنظر منصور عبد الحكيم، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، (ط1)، 2009، ص83.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر نفسه، (مج5)، ص ص460-461.

بالمنجنيق فحطم جزءًا منها، وبعدها قتل جيشُ الحجّاج عبدَ الله بن الزبير رضي الله عنه وكبّر أهل الشام لمقتله، وقد صلب الحجّاج ابن الزبير مبالغة في التشفّي، وأرسل لأمه أسماء بنت أبي بكر فأبت أن تأتيه، فذهب إليها• وقال: **(أرأيت كيف نصر الله الحق وأظهره؟)**[1].

وبمقتل ابن الزبير استتب الأمر لعبد الملك بن مروان، ولم تكن الأحداث عظيمة مثلما ذكرنا من قبل، باستثناء ثورة التوابين[2]، أو ما حدث في قتال الوليد بن اليزيد بن عبد الملك بن مروان (الفاسق)، مع ابن عمه اليزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان (الناقص)[3]، فخلاصة القول أن مرحلة حكم بني أمية عرفت فظائعا ومجازرا كثيرة يطول الحديث عنها، كلها تستند على آراء دينية وفتاوى شرعية، ما يجعل العنف الذي قام في هذه المرحلة دينيا وسياسيا بالدرجة الأولى.

ثالثا: العنف والتطرف في بداية المرحلة العباسية.

المرحلة الثالثة في تاريخ الإسلام التي تستوقفنا أحداثها الدامية وقصصها المرعبة حول ارتكاب مختلف أعمال العنف وممارسته تنظير دينيا وتطبيقا عمليا، هي مرحلة الحكم العباسي التي تلي مرحلة الحكم الأموي مباشرة، فالميزة الغالبة في هذه المرحلة المكائد الكبيرة والمؤامرات الكثيرة، ذات الطابع السياسي الذي يستند على التأسيس الديني في قراءات أغلب حكام ووزراء هذه المرحلة.

• وبعد أن دخل عليها الحجّاج، بعدما قتل ابنها عبد الله بن الزبير فقال: إن ابنك ألحد في هذا البيت وإن الله عز وجل أذاقه من عذاب أليم وفعل به ما فعل، فقالت: كذبت كان براً بوالديه صواما قواما والله لقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه سيخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول وهو مبير، أخرجه أحمد في مسند النساء، برقم: 26967.

[1] أُنظر السرجاني راغب، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، (ج1)، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، (ط7)، 2007، ص185.

[2] نفسه، ص186.

[3] نفسه، ص204.

فما كثرة القتل والاقتتال والتصفيات والإبادات وإراقة الدماء إلا إفرازات للأسس والمبادئ التي قامت عليها هذه الدولة التي أسسها إبراهيم بن محمد الإمام[1] مع النقباء خفية، وقد نسبوها تشريفا إلى العباس بن عبد المطلب عمّ الرسول، وحتى يكون لها بُعدا مقدسا ودينيا وليلتف الناس حولها وهو ما كان بالفعل.

إلا أننا نجد في حقيقة دعوة بني العباس أمورا كثيرة تخالف ما عليه دعوة الإسلام من السماحة والرفق، فمن بين ذلك وصية إبراهيم الإمام لأبي مسلم الخرساني[2]، الذي يُعدّ أحد كوادر هذه الدولة، فحقيقة هذه الوصية التي وقعت في يد مروان بن محمد الخليفة الأموي[3]، تبين لنا الغايات التي أرادها العباسيون من وراء قيام دولتهم، حيث جاء فيها "**وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم وانظر هذا الحي من مضر فإنهم العدو الأقرب الدار فاقتل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء وإن استطعت ألا تدع بخرسان لسانا عربيا فافعل، فأي غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله**"[4]، وهذه الوصية فيها تحريض واضح وبين على ارتكاب إبادة على العرب الذين يعيشون في خراسان.

فما كان من أبي مسلم إلا الامتثال لأمره، وتطبيق محتوى هذه الوصية بحذافيرها فلذلك أسرف في القتل، فكان سفاكاً للدماء، يزيد عن الحجاج في ذلك[5]، وكان لا يتورع

---

(1) هو أبو إسحاق ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وهو المؤسس الأول للدولة العباسية ،كان بالحميمية من البلقاء ، توفي بالسجن سنة 131 هـــ عن ثمان وأربعين سنة، اُنظر، الذهبي محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، (ج4)، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر، (ط1)، 2003، ص557.

(2) هو عبد الرحمن بن مسلم، ويقال عبد الرحمن بن يسار بن مسلم الخرساني ، الأمير ، صاحب الدعوة، والقائم بإنشاء الجيوش العباسية وكان من أكبر ملوك الإسلام، اُنظر، الذهبي، المصدر نفسه، (ج5)، ص 28.

(3) مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان، الخليفة الأموي ويعرف بمروان الحمار وبمروان الجعدي نسبة لمؤدبه الجعد بن درهم، والكتاب الذي وقع في يده، هو جواب كتاب يأمر فيه أبا مسلم بقتل كل من تكلم باللغة العربية، اُنظر، الذهبي، المصدر نفسه، (ج5)، ص 45، وص35.

(4) جرجي زيدان، أبو مسلم الخرساني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2012، ص32.

(5) الذهبي، المصدر نفسه، (ج5)، ص30.

في حفظ الأنفس وصيانة الأرواح، فقد قتل رجلا بمجرد أن سأله عن لِبسِه للسواد[1]، فلذلك كان بلاءً عظيما على عرب خراسان فإنه أبادهم بحد السيف[2]، ولم يترك منهم أحدا وهذه الإبادة من جملة الأعمال العنف والتطرف التي يتميز بها الخراساني.

لا تختلف مرحلة حكم العباسيين مع ما سبقها من مرحلة حكم بني أمية، فلعلى من خلال كنية ولقب أول خليفة لهذه الدولة نستلهم الكثير من الحقائق المرعبة التي تنطبق على هذه الدولة التي حكمت المسلمين لأكثر من خمسة قرون، ونقصد بذلك عبد الله بن محمد السفاح[3]، الذي أول ما تقلد الحكم، أعلن عن غايته في إبادة وتصفية عرقية لبني أمية جميعا، كبارا وصغارا، دون استثناء منهم، فخطب أمام وقال: **(فأملى الله لبني أمية حيناً فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا وردّ علينا حقنا فأنا السفّاح المبيح والثائر المبير)**[4]، وتلا قوله تعالى :﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥**﴾{القصص:5}.

وبلا شك أنّ السفّاح أراد أن يُعطي ما صنع صبغة دينية وبُعدا شرعيا بطلبه للفتوى من العالم الشامي **الأوزاعي** الذي خالفه في مسألة قتله بني أمية[5]، فما كان رد العباس إلا تغليبا لرأيه فقال: **(أليست الخلافة وصية من رسول الله قاتل عليها علي بصفين؟)**[6] كما اتخذ الخليفة أبو العباس السفّاح بطانة من الولاة والوزراء ورجال الجيش لا يقلّون تطرفا وعنفا عنه، وأبرزهم أبو مسلم الخرساني الذي قتل ما يزيد عن الستة مئة ألف من

(1) نفسه، اُنظر، ابن كثير، المصدر نفسه، (مج6)، ص27.

(2) المصدر نفسه، (ج5)، ص32.

(3) هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس أول خلفاء من بني العباس، اُنظر الذهبي، المصدر نفسه، (ج5)، ص ص46-47.

(4) نفسه، ص47.

(5) اُنظر، ابن كثير، المصدر نفسه، (مج6)، ص81-82.

(6) الذهبي، المصدر نفسه، (ج5)، ص302.

المسلمين صبرا!!!![1] ، وأيٌّ إجرام وعنف يفوق مما ارتكبه الخرساني بأمر من خليفته السفاح في سبيل ترسيخ قواعد وإرساء أعمدة دولة بني العباس؟.

ومن بين القصص المرعبة المتسمة بأعلى أوصاف العنف والتطرف ما حدث بين السفاح وضيوفه الأمويين، فبعد أن استأمنهم السفاح وداعاهم إلى مجلسه، وكان من بينهم سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان، فدخل مجلس السفاح شاعرٌ اسمه **سديف بن ميمون** فأنشد:

لا يغرنك ما ترى من رجال * * * إن تحت الضلوع داء دويًّا

فضع السيف وارفع العفو حتى * * * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فالتفت سليمان وقال: قتلتني يا شيخ ! ، ثم أخذ سليمان فقُتل، ودخل على السفاح شاعر آخر، وقد قدم الطعام وعنده نحو سبعين رجلا من بني أمية فأنشده:

أصبح الملك ثابت الأساس * * * بالبهاليل من بني العباس

ثم ذكر مظالم بني العباس إلى أن قال:

واذكروا مصرع الحسين وزيدا * * * وقتيلا بجانب المهراس

والقتيل الذي بحران أضحى * * * ثاويا بين غربة وتناس

فأمر بهم السفاح فضُربوا بالسيوف حتى قتلوا، وبسط النطوع عليهم، وجلس فوقهم فأكل الطعام، وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا[2].

---

[1] ابن كثير، المصدر نفسه، (مج6)، ص32.

[2] جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، (ج3)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2012، ص137.

فالدولة العباسية بدأت كتابة تاريخها بدماء الأبرياء والعزّل من المسلمين مثل حادثة السّفاح مع أهالي الموصل سنة 133 هـ لما كرهوا ولاية ابن صول الذي عيّنه السفّاح عليهم وأرادوا أن يكون واليا عليهم رجلا آخر، فرفض السفّاح ذلك، ثم دعاهم ليتشاور معهم فقتل اثنا عشر رجلا منهم، فتجهّز أهل الموصل وحملوا السلاح، فأعطاهم الآمان ونادى مناديه "**من دخل المسجد الجامع فهو آمن بأمان الله وأمان رسوله**" فأتى الناس يهرعون فأقام الرجال على أبواب المسجد فقتل الناس قتلا ذريعا وأسرف فيه[1].

وعاث في الأرض فسادا واستباح المدينة مدة من الزمن، وأمر السفّاح المئات من جنوده من الزنج فاغتصبوا النساء الموصليات إلا أن أخذت بشكيمة فرسه امرأة من دار الحارث بن الجارود وقالت له: **(أما أنت من بني هاشم؟ أما أنت ابن عم رسول الله ﷺ؟ أما تأنف للعربيات المسلمات أن تنكحوهن الزنج؟)** فأمر السفاح من قواده من الخرسانية إذا اجتمع الزنج أن يصفوا عليهم بالسيوف فقتلوا أجمعين[2]، والكل يعلم أن الجنود الزنج قد فعلوا ما أمرهم به السفّاح ولم يرتكبوا ذلك بأهوائهم.

وأما الخلفاء الذين عقبوا أبا العباس السفّاح فكانوا يقلّون عنه شأنا في الفظائع والجرائم إلا أننا نجد بعض الحوادث التي توصف بالعنف وقعت في سنة 255 هـ والتي قادها علي بن محمد الذي لُقب بـ "صاحب الزُنْج" ، وادعى أنه من سلالة علي بن أبي طالب[3]، حتى يُعطي هذه الدعوة بُعدا مقدسا ويعُطي نفسه منزلة الشرف والفضل بالانتساب للأسرة العلوية، ويكسب حركته سندا شرعيا[4]، فطالب صاحب الزنج من حكام الدولة العباسية تحسين أوضاع العبيد الأفارقة، والوقوف معهم، وبعدها جمع الأفارقة السود في حركته ودارت بينه وبين جيوش الدولة العباسية بقيادة الموفق بالله شقيق الخليفة

---

(1) الأزدي يزيد بن محمد، تاريخ الموصل، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، (ط1)، 1967، ص146.

(2) نفسه، ص149.

(3) أُنظر، فيصل السامر، ثورة الزنج، منشورات المدى، دمشق، سوريا، (ط2)، 2000، ص47.

(4) نفسه، ص66.

المهتدي بالله حروب طاحنة، وقتال كبير فكان عدد القتلى في هذه الفتنة الكبرى التي وقعت ما بين 255 هـــ و258 هـــ أكثر من مليون ونص مليون من الناس[1].

وخلاصة القول عن المرحلة العباسية أنها كانت مرحلة مليئة بالفتن والملاحم العظيمة التي شكّلت فترة عنف في تاريخ الإسلام، فعرفت الإبادات والتصفيات والمقاتل الكبيرة والكثيرة، وكل هذه الأفعال والأعمال كانت ذات طابع ديني وسياسي بالدرجة الأولى ما يجعلنا نتوقف ونتساءل عن الجانب التسامحي من دعوة الإسلام في هذه المرحلة.

[1] أُنظر، ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر نفسه، (مج6)، ص ص362–363.

المطلب الثالث: أمثلة العنف في تاريخ الإسلام-الخوارج أنموذجا-.

عند الحديث عن العنف في الفكر الإسلامي الذي يستند إلى نص ديني يتبادر إلى الأذهان فرقة الخوارج التي عاثت في الأرض فسادا، وبررت جميع أفعالها الوحشية بنصوص دينية، فمنذ نشأة هذه الفرقة ليومنا مازالت مخلفات أفكارها تدمر الفكر الإسلامي على مر التاريخ ومنذ ما يزيد عن الثلاثة عشر قرنا.

فرق الخوارج كثيرة كما يؤكد ذلك مجموعة من المفكرين والعلماء المتخصصين في مجال الفرق والجماعات الإسلامية، إلا أنها تشترك في أصل واحد، وهو التأسيس للفكر المتطرف بالرجوع إلى مصادر الإسلام خاصة القرآن الكريم، من أجل فتح الباب من أجل ممارسة العنف والتطرف على حسب الأهواء وميول النفوس، ولعلى بدايات الخوارج خير دليل على أفعالها التي تتميز بطابع اللاتسامح.

أولا: الخوارج المفهوم والنشأة.

الخوارج فرقة تنتسب إلى الإسلام ويقيمون شعائر الدين المعروفة، ويُسمون كذلك بالنواصب[1]، والحَرُورية والشُّرَاة[2]، والبغاة والمارقة، والشكّاكية[3] ، وغير من الأوصاف التي أُطلقت عليهم، منذ نشأتهم، ولقد اشتق لقبهم من الخارجة وهم الذين نزعوا أيديهم عن طاعة ذي السلطان من أئمة المسلمين، بدعوى ضلاله وعدم انتصاره للحق[4].

---

(1) لأنهم ينصبون العداء لآل البيت.

(2) أُنظر، الأشعري علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين، (ج1)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (ط1)، 1990، ص167.

(3) وغيرها من الأوصاف التي تدلك مباشرة على مناهجهم وأصولهم وأعمالهم الرهيبة التي ارتكبوها في حق المسلمين في ديار الإسلام، اُنظر الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة،(ج1)، إعداد مكتب التبيان، إشراف علمي: حسن عبد الحفيظ أبو الخير، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، (ط1)، 2011، ص ص53–54.

(4) الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (ط3)، 1997، ص131.

كما أن الخوارج هم أقدم الفرق الإسلامية تاريخيا، وتعود جذور ظهورها إلى عهد النبي ﷺ، كما جاء ذلك في القصة التي رواها أبو برزة عن النبي ﷺ أنّه لما كان يقسّم المال، وعنده رجل أسود مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان بين عينيه أثر السجود فتعرّض للرسول ﷺ فأتاه من قبل وجهه فلم يعطه شيئا، ثم أتاه من خلفه فلم يعطه شيئا فقال: "**والله يا محمد، ما عدلت منذ اليوم في القسمة**"، فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا ثم قال : **(والله لا تجدون بعدي أحدا أعدل عليكم مني)**، قالها ثلاثا، ثم قال: **(يخرج من قبل المشرق رجال كأن هذا منهم هديهم هكذا، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لا يرجعون إليه...شر الخلق والخليقة)**[1].

وكبار الفرق الرئيسية منهم هي: المحكمة، والأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والعجاردة والثعالبة والإباضية والصفرية[2]، كما يتفرق عنهم جماعات وفرق أخرى منها: الحازمية والشعيبية والمعلومية والمجهولية والصلتية والأخنسية والشبيبية والشيبانية والمعبدية والرشيدية والمكرمية والحمزية والشمراخية والإبراهيمية والواقفة[3].

أما بداية خروجهم الفعلي كان في خلافة علي بن أبي طالب، بعد موقعة صفين وتحكيم الحكمين، خرج على علي اثنا عشر ألفا منهم واستقروا في حروراء[4]، ثم بعد معركة النهروان التي خاضها علي ضدهم، تفرقوا في مشارق الأرض ومغاربها، في الأهواز، والبصرة، وترمذ وغيرها من الأمصار.

وأول من خرج على علي بن أبي طالب جماعة ممن كان معه في حرب صفين ضد معاوية وجند الشام، وأشدهم خروجا عليه، ومروقا من الدين هم: الأشعث بن قيس

---

(1) رواه الإمام أحمد، في مسند البصريين، برقم 19789.

(2) الشهرستاني، المصدر نفسه، ص132.

(3) البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفرائيني التميمي، **الفرق بين الفرق**، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، مصر، (ط1)، 2010، ص72.

(4) اُنظر ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر نفسه، (مج4)، ص359.

الكندي، ومسعر بن فدكي التميمي، وزيد بن حسين الطائي، وحول مسألة التحكيم اختلفوا مع علي حول قتال جند الشام، وحملوه على التحكيم أولا، ورفضوا أن يُرسل عبد الله بن عباس كحكم ممثلا لعلي وحملوه على إرسال، أبي موسى الأشعري فلما فعل، خرجوا عليه وقالوا: لما حكّمت الرجال إن الحكم إلا لله[1].

ثانيا: أصول العنف والتطرف عند الخوارج.

تعتبر فرقة الخوارج أكثر فرق الإسلام تطرفا في تاريخ المسلمين، فقد مر على تاريخ الإسلام بعض الحوادث التي تنتسب لأصحابها في الفعل، كما هو الحال مع ما صنعه الحشّاشون• الذين كانوا يخدمون أوامر الحكام والأمراء الفاطميين ويتحركون بأمرهم، أو ما صنعه بعض حكام المسلمين والأمراء والوزراء والولاة وقواد الجيوش من فظائع ومجازر وأعمال وحشية، من قطع الرؤوس وسمل الأعين وخطم الأنوف، ولا شك أن ذلك كله لأغراض سياسية، وتعتمد هذه الأفعال كرادع يمنع الرعية الكارهين لنظام الحكم من الوصول إلى السلطة[2]، فهذا العنف يتصدى للتهديدات التي تؤرق السلطة الحاكمة.

---

[1] الشهرستاني، المصدر نفسه، ص ص132–133.

• هي فرقة إسلامية عملية متطرفة جدا نشأتها سياسية بحتة تخدم مصالح رجال السياسة بالدرجة الأولى، ظهرت أثناء مرحلة حكم الفاطميين في مصر، نذكر عنها ما نصح به القس الألماني بروكاردوس الملك الفرنسي فيليب السادس عنما أراد أن يخوض حملة صليبية لاسترجاع الأماكن المقدسة التي فقدتها المسيحية، فجاء في هذه الرسالة: " أذكر الحشاشين الذي ينبغي أن يلعنهم الإنسان ويتفادهم إنهم يبيعون أنفسهم ويتعطشون للدماء البشرية ويقتلون الأبرياء مقابل أجر ولا يلقون اعتبار للحياة أو النجاة، وهم يغيرون مظهرهم كالشياطين التي تتحول إلى ملائكة من النور وذلك أنهم يحاكون الحركات والثياب واللغات والعادات والتصرفات التي تأتيها الأمم والأقوام المختلفة، وهكذا يتخفون في ثياب الشاة لتنفيذ أغراضهم" فالحشاشون كانوا قتلة مأجورين سريين من نوع خطر وذوي مهارة خاصة، وفي القرن 13مــ دخلت كلمة حشّاش Assassin في الاستخدام الأوربي بمعنى القاتل المأجور، أُنظر برنارد لويس، **الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، (ط2)، 2006، ص ص13–14.

[2] أُنظر، العلوي هادي، **من تاريخ التعذيب في الإسلام**، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، (ط4)، 2004، ص ص9–10.

لكن الأمر مع الخوارج يختلف كثيرا، فكل الأعمال التي قاموا بها أعطوها بُعدا دينيا يتأسس على أوامر إلهية في زعمهم، فالقتل عندهم تنفيذ لما جاءت به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فهم يأخذون النصوص على ظاهرها، وربما هذه النصوص لا تعني ما قصده الخوارج، فيطبقونها بلا هوادة وبلا رحمة على الأمة، ولم يستثنوا من المسلمين أحدا، فكانوا في كل مرة يصدرون القرارات التي تتم من قناعة مطلقة، لأنها في الأصل حسبهم ذات تأسيس ديني، لذا كان يتسابقون في تطبيق ذلك على المسلمين جميعا، فغلب التطرف على أفعالهم وأعمالهم.

ولما كان في الإسلام القتل وسفك الدماء محرم بأي شكل من الأشكال، لأنه عمل بغيض، إلا على من ارتكب جنايات وأفعال تلزم القتل، كما جاء في حديث النبي ﷺ:**(لايحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)**[1]، فعمد الخوارج إلى تأصيل مبادئ جديدة، غير مسبوقة في تاريخ الإسلام، وهي الحكم على الكثير المسلمين من آل القبلة بالخروج من الدين ومفارقة الجماعة، لمخالفتهم في لأصل أو لارتكابهم ذنوبا وكبائر[2].

يتفق الخوارج غالبا على ثلاثة أصول أساسية تجمع معظم مذاهبهم، فأوّل الأصول التي يتميزون وربما يتفردون بها دون غيرهم من أغلب الفرق ألو وهي **التكفير**، والحكم على مخالفيهم بالخروج والردة عن الإسلام، ومن وقع عليه الكفر حسبهم فإنه يستوجب القتل، أو بالأحرى تطبيق حكم الإسلام على المرتدين، والمفارقين للجماعة، وبداية التأسيس لمذهبهم كان بتكفير الصحابة رضوان الله عليهم، فهم يرون أنّ (**علياً، وعثمان،**

---

(1) رواه مسلم، كتاب القسامة والمحاربون والقصاص والديات، برقم 1676.

(2) مرتكب الكبيرة في الإسلام يعتبر فاسقا وليس كافرا، لكن أغلب فرق الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون عليه بذلك ويرون أنه مخلد في النار، اُنظر، الإسفراييني أبو المظفر، المصدر نفسه، ص45.

وأصحاب الجمل، و الحكمين، وكل من رضى بالحكمين كفروا كلهم)[1]، أمّا عثمان فقد طعنوا على الأحداث التي عدّوها عليه[2].

أما الأصل الثاني فهو تكفير أصحاب الكبار والجنايات دون الكفر من أصحاب الملة، فقد **(أجمعوا أن كل كبيرة كفر)**[3]، فالسارق والزاني والمرتشي وشارب الخمر وشاهد الزور وغيرهم من أصحاب الجنايات من المسلمين، يعتبرون مرتدين ومن الكفار في نظر الخوارج، **(ويكون في النار مخلدا)**[4]، فلا يدخل الجنة أبدا، وربما هذا الأصل هو الدافع الكبير الذي أعطاهم السلطة المطلقة في تطبيق أحكام القتل على المسلمين، ومارسوا من خلاله طقوس و أعمال العنف والتطرف.

وثالث أصولهم الأساسية هو تجويز الخروج على الإمام الجائر والظالم وحمل السلاح ضده، وقتاله وقتال جيشه[5]، وهو ما حدث فعلا في باقي الخلافات الإسلامية الأموية، والعباسية، وفي بلاد المسلمين وبلاد المغرب الإسلامي، وفي ذلك الكثير من الوقائع والحوادث الدموية المرعبة والرهيبة.

ثالثا: الخوارج وممارسة العنف باسم الدين.

يختلف الخوارج مع باقي الفرق الإسلامية المشهورة، في عدة أوجه، وأبرز سمة لديهم التدين البيّن والجلي، فكل المؤرخون يجمعون على أن الخوارج حريصون على إقامة شعائر الدين بل وإنّهم أشدُّ الناس تدينا، وهذا بشهادة النبي ﷺ، في قصة ذي الخويصرة – رجل من بني تميم- لما أساء الأدب مع النبي ﷺ، فقال له عمر بن

---

(1) نفسه.

(2) الشهرستاني، المصدر نفسه، ص135.

(3) الأشعري، المصدر نفسه، ص168.

(4) الإسفراييني، المصدر نفسه، ص45.

(5) نفسه.

الخطاب: "ائذن لي فيه فأضرب عنقه "، فقال ﷺ : **(دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)**(1)، وحتى عبد الله بن عباس يشهد عنهم بذلك فقد قال عنهم: **(فلم أرى قوما أشد اجتهادا منهم ولا أكثر عبادة)**(2).

ورغم شهادة النبي ﷺ باستقامتهم في إقامة شعائر الإسلام وإتقانهم لها، وبدقة إلا أننا نجدهم في حقيقة الأمر أنهم خرجوا على الشريعة والأمة بتكفيرهم للمسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم، كما أننا نجد أن نادرا ما يوجهون أسلحتهم ضد اليهود والنصارى حتى وإن لم يكونوا من أهل الذمة، مثلما يقرّ به **الأزارقة** منهم(3)، لكنّ الأمر مختلف مع المسلمين، فهم يعملون وفق ما جاء في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾{التوبة:123}وينزلون محتواها تطبيقا على المسلمين.

والحاصل من ذلك أنهم كفروا المسلمين بالذنوب وباستحلال أموالهم، وبذلك تصبح دار الإسلام دار حرب، ودارهم دار إيمان(4)، فمن لم يدخل تحت رايتهم فإنه في حكم الكفار، واستوجب القتل مباشرة، ولعلى أكثر فرق خوارج جُرأةً على استعمال الدين والاستناد إليه لتطبيق أحكامهم وفتاويهم، هي فرقة الأزارقة.

(1) أخرجه البخاري، باب علامات النبوة، برقم 3610.

(2) التميمي محمد عبد الوهاب، مختر سيرة الرسول ﷺ، دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 1977، ص277.

(3) أُنظر الموسوعة المفصلة، المرجع نفسه، ص120.

(4) أُنظر، علي محمد الصلابي، فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف، (د ت)، ص42.

ومن بين أهم الأصول والمبادئ الخاصة بهم زيادة على الأصول الثلاث الأساسية المذكورة سابقا، أنهم يرون أنّ مخالفيهم من هذه الأمة مشركون[1]، ولذلك قتلوا الصحابي عبد الله بن خبّاب، فقد روّعوه وأسروه وزوجته الحامل، ثم قتلوه شرّ قتلة، وكذلك فعلوا بزوجته، وبقروا بطنها، وقتلوا جنينها[2]، فهذا كان صحابيا، ولم يتوانوا في قتله، فما بالك عامة المسلمين، ومن بين الأمور التي يتفق عليها الأزارقة، هي امتحان من يلجأ إليهم بأن يقدموا له أسيرا من أسرى مخالفيهم ويطالوه بأن يقتله، فإن فعل تركوه وإن أبى فيصفونه بالمشرك والمنافق، واستوجب القتل[3]، فيقتلونه مباشرة.

ولعلى هذه الأصول لا تترك مجالا للشك في إدراك حقيقة تطرف هذه الفرقة وبأنها من أعظم فرق الإسلام جناية على الأرواح، وسفكا للدماء، كما أننا نلمس أنهم في كل عملية قتل يصدرون حكما شرعيا في نظرهم على ضحيتهم، فيصفونه بالكافر، تارة وبالمنافق تارة أخرى وبالمرتد في أغلب الأحوال، كما أنهم لا يرون بأسا في قتل النساء والأطفال والعميان والعجزة والعرجان من مخالفيهم، لأن أطفال مخالفيهم مشركون ولهم حكم أبائهم، فهم مخلدون في النار حسب رأيهم[4].

ان ارتكاب الفظائع بأمر الدين من بين أهم الدوافع التي جعلت علياً يقوم بالتوجه إليهم من أجل قتالهم، لما بلغه أنّ (**الخوارج قد عاثوا في الأرض فسادا وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل واستحلوا المحارم)**[5]، وقد بادرهم عليٌ بالصلح والسلم وترك السلاح ودعاهم للرجوع إلى الحق وتسليم الجناة الذين قتلوا عبد الله بن خباب، فردُّهم كان يحمل نوعا من أنواع الإيمان الجازم بأنهم كانوا على حق، وأجابوه بأنهم جميعهم قتله، وأخبروه

(1) اُنظر الموسوعة المفصلة، المرجع نفسه، ص120.
(2) اُنظر، ابن كثير، البداية والنهاية، (مج4)، المصدر نفسه، ص369.
(3) الموسوعة المفصلة، المرجع نفسه، ص120، الأسفرايني، المصدر نفسه، ص، ص49–51.
(4) الموسوعة المفصلة، المرجع السابق، ص120، الأسفرايني، المصدر نفسه، ص، ص49–51.
(5) ابن كثير، البداية والنهاية، (مج4)، المصدر نفسه، ص369.

بأنهم لو ظفروا به – أي علي– لقتلوه، وخرج إليه حرقوص بن زهير وقال لعلي: "**لا نريد بقتالك إلا وجه الله تعالى والنجاة في الآخرة** "[1]، وتدرك أن في رد حرقوص على علي بن أبي طالب الكثير من الأبعاد الدينية التي يتصف بها الخوارج، ألا وهي النجاة في الآخرة في زعمه.

إن جرائم الخوارج على المسلمين على مر التاريخ لا تُحصى، فضحاياهم يعدّون بعشرات الآلاف دون مبالغة، وبلا شك أنّ التطرف الكبير الذي يزيد وينتشر في هذا العصر، هو امتداد لفكر وأصول ومبادئ الخوارج، فمن مظاهر ذلك **(الشدة والعنف في التعامل مع الآخرين واستخدامها في غير محلها وكأن الأصل في التعامل مع الغير هو العنف والغلظة لا الرفق والرحمة)**[2]، وبذلك فإن فكرهم المتطرف لا يزال ينتشر بين شبابنا اليوم، وكل عمل يتصف بالعنف إلا وأعطوه سندا شرعيا حسبهم، فيمارسونه بكل فخر، لأنه واجب مقدس حسبهم، والإسلام يبقى هو المتهم الأول بفعل هؤلاء.

(1) أُنظر، الأسفراييني، المصدر نفسه، ص ص47–48.

(2) الصلابي، المرجع نفسه، ص73.

المبحث الثالث: التسامح في الفكر الإسلامي.

التسامح واللا عنف في الفكر الإسلامي من أهم وأعظم المباحث الدينية والشرعية منذ بداية الإسلام، فقد حرصت الشريعة كل الحرص على توطيد أشكال التسامح في أخلاق المسلمين وأولته أهمية قصوى في التطبيق، وهو ما يتجلى في خطاب النبي ﷺ للأمة وما دلت عليه الآيات القرآنية.

فالقرآن الكريم استفتح جميع سوره بـــ "**بسم الله الرحمن الرحيم**" وعددها (113) سورة ماعدا سورة التوبة وهذا دليل على تقديم التسامح على القوة والعنف، بل وحرص الإسلام كثيرا على حفظ الأنفس، وتحريم وتجريم القتل والعنف بكل صوره، وخطابات الكراهية والتطرف وهو ما اشتملت عليه آيات الله عز وجل وأحاديث النبي ﷺ، بل فتحت الشريعة الإسلامية مجالات كثيرة للتعايش وفضاءات متعددة للحفاظ على كرامة الإنسان مع احترام الكل دون اعتداء أو تطرف.

المطلب الأول: مبادئ التسامح الأساسية ودلالاتها في الإسلام.

ابتدأ الإسلام توطيد قيّم التسامح في نفوس المسلمين بصفته قيمة خلقية واجبة التمسك والانقياد لها، بحكم رسالة الإسلام العالمية والخالدة[1]، التي دافع عنها النبي ﷺ في حياته والصحابة من بعده، فالقوة في المنظور الإسلام للحاجة الماسة ومن أجل دفع الصائل والرد على المعتدي والظالم، وإلا فآيات القرآن الكريم احتوت على الكثير من دعاوي الصلح بين الناس والإحسان للآخرين مهما كانت ديانتهم، وفيه دعاوى كثيرة من أجل التقيد بأخلاق النبي ﷺ في التعامل والتواصل مع الناس، فرؤية الإسلام واضحة تتجلى في القرآن وما فيه من سير الأنبياء والرسل وهي تتمة لما سبق من الرسالات

[1] أنور الجندي، أفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (ط1)، 1984، ص189.

السماوية السابقة للإسلام، لذلك قال الرسول ﷺ: **(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)**[1] وورد في الموطأ **(حسن الأخلاق)**[2] فرسالة الإسلام هي تكملة لدعوة الأنبياء والمرسلين من قبل.

أولا: الفكر الديني الإسلامي المقاصد والغايات.

يتأسس الفكر الإسلامي الديني على مجموعة من المقاصد السامية، والضرورية لاستمرار الحياة البشرية، والعلاقات القائمة بين الناس، ومن أهمها حفظ النفس، ولم تختص الشريعة التي تعتبر منبع الفكر الإسلامي النفس المسلمة دون الأخرى، بل جميع الأنفس على حد سواء فالنفس البشرية مقدسة ومصونة، والإسلام يهدف إلى بناء مجتمع يقوم على التراحم والتعاون والإيثار وحب الخير للناس، من خلال علاقات حسنة مع الوالدين والأبناء والأزواج والأرحام والجيران وجميع المسلمين، بل وغير المسلمين بل يتعدى ذلك إلى الحيوان والجماد، فالإسلام يهدف إلى حمل المسلم على التحلي بمكارم الأخلاق والعيش في ظلها[3].

وحتى يتحقق كل ذلك ينصح النبي ﷺ الأمة ويدعوها لإتبّاع منهج الإسلام القويم والمتمثل في التحلي بالأخلاق الحسنة في الأقوال والأفعال[4]، باجتناب العنف والتطرف وكل السبل التي تؤدي إليه، والتي تشتت المجتمع، فالإسلام قبل كل شيء بني على التسامح والعدل والمساواة وفتح المجال للعيش المشترك بين الناس جميعا مهما كانت توجهاتهم الأيديولوجية، وكفل الحقوق للرعايا الذين يعيشون وسط المسلمين.

---

(1) أخرجه أحمد، مسند أبي هريرة، برقم:8952.

(2) أخرجه مالك، كتاب الجامع، برقم: 2632، 2633.

(3) الخزار خالد بن جمعة، موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، (ط1)، 2009، ص33.

(4) نفسه، ص383.

إنّ غاية الإسلام الأساسية والسامية، التي أمر بها الله سبحانه وتعالى، وكلّف النبي ﷺ بتبليغها لجميع الناس هي تقوى الله وحده، الذي خلقهم من أصل واحد وهو آدم عليه السلام ومن أم واحدة وهي حواء، ونشرهم في أرجاء الأرض في مشارقها ومغاربها وفي شمالها وجنوبها فمهما كان الاختلاف في اللون أو العادات أو اللغات فإن الأصل يبقى واحد لا يتغير بتغير الزمان أو المكان.

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى العفو والتسامح في القرآن الكريم في آيات كثيرة وفي سور مختلفة، كما دعا الناس إلى إتبّاع نهج الأنبياء وسبيل المرسلين في مجمل الحياة الاجتماعية، فلا شك أنه لا ينازع في أن جذور التسامح وفي الوقت نفسه ثمراته هي صفات معينة مثل الرحمة والعفو والصبر فيلاحظ أن القرآن الكريم كرّر ذكر الرحمة والرأفة والصفح والمغفرة والصبر أكثر من تسعمائة مرة[1]، حتى يتبع الناس السبيل الوحيد للسلام، ومن أجل حفظ الأمن دون نزاع أو اعتداء أو تطرف يضرّ بحياة الناس.

والمبادئ الضرورية والأساسية هي تثبيت التسامح كعرف قائم في المجتمعات الإسلامية والعمل بمقتضى ذلك من أسمى ما حرص عليه الإسلام، ففي الأخير نتيجة عدم التسامح هو العنف، ونتيجة التسامح هو السلام، وهذا يلخص جوهر كل من السلام والعنف، فجوٌّ السلام يسود في أيّ مجتمع من المجتمعات التي تتميز بالتسامح، في حين يسود جوٌّ من العنف في أيّ مجتمع يعاني فيه الناس نقصا من ذاك التسامح[2]، وهذا هو المقصد الذي قام عليه الإسلام في شبه الجزيرة العربية، التي كانت تعيش في مرحلتها السابقة انحدارا على مستوى العلاقات بين الأفراد، والجماعات، فتمّ تغييب مساحة التسامح

---

(1) الحصين صالح بن عبد الرحمن، التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، مؤسسة الوقف الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2008، ص22.

(2) وحيد الدين خان، عقيدة السلام، ت: بسام عثمان أحمد أبو زيد، العبيكان للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2016، ص35.

وتعطيلها إلا غاية بداية تشريع الإسلام كبديل وأساس يستند عليه الناس في توجيه خطابات التواصل، وطرق التعامل فيما بينهم.

ثانيا : دلالات التسامح في القرآن الكريم .

برجوعنا إلى أول مصادر التشريع الإسلامي، والذي يعتبر المرجع الأساسي في استنباط المعاملات والتواصل، وتنظيم الحياة الأسرية والاجتماعية والسياسية، نلمس العديد من الآيات التي تدعوا الناس إلى التمسك بالقيم الإنسانية الفاضلة والأخلاق السامية، التي تتلخص في مفهوم التسامح ودلالاته، ومن أجل تعميمه بين الناس جميعا.

إن الأوامر الإلهية لأنبيائه ورسله دائما تكون من باب الملاينة والطيبة ، المتنافية مع الشدة و العنف أو القسوة، ففي قصة فرعون مع موسى أمر الله تعالى موسى و هارون أن يحسنا القول مع الملاينة ، علما أنّ فرعون كان يستعمل العنف مع بني إسرائيل بمن فيهم موسى و هارون ، فقال تعالى :﴿**ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ۞ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۞**﴾**{طه: 42-44}.**

فرغم أن فرعون قد طغى والطغيان أحد مدلولات العنف ، لكن الله أمرهم أن يقولا له قولا لينا" **سهلا لطيفا، برفق ولين وأدب في اللفظ دون فحش ولا صلف و لا غلظة في المقال أو فظاظة في الأفعال**[1] بالملاينة والطيبة **ودارياه بالرفق وارفقا معه**[2]، وهذا من باب المساهلة والتسامح في مقابلة اللا تسامح الذي كان يتصف به فرعون كما هو مذكور في الآيات.

---

(1) السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الإمام مالك، الجزائر، (ط2)، 2014، ص467.

(2) السمعاني المصدر نفسه، (مج3)، ص331.

أما من حيث الأوامر الإلهية العامة للناس التي ذكرت في القرآن، منها ما هو متعلق بالشؤون الأسرية، في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾{ **التغابن: 14**} فالصفح والعفو والمغفرة من الصفات الخلقية التي يحبها الله تعالى، لذلك أمر المؤمنين بالتحلي بها والتمسك بها لأنها تبين مدى التسامح الموجود في الإسلام، فمن **عفا عفا الله عنه ومن صفح، صفح الله عنه ومن غفر، غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب وعامل عباده كما يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده و استوثق له أمره**[1].

ومن بين الآيات المذكورة كذلك في كتاب الله والتي تشتمل على قيم التسامح قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾{**آل عمران: 133–134**}، فهذه الآيات دلت على مجموعة من الخصال الحميدة التي يمتدحها القرآن ويحبها الله سبحانه وتعالى، ويأمر المؤمنين بالتمسك بها، حتى أن الله كافأ من يتحلى بها بجنات عرضها السموات والأرض، وهي مبتغى كل مؤمن، ومن من جملة هذه الخصال العفو والتسامح وكظم الغيظ، ولعلى الصبر على الإذاية التي تلحق بالمؤمن تقربه درجات إلى النجاة، لأن هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم[2].

وبلا شك أن هذه الصفة تذكرنا بقصة ابني آدم كما تقدم ذكره، كما ذكرت في هذه الآيات صفة العفو، فالعافين عن الناس يتصفون بالمسامحة وسعة القلب، لأن العفو يدخل في جملته كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماحة مع المسيء و هذا إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة و تخلى عن

[1] السعدي، المصدر نفسه، ص811.
[2] نفسه، ص113.

الأخلاق الرذيلة[1]، فمن أجل هذا حرص الإسلام على ترك عادات الجاهلية التي تدعو إلى الثأر ومقابلة العنف بالعنف والأذى بالأذى وبدّلها بعادات أخلاقية فاضلة وسامية سمو الأخلاق الملائكية.

ونجد في كتاب الله دعوة للنبي ﷺ للتمسك بالعفو والصفح وتفعيله في معاملته مع خصوم الإسلام وأعداء النبي ﷺ، منها قوله تعالى:﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾{الأعراف: 199}، وهذه دعوة صريحة لتفعيل التسامح بحجة جهل خصوم الإسلام بحقيقته السامية، ولتبيان قيمة الأخلاق الإسلامية، كما أنّ الإنسان العجول غالبا عندما تواجهه المشكلات والصعوبات والتحديات الصعبة والتجارب المريرة، فإنه يلجأ إلى العنف.

لكن هذا النوع من رد الفعل هو نتيجة انحراف عن الطبيعة البشرية المفطورة على الاحترام، وإلا فالذين يتبعون الحق فإنهم لا يلجؤون إلى ذلك، بل يتبنون المسار الصحيح ولا يتصرفون بتهور[2]، فلذلك نصح الله تعالى النبي ﷺ ، بالإعراض عن الجاهلين، وأمره بالعفو ما استطاع، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ٨٥﴾{الحجر: 85}، وأوامر الله في هذه الآية للنبي ﷺ مباشرة، وبالتالي فهي خاصة كذلك بالمؤمنين برسالة الإسلام، فالتحلي بقيم التسامح وأشكاله تبقى ميزة الشريعة الإسلامية.

ومنها قوله تعالى :﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣﴾{المائدة:13}، وهذه الآية احتوت على جدلية

---

[1] نفسه.

[2] وحيد الدين خان، المرجع نفسه، ص60.

واضحة بين العنف والتسامح، بين النبي ﷺ وأصحاب القلوب القاسية وهي ميزة أهل التطرف والعنف، ولكن الله أمر النبي ﷺ بمقابلة ذلك بالصفح والعفو مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٨٩﴾{الزخرف: 89}.

كما نجد كذلك في كتاب الله حثّ المؤمنين على التمسك بمنهج الأنبياء الأخلاقي في معاملة الناس، وأثنى الله على من تمسك بهذه الأخلاق الفاضلة، فمن هذه الآيات قوله تعالى في سورة التغابن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝١٤﴾{التغابن: 14}.

ونلاحظ في هذه الآية أوامر الله بمواجهة عداء الأزواج والذرية بالحذر والعفو والصفح والمغفرة، وربط هذه الخصال الإسلامية الفاضلة بمغفرة الله، وهناك ثناء رباني على المؤمنين الذين يتميزون بخصال التسامح، وقد ورد هذا الثناء في موضعين منها قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝٤٣﴾{الشورى: 40-43}، ذكر الله في هذه الآيات مقابلة العنف بالعنف أو الإساءة بالإساءة، ثم خيّر المؤمنين وندبهم إلى الفضل وهو مقابلة العنف بالعفو[1] والتسامح وجزاء ذلك مغفرة من الله، وثنى سبحانه وتعالى على المتسامحين والعافيين عمن ظلمهم، واعتبرها من عزم الأمور.

وفي الموضع الثاني قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ۝٣٧﴾{الشورى:37}، وهذه الآيات ذكرت في صفات المؤمنين الصادقين

(1) حكمت بن ياسين بن بشير، التفسير الصحيح موسوعة المسبور من التفسير بالمأثور، (مج4)، دار المآثر، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 1999، ص293.

في أفعالهم وأعمالهم وميزة ذلك مقابلة العنف بالتسامح أثناء غضبهم إذا ما تعرضوا لمواقف تثير غضبهم كممارسات خطابات الكراهية عليهم وغيرها.

وهناك الكثير من دعوات التسامح والحث على التمسك بها في التعامل مع مختلف المواقف التي يتعرض لها المؤمن في حياته، فقد قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾{البقرة:109}، وهنا دعوة الصفح والعفو في مقابلة الخصوم وأعداء الإسلام هو الغالب على هذه الآية، ومنها قوله تعالى:﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾{النور: 22}، وسبب نزول هذه الآيات كفيل في تبيان أحد أعظم مواقف التسامح في الإسلام، وهو مقابلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه العنف الذي لحق به وبعائلته بعد حادثة الإفك المشهورة بالتسامح والعفو والصفح عمن أساء إليه وعائلته[1].

وفي القرآن الكريم وفي أحسن قصصه وهي سورة يوسف موقف أخلاقي عظيم جدا، يبين سماحة الأنبياء وسمو أخلاقهم المثالية، فلا شك أن أي إنسان يتعرض لما تعرض له يوسف عليه السلام من تعذيب ومحاولة قتل ونفي وإبعاد عن عائلته، سيقابل ذلك ولو بالقليل من الغضب أو القطيعة، لكن يوسف عليه السلام قال لهم: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾{يوسف: 92} ، بل وحتى يعقوب عليه السلام الذي حُرم من ابنه لعقود طويلة من الزمن، بل﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾{يوسف:

[1] مقاتل بن سليمان، المصدر نفسه، ص ص192–193.

84} وصار كظيما لا يبصر، لما طلب منه أبناؤه الصفح، وكأنهم كانوا على ثقة من عفوه عليه السلام[1]، فقال لهم: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٩٨﴾{يوسف : 98}.

إذا فدعوة الإسلام الأولى تقوم على التسامح وليس كما يروج له، على أنه دين عنف وكتاب المسلمين الأول هو مرجعية الجماعات المتطرفة التي تتبنى أفكار العنف والقسوة مع المسلمين والآخر.

المطلب الثاني: الأبعاد الأخلاقية للتسامح في السنة النبوية.

أما السنة النبوية فإنها تحمل الكثير النماذج والأمثلة عن التسامح والرفق والعفو والدعوة إلى تفعيل ذلك، فما قامت السنة إلى لأجل بناء مجتمع متماسك ومتماثل للأوامر الإلهية المباركة في تحرير البشر من قيود الجاهلية التي كانت تقسم المجتمعات العربية، وأدخلت الناس في دوامة من الصراعات الدموية الرهيبة، فلذلك جاءت السنة المباركة لتصحيح أوضاع الناس وبناء مجتمع أخلاقي جديد متسامح لأبعد الحدود الإنسانية.

أولا: الشمائل المحمدية والتسامح.

تحمل السنة النبوية الشريفة الكثير من دلالات التسامح التي تتماشى كلياً مع دعوة القرآن الكريم، والأوامر الإلهية المقدسة، ومثلها الأعلى للمسلمين وللناس جميعا الذي يُقتدى به هو النبي محمد ﷺ الذي يعتبر أعظم شخصيات التسامح على الإطلاق منذ بدأ الخليقة إلى يومنا، فقد زكّى الله لسانه وصدره وفُؤاده وخُلقه فقال عنه الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾{القلم:4}، وقال عنه:﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣﴾{النجم:3}، وقال عنه

---

[1] أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، (ج4)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،(د ت)، ص306.

كذلك:﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝﴾{النجم:11} وقال تعالى عنه:﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝﴾{الشرح:1}[1].

إنّ النبي ﷺ كان كريما متسامحا لأقصى حدٍ، يحب العفو ويسعى إلى الصلح ويدعو إليه، كما كان يحذر ﷺ من القسوة التي تتعارض مع قيم الإسلام والإنسانية، ويحذّر من العنف، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:**(أن رسول الله ﷺ مكتوبٌ في الإنجيلِ :لا فَظٌّ، ولا غليظٌ، ولا صخَّابٌ بالأسواق، ولا يَجزي بالسِّيئةِ مثلَها، بل يَعْفو ويصفَحُ)**[2]، وبلفظ نحوه جاء ذكره في التوراة في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص حيث قال:**(والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن يا أيها النبي إن أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لا فظ ولا غليظ و لا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله يفتح به أعينا عميا وأذاناً صماً وقلوباً غلفاً)**[3].

من خلال هذه الرواية تدرك مباشرة سمو أخلاق النبي ﷺ في مقابلة العنف بالتسامح، وخلو قلبه من القسوة التي تتعارض مع شيم الكرام وهو ما جاء ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝﴾**{آل عمران: 159}**،وفي هذه الآية تتبين شخصية النبي ﷺ العظيمة، التي تحمل الحقائق الكثيرة الأصيلة المشدودة إلى محورها – وهي الحقيقة النبوية الكريمة – فنجد كذلك أصولاً كبيرة تحتويها عبارات قصيرة نجد حقيقة الرحمة

---

[1] أُنظر، الخزار، المرجع نفسه، ص 128.

[2] السلسلة الصحيحة برقم:2458.

[3] الكاندهلوي محمد يوسف، حياة الصحابة، (ج1)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (ط1)، 2006، ص16.

الإلهية المتمثلة في أخلاق النبي ﷺ وطبيعته الخيرة الرحيمة الهينة اللينة، المعدة أن تجتمع عليها القلوب وتتألف حولها النفوس[1].

فالأمة يجب أن يكون لها مَثَلٌ يُتّبع ويُطاع في شؤون الدين والدنيا وهو ما جسّده النبي ﷺ بأخلاقه العظيمة الكريمة بمقابلة السيئة بالعفو وليس بالقوة أو العنف المماثلففي سبيل الدعوة إلى الله تعالى أخرج من بلده و قتل أصحابه وقذف في عرضه واتهم في عقله وتعرّض للسخرية والاستهزاء والغمز واللمز وتعرض للقتل، ووضع له السُّمُ، بل إن السنين التي قضاها لم ينعم فيها قط[2]، لكنه رغم ذلك كان رحيما بالناس جميعا من آمن به أو كفر[3]، فلذلك قال عنه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾**{القلم:5}** وهذا ثناء على النبي بالسماحة والديانة [4]، وكمالُ الخلق.

فدعوة الأنبياء متشابهة في عمومها، مبنية على الملاينة والطيبة، وبعيدة عن الشدة والقسوة التي تُنفر الناس جميعا، فكل ما حصل مع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وهود وزكرياء وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام من عنف وأذى حصل للنبي ﷺ بالمثل، وقابل ذلك بسعة عفوه وبتسامحه المعهود، ينقل لنا **بن عباس** نموذجا عن أحد الأنبياء الذي مثّل صورة أخلاقية مثالية في مقابلة العنف باللا عنف فقال : **"كأني أنظرُ إلى النبيِّ ﷺ يحكي نبيًّا منا لأنبياء، ضربه قومُه فأدمَوهُ، فهو يمسحُ الدمَ عن وجهه، ويقول ربِّ اغفرْ لقومي فإنهم لا يعلمونَ"**[5].

---

[1] سيد قطب، المصدر نفسه، (مج1)، ص500.

[2] الخراز، المرجع نفسه، ص248.

[3] نفسه، ص129.

[4] الحليمي أبو عبد الله الحسين بن الحسن، المنهاج في شعب الإيمان، (ج2)، تحقيق: محمد حلمي فودة، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1979، ص73.

[5] أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، برقم:3477.

وهذا أحسن مخرجات التعامل مع عنف الآخرين، التي كان ينتهجها النبي ﷺالتي تعكس أخلاقه العظيمة في تعامله مع عموم الناس وقد وصف الأنبياء ببعض الصفات من الرشد والحلم والتقى، غير أن نبينا ﷺ وصف بالخلق العظيم[1]، فكلٌ مواقفه ﷺ كما ذكرنا كانت تتسم بالعفو والتسامح حتى في بعض الحدود والعقوبات والقصاص، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه **قال:(ما رأيتُ النَّبيَّ ﷺ رُفِعَ إليهِ شيءٌ فيهِ قصاصٌ إلَّا أمرَ فيهِ بالعفوِ)**[2].

فهذه شخصية النبي ﷺ المتسامحة دوما، وشمائله دفعت الغرب ليشيدوا بما قدمه للإنسانية على مر العصور وفي كل الأمصار، يقول **مايكل هارت** صاحب كتاب **(الخالدون المائة): (لقد اخترت محمدا في أول هذه القائمة و لابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق في ذلك ولكن محمدا عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحا مطلقا على المستوى الديني والدنيوي)**[3]، وتعجب **هارت** كثيرا من نجاح النبي ﷺ في توحيد الناس في بيئة بدوية في شبه الجزيرة اشتهرت بالشراسة في القتال والتمزق الاجتماعي والتباعد[4].

فشهادة هذا الكاتب كانت موضوعية بعد استقرائه التاريخ الإسلامي وفتوحات المسلمين ومقاربة حروب الصليبين بالأخلاق المحمدية التي زُرعت في المدن والأمصار والتي كانت أحد أهم وأكبر أسباب انتشار الإسلام على الأرض، لذلك يضيف قائلا: **(أما الرسول فهو المسؤول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي، والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية)**[5].

---

[1] الخراز، المرجع نفسه، ص129.

[2] أخرجه أبو داود، كتاب الديّات، برقم: 4497، والنسائي، كتاب القسامة، برقم: 4784.

[3] مايكل هارت، الخالدون المائة، ت: أنيس منصور، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، قسنطينة، (ط1)، 2009، ص9.

[4] نفسه، ص10.

[5] نفسه، ص17.

لابد أن نتوقف عند هذه الحقيقة لتصحيح الأحكام التي تحمل جدلا كبيرا بين العنف واللا عنف، وللامتثال لدعوة النبي الكريم ﷺ في نبذ العنف والتطرف في كل المجالات السياسية والاجتماعية من أجل التأسيس للأخلاق التي تكفل السلم والأمن للمسلمين وغيرهم، فوظيفة النبي ﷺ بعد تعليم الناس الكتاب والسنة هو تربيتهم أحسن تربية بتزكيتهم وتزكية نفوسهم **بالأعمال الصالحة والتبري من الأعمال الرديئة التي تُزكى النفوس معها**[1] فيتشبه أصحابه بشخصيته ويتأثرون بشمائله المتسمة بالسماحة والبعيدة عن العنف والتطرف.

فدعوة الإسلام الأخلاقية التسامحية في مراحلها الأولى نجحت بفضل شخصية النبي اللينة والمتسامحة مع الجميع، من المسلمين والآخر، فلذلك أمر الله المؤمنين بتتبع منهج النبي ﷺ لأنه أفضل من يمثل الأخلاق وسبل التسامح والعفو، فقال تعالى: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١**﴾{الاحزاب:21} ، فالنبي ﷺ يأمر المسلمين عامة باستعمال أساليب الليونة والسماحة في التعامل مع أنفسهم وغيرهم، وكان يحثُّ على فعل ذلك في مجمل خطاباته، وحطم المفاهيم القبلية التي كانت سائدة مثل العصبية المفرطة والاستعلاء والإقصاء والاستعباد وغيرها.

ثانيا: السنة النبوية ودعوة التسامح.

دعا النبي ﷺ في رسالته الناس جميعا للتمسك بالقيم الفاضلة، والطاهرة النقية، التي تكفل حياة الأفراد، ويتماسك المجتمع ويشتدُّ بتفعيلها، وإلى الحرص على نشرها ولُبُّ هذه القيم **التسامح الحق**، الذي يعتبر جوهر مكارم الأخلاق وكمالها وجمالها، التسامح الذي يدفع بالعنف دفعا للاندثار والفناء، ويلين القسوة، ويحد من خطابات الكراهية وما اتصل

---

[1] السعدي عبد الرحمن، المصدر نفسه، ص66.

بها من عصبيات القرون الأولى التي فرقت المجتمعات قاطبة في كل عصر وفي مكان وفي كل مصر من الأمصار، كما حرص النبي ﷺ على تعليم الناس **الإخاء والسماحة والعفو والرفق** وكل ما يتصل بذلك، فالنتيجة حسبه ﷺ المجتمع الصادق المتماسك والرزين الذي لا يهوى، ولا تضطرب علاقات أفراده .

فلقد تميزت أحاديث النبي ﷺ وخطبه بتفضيل التسامح والرفق ودعوة الناس إلى ذلك والتنفير من القسوة والعنف ومن كل فعل أو تصرف يتصف به، كما جاء في قوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها:**(يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه)**[1]، وهذا إثبات على أنّ الله تعالى يحب الرفق وأمر به، وباب آخر تحدث ﷺ عن الولاة والحكام وطبائع تعاملهم مع الرعية فميّز بين نوعين منهم فقال: **(اللهم من ولى أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن أمر من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به)**[2].

كما كان النبي ﷺ يدعو الناس على مقابلة العنف بالتسامح والمسيء بالصفح ويأمر بوصل المُقاطَع، والإنفاق والعفو عن الظالمين[3]، كما في حواره ﷺ مع عقبة بن عامر لما نصحه بوصل من قاطعه، والتصدق على من حرمه، وبخل عليه، وأمره بالعفو عمن ظلمه، ونصحه بإمساك لسانه حتى لا يؤذي الناس، فالعفو هو الذي يجب أن يسود للكفِّ ووضع حد للعنف والتطرف وخطابات الكراهية والإقصاء، ولا شك أنّ أوامر النبي ﷺ قطعية لا شك في ذلك، فكان يخاطب العقول المستنيرة من أصحابه بُغية تصحيح الأفكار التي كانت رائجة بحكم أنهم أقربُ عهدٍ لمرحلة الجاهلية.

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، برقم: 2593.

(2) رواه أحمد، في مسند الصديقة عائشة، برقم: 24622.

(3) وقد أورد الحافظ المنذري في كتابه الترغيب والترهيب مجموعة معتبرة من أحاديث النبي ﷺ تدعو للتسامح في باب مستقل، بعنوان الترغيب في الرفق والأناة والحلم، اُنظر، المنذري عبد العظيم بن عبد القوي، الترغيب والترهيب، دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، (ط2)، 2013، ص، ص254-258.

ومن دعوات التسامح التي وردت في الآثار النبوية ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: **(اسمح يُسمح لك)**[1]، فحتّى يسود التسامح ويُبعث في المجتمع الإسلامي فيجبُ على كل مؤمنٍ أن يكون المبادر إلى فعل ذلك في معنى حديثه ﷺ وهذا معلومٌ بالضرورة فالملاينة والمداهنة والتسامح والصبر تزيلُ القسوة من القلوب، وتزيد من محبة الناس لبعضهم البعض، وتقوي المؤمن وتجعله أكثر قوة من ذي قبل كما قال ﷺ : **(أفضل الإيمان الصبر والسماحة)**[2].

وامتحان قوة الإيمان الحقيقية تكون بالسماحة والصبر، وحتما ستتحقق الرحمة بين الناس ويندثر الشر ويزول ويعُمّ الخير والشكر، وهو ما يؤكده **النعمان بن بشير** في حديثه عن النبي ﷺ أنه قال: **(من لم يشكرِ القليلَ لم يشكرِ الكثيرَ، ومن لم يشكرِ الناسَ، لم يشكرِ اللهَ، والتحدُّثُ بنعمةِ اللهِ شكرٌ، وتركُها كفرٌ، والجماعةُ رحمةٌ، والفُرقةُ عذابٌ)**[3]، فالشكر من الصفات الخلقية الحميدة وهو من مدلولات التسامح وتطبيقاته العملية، ولا شك أنه يجعل الإنسان مميزا في تصرفاته ونقيضه هو جحود ذلك، ما يحقق فرقة وتمزقاً، ويفتح باباً للقطيعة، كما يشير إلى ذلك النبي ﷺ في قوله **الفرقة عذاب**، فالنبي ﷺ حرص كل الحرص على سد منافذ وفجوات الشر، التي تؤدي حتما إلى التباعد والقطيعة التي تمزق المجتمع وتفرقه جماعات وأفراد متناحرين، كما كان يحدث ذلك قبل البعثة.

كما أوصى النبي ﷺ في دعوته **بالتضامن والتآخي والتآزر والتراحم**، وحثّ على **الشفاعة** حثّاً، وذكّر الناس بفضائلها وقيمتها المعنوية التي تؤثر إيجابا على المجتمعات حيث قال: **(المؤمِنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشُدُّ بعضُه بعضًا ثم شبَّك بين أصابِعِه وكان النبيُّ ﷺ جالسًا، إذ جاء رجلٌ يسأل، أو طالبُ حاجةٍ، أقبل علينا بوجْهِه، فقال :اشفَعوا فلْتؤجَروا،**

---

(1) رواه أحمد، في مسند بني هاشم، برقم: 2233.

(2) أخرجه أحمد، في مسند الكوفيين، برقم:19435.

(3) أخرجه الإمام أحمد، في مسند الكوفيين، برقم:18449.

وليقضِ اللهُ على لسانِ نَبيِّه ما شاء)[1]، فوحدة المجتمع وقوامه يكون بالتسامح، والأجر الكبير يكون لمن التزم بالقواعد النبوية الأساسية لهذا التعامل النبيل الذي يعكس المدى والبُعد الأخلاقي له ولمن التزم به وحرص على تطبيقه ليحصل التآلف والمودة بين الناس، فلا لون يفرقهم كما كان من ذي قبل، ولا انتماء قبلي يقصيهم ولا عصبية عمياء تعصف بجمعهم.

فالنبي ﷺ يرى أنّ **(أكملُ المؤمنين إيمانًا أحاسنُهم أخلاقًا، الموَطَّؤون أكنافًا ،الذين يأْلَفون ويُؤْلَفون، ولا خير في من لا يألَفُ ولا يُؤْلَفُ)**[2]، وهنا تلمس ثنائية الإيمان والأخلاق تُبعث من هذا الحديث، كما تدرك صفات قساة النفوس وغُلف القلوب، الذين لا يألفون ولا يتآلفون، ويمكنك التمييز بين النوعين في ميزان التعامل الخلقي، بالتسامح للأولين وباللا تسامح للنوع الثاني.

كما كان ﷺ يحثُّ الناس على تفعيل الرحمة وتليين القلوب، وتطييب النفوس في التعامل مع المسيء من الناس لأن الناس كلهم يخطئون وأعلاهم شأناً الكريم الذي يغفر للناس زلاتهم وأخطاءهم، وهذا من أجلِّ قيم التسامح، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: **(من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ، ومن لا يَغفِرْ لا يُغْفَرْ له)**[3]، فلو تحققت قيم التسامح كما أمرنا النبي ﷺ لما سالت قطرة دم، ولما مارس الناس خطابات الكراهية والحقد التي حطمت قيم الإنسانية عبر العصور.

أمَّا أفضل طرق تفعيل التسامح التي نصحنا بها النبي ﷺ، في خطبه و أحاديثه، هو **السلام** بإفشائه في المجتمع، وإلقائه على الجميع، فالسلام في شريعة الإسلام يعني الأمن

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، برقم:1432.

(2) أُنظر السلسلة الصحيحة برقم:751.

(3) أخرجه أحمد، مسند الكوفيين، برقم:19244.

والأمان والسلم والسلامة والبراءة والرحمة البعيدة عن الإذاية والبغضاء[1]، كما جاء في حديث النبي ﷺ: **(دبَّ إليْكم داءُ الأممِ قبلَكم الحسدُ والبغضاءُ هيَ الحالقةُ لا أقولُ تحلقُ الشَّعرَ ولَكن تحلِقُ الدِّينَ والَّذي نفسي بيدِهِ لا تدخلوا الجنَّةَ حتَّى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا أفلا أنبِّئُكم بما يثبِّتُ ذلِكَ لَكم أفشوا السَّلامَ بينَكم)**[2]، فيتبين من هذا الحديث معرفة النبي ﷺ بأحوال الأولين من القطيعة والتنافر والشقاق بسبب التحاسد والكراهية التي كانت بين أفراد المجتمع والمؤدية بالضرورة إلى مختلف الصراعات العنيفة والمتطرفة.

كما ربط ﷺ الايمان بالمحبة الصادقة وسبيل ذلك افشاء السلام بين الناس، وبنفس المعنى جاء من طريق آخر: **(أَفشوا السَّلامَ، وأطعِمُوا الطعامَ، وكونوا إخوانًا كما أمركُم اللهُ عز وجل)**[3]، فالمؤاخاة في الإسلام تكون بالسلام الذي حثَّ عليه النبي ﷺ مرات عديدة في خطبه ، وفي جميع مراحله الدعوية.

وكان ﷺ يدعوا إلى اصلاح ذات البين بين الناس حتى لا يفسد باطنهم وتحمل قلوبهم الغل والكراهية، والبغضاء، ويحدث الشقاق كما هو معلوم ، فلذلك دعوة الإصلاح جاءت في أكثر من موضع، وكانت عملية خالصة كنصيحته لأبي أيوب الأنصاري فقال ﷺ:**(ألا أدُلُّكَ على صدقةٍ يُحبُّ اللهُ موضعَها؟ تُصلحْ بين الناسِ، فإنَّها صدقةٌ يُحبُّ اللهُ موضعَها)**[4]، فالله سبحانه وتعالى يحب الإصلاح ودعوات تجاوز الخلافات التي يتناحر الناس لأجلها، ويحصل العنف منها ولقد اعتبرها النبي ﷺ صدقة، فلها أجر ومقابل في شريعة الإسلام، فلذا يسارع الناس في تحصيل هذا الأجر بإصلاح ما استطاعوا حتى يتحقق التسامح وصوره في المجتمع الإسلامي.

---

(1) ابن منظور، المصدر نفسه،(مج7)، مادة سلم، ص، ص240- 246.

(2) أخرجه الإمام أحمد، مسند الزبير بن العوام، برقم:1412.

(3) أخرجه ابن ماجة، كتاب الأطعمة، برقم:3252.

(4) أُنظر السلسلة الصحيحة برقم:2644.

المسلم في نظر النبي ﷺ ليس من يؤدي فرائض الدين أو يظهر ما هو معلوم من أركانه ومفروض على كل بالغ، بل المسلم الحقيقي هو الذي لا يؤذي الناس بلسانه أو بيده تحقيقا لرغباته اللاأخلاقية، والمهاجر في نظره ليس من هاجر من مكان إلى آخر بغية التعبد وإقامة الشرائع، بل من هجر ما نهى عنه ﷺ، كأعمال الشر والعنف والغلو وكل موصوف القسوة والعنف والتطرف لذا قال ﷺ: **(المُسلِمُ مَن سَلِمَ المُسلِمونَ مِن لسانِه ويدِهِ، والمُهاجِرُ مَن هجرَ ما نَهى اللَّهُ عنهُ)**[1]، و دعا النبي ﷺ الناس لحب بعضهم بعضا، وهي أجمل صور التسامح الحق الذي لا يشوبه شائب، ويكون بلا مصلحة، بل حب في الله وفي رسوله وهي القيم التي حرص ﷺ على تبليغها للناس طيلة حياته فقال: **(لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنَفْسِه)**[2].

والمجتمع الذي حرص النبي ﷺ على تأسيس أخلاقه غلب عليه طبع المحبة والتسامح في ظل التآخي، بل قد أعطاه تشبيه الجسد في التماسك والتناسق بين أعضائه، فلا فرق بين أعضاء الجسد وأعضاء المجتمع حيث قال ﷺ: **(مَثلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم، مَثلُ الجسدِ، إذا اشتكَى منه عضوٌ ، تداعَى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى)**[3]، فاللُحمة التي يتأسس عليه تتأثر ايجابا بالتسامح، وتتأثر سلبا من دونه.

والمسلم الحقيقي هو من يسلم الناس من أفعاله وتصرفاته، بل حتى البهائم وحرص النبي ﷺ على رحمتها والإحسان إليها كما جاء ذلك في الحديث **(والشَّاةُ إن رَحِمتَها يَرحَمكَ الله)**[4] فحتى الشاة لم تستثنى من دعوة النبي ﷺ في تفعيل قيم التسامح في المجتمعات، فالرحمة حسبه متعلقة بقلوب البشر وتمارس مع الجميع سواء كان انسان أو

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، برقم: 10.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، برقم: 13.

(3) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، برقم:2586.

(4) رواه أحمد، مسند المكيين، برقم: 15592.

حيوان وفي حديث آخر قال ﷺ: **(من رَحِمَ ولَو ذبيحة عصفورٍ رَحِمَهُ الله يَومَ القيامة)**[1]، فهذا هو التسامح الحق الذي جاء به ﷺ في دعوته والذي يتعارض مع دعاوي العنف واللاتسامح التي كانت سائدة قبل الإسلام في كل المجالات.

ثالثا: موقف السنة من اللاتسامح.

تميزت الدعوة النبوية بتفضيل بعض الأعمال والأفعال والتصرفات التي تخص التعاملات بين أفراد المجتمع والجماعات، وحبَّبَ النبي ﷺ هذه الأعمال للناس ودعا إليها، وحذَّر في المقابل من بعض الأعمال التي تحمل موصوف القسوة والشدة والتطرف والغلو وكل مدلولات العنف واللا تسامح مع المسلمين أو الآخر، والتي تؤذيهم جسديا أو معنويا فتكون أول دوافع الشقاق والنفور، فلذا نجده ﷺ يحرص في كل مرة على توصية الناس بعدم المساس بحريات الآخرين أو ظلمهم أو تعنيفهم أو الإساءة إليهم لفظيا بسبهم أو شتمهم، أو شتم ديانتهم أو معتقداتهم أو الإنقاص من قيمتهم الدينية أو الاجتماعية.

فكما ذكرنا سابقا في حديثه أن الله يُعطي على الرفق مالا يُعطي على العنف، نجد النبي ﷺ يحذر من الأسباب والدوافع التي تؤدي إلى العنف، فنذكر منها تحذيره للرجل الذي طلب من النبي ﷺ وصية فقال له النبي ﷺ: **(لا تغضب)** فردد مرارا **(لا تغضب)**[2]، فالغضب يشعل نيران الثأر والرد بالمثل ولا شك أن ذلك يؤدي إلى القتل والقتال والعنف اللفظي والعملي، كما ثمّن النبي ﷺ من تجاوز غضبه ولم يتسرع في الرد فقال: **(مَنْ كَفَّ غضبَهُ كَفَّ اللهُ عنهُ عذابَهُ ومَنْ خزنَ لسانَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنِ اعْتَذَرَ إلى اللهِ قَبِلَ اللهُ عُذْرَهُ)**[3].

---

(1) أُنظر السلسلة الصحيحة برقم:27.

(2) رواه البخاري، كتاب الأدب، برقم:6116.

(3) أُنظر السلسلة الصحيحة برقم:2360.

ويُفهمُ من قوله ﷺ أن الغضب يضر بصاحبه لأنه يدفعه للقيام بأمور تتعارض مع تعاليم الشريعة والأخلاق الإسلامية التي دعا إليها النبي ﷺ، ثم يقدم النبي ﷺ أحسن وسيلة لاجتناب ذلك ألا وهو الاعتذار وهو أحد مدلولات التسامح مع النفس ومع الله ومع الآخرين، كما نجده كذلك ينهى عن **الحسد والتباغض**، لأنهما يُنفران الجمع ويحدثان القطيعة التي بدورها تكون سببا للعنف، وقد أخبر الرسول ﷺ أنه سينتشر ذلك في أمته، وذلك يكون سببا لارتكاب الأعمال العنيفة المروعة التي سماها بغيا وظلما للإنسان من أخيه الإنسان، واعتبره النبي ﷺ داء الأمم، بمعنى آخر سببا لتفرقة الأمة وإحداث الشقاق فيها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(سيُصيبُ أُمَّتي داءُ الأُممِ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ و ما داءُ الأُممِ؟ قال :الأشرُ البطرُ والتكاثرُ والتناجشُ في الدنيا، والتباغضُ والتحاسدُ حتى يكونَ البغيُ)**[1]، والبغي هو القتل والاقتتال.

وهذه الأسباب التي كانت دافعا لخراب الأمم السابقة هي نفسها ما قضت على الأمم التي من بعدها من بينها الأمة الإسلامية، وفي حديث آخر عن عبد الله بن عمرو قال: قيل لرسولِ اللهِ ﷺ أيُّ الناسِ أفضلُ قال:**(كلُّ مخمومِ القلبِ صدوقِ اللسانِ قالوا صدوقُ اللسانِ نعرفُه فما مخمومُ القلبِ؟ قال :هو التقيُّ النقيُّ لا إثمَ فيه ولا بغيَ ولا غِلَّ ولا حسدَ)**[2]، فالغل والحسد والإثم والبغي أكبر العلل التي تصيب القلب، فتحوّل ليونته إلى قسوة، فيتحول الفرد من إنسان يعرف كينونته وهويته إلى فرد عديم الأخلاق وتصرفاته كلها تنم عن حقد وغلٍ وكراهية.

ومن بين أهم الوصايا النبوية التي حذرت من سبل العنف والطرق التي تؤدي إليه ما الظن والتجسس والتحسس، فقال ﷺ : **(إيَّاكُم والظَّنَّ ، فإنَّ الظَّنَّ أَكذبُ الحديثِ ولا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تحاسَدوا ولا تدابَروا، ولا تباغَضوا، وَكونوا عبادَ اللَّهِ**

---

(1) أُنظر السلسلة الصحيحة برقم:680.

(2) أخرجه ابن ماجة، كتاب الزهد، برقم:4216.

إخوانًا)[1]، فنهي النبي ﷺ عن هذه الصفات، يقرِّب حقيقة خطرها على تربية الفرد وعلى المجتمع من حيث التدابر والقطيعة وهناك دعوة للتآخي، وهنا يُنهي ﷺ جدلية العنف بمقابلته بالتسامح والتآخي.

و لقد شدَّدَ النبي ﷺ على حرمة المسلم وحرمة ماله ودمه في كل الأحوال كما جاء ذلك في حديثه ﷺ: **(لا تحاسَدوا، ولا تَناجَشوا، ولا تباغَضوا، ولا تدابروا، ولا يبِعْ بعضُكُم علَى بيعِ بعضٍ، وَكونوا عبادَ اللَّهِ إخوانًا، المسلمُ أخو المسلمِ، لا يظلِمُهُ ولا يخذلُهُ، ولا يحقِرُهُ التَّقوَى هاهنا ويشيرُ إلى صدرِهِ ثلاثَ مرَّاتٍ بحسبِ امرئٍ منَ الشَّرِّ أن يحقِرَ أخاهُ المُسلمَ، كلُّ المسلمِ علَى المسلمِ حرامٌ، دمُهُ، ومالُهُ وَعِرْضُهُ)**[2]، وهذا النهي قد ذكره في مواطن متعددة في أكثر من مناسبة، منها قوله ﷺ: **(المسلمُ أخو المسلمِ، لا يَظْلِمُه ولا يُسْلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومَن فرَّجَ عن مسلمٍ كربةً فرَّجَ اللهُ عنه كربةً مِن كُرُبَاتِ يومِ القيامةِ، ومَن سترَ مسلمًا سترَه اللهُ يومَ القيامة)**[3].

فتحريم الظلم بكل أشكاله كان من أولى أولويات الدعوة النبوية، ولا شك أن توطيد القيم الاجتماعية لا يحصل إلا بمثل هذه الأخلاق الحميدة الفاضلة وذلك بنبذ العنف بكل طرقه واتباع منهج النبي ﷺ في التسامح والتآخي بتفريج الكربات والتضامن عند الشدائد، ومن بين أهم الأحاديث التي جاءت في تحريم **الظلم والعنف وخطابات الكراهية** ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنَّ رسول ﷺ قال : **(اتَّقوا الظُّلْمَ، فإنَّ الظُّلْمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ واتَّقوا الشُّحَّ فإنَّ الشُّحَّ أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءَهم و استحلُّوا محارمَهم)**[4]، فالظلم في شريعة الإسلام يعني العنف بالضرورة فهو الأذى والتقريع،

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، برقم:5143.

(2) أخرجه مسلم في كتاب البر وصلة الأرحام، برقم:2564.

(3) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، برقم:2442.

(4) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، برقم:2578.

(والظلمة هم مانعو أهل الحقوق حقوقهم)[1]، وهذا من أكبر أشكال العنف بلا ريب، فلذا لا يرضاه أيٌّ امرئ كان على نفسه، فنهي النبي ﷺ عنه كان من أولى أولياته.

ومما نهى عنه النبي ﷺ كذلك خطابات الكراهية ومن جملتها السب والشتم والتقريع والتصغير والتنابز بالألقاب قصد الإساءة وغيرها، فكلها قد نهى عنها ﷺ فقال في ذلك: **(سِبَابُ الْمُؤْمِنِ فِسْقٌ وقِتَالُهُ كُفْرٌ)**[2]ومعنى الحديث يدل على تجريم خطابات الكراهية لما تسببه من وقع في النفوس، وفي الأوساط الاجتماعية من ضغائن وقطيعة، ولم تشفع صُحبة أبي ذرٍ الغفاري له بعد أن سبَّ بلال بن رباح رضي الله عنه، فغضب منه النبي ﷺ، وقال له: **(إِنَّكَ امرؤٌ فيك جَاهِلِيةٌ)**[3]، وهنا تدركُ عظمة العنف المعنوي، وما يسببه للفرد والجماعة.

و آخر ما أوصى به النبي ﷺ في **حجة الوداع** هو تحريم العنف والنهي عنه، بكل أشكاله و صوره، إلى حد تشبيه من يقوم به بالكفار الذين لا يرقبون إلّاً ولا ذمة مع الجميع، فقال ﷺ: **(لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)**[4]، وفي نفس اليوم في خطبته ﷺ نصح المسلمين بعدم التعرض لبعضهم بعضا، وأمرهم باجتناب كل ما يتعلق بالعنف والمظالم وحرَّمَ ذلك تحريما قطعيا فقال ﷺ: (... **فَإِنَّ دِمَائُكُمْ وَ أَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَضكُمْ بَينَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمُكُمْ هذا ...**)[5] فلم يترك عليه السلام، أي مُدخلٍ لتفعيل العنف أو ممارسته ، بل سد جميع أبوابه و فتح أبواب التسامح والتعايش في سلام للجميع.

---

(1) ابن منظور، المصدر نفسه، (مج9)، مادة ظلم، ص192.

(2) أخرجه أحمد، مسند عبد الله بن مسعود، برقم:4178.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، برقم:6050.

(4) رواه البخاري، كتاب العلم، برقم:121.

(5) رواه البخاري، كتاب الحج، برقم:1739.

المطلب الثالث : أشكال التسامح في الاسلام .

تتجلى ملامح وأشكال التسامح واللاعنف في الإسلام كثيرا، تعكس مدى تمسك المسلمين بهذا الأسلوب الأخلاقي والإنساني الذي يكفل الحريات ويُبقي على سبل العيش المشترك قائمة خالية من التباعد والتناحر الذي كان قائما قبل الإسلام، فكما هو معلوم كان التصنيف هو الغالب على المجتمع العربي، فلا لا قيمة للإنسان، ولا اعتبار للحريات الفكرية والعقائدية، وكان التمييز ينخر جسد المجتمع العربي في تلك المرحلة وسياسة القبلية والتنافس على المركزية الصورة الغالبة كذلك، فطغى الثأر ومقابلة العنف بالعنف، ونشبت الحروب بين القبائل والأمصار، فأحياناً كانت بسبب دوافع لا معقولة وتافهة جدا وواهية لدرجة لا يستوعبها عقل[1].

فتفعيل الأخلاق النبيلة كانت وظيفة الرسول المقدسة التي حرص على تنفيذها وعمل الكثير من المسلمين حكاما وفقهاءً وعلماءً على تعميمها، فنذكر منها :

أولا: مقابلة العنف بالتسامح في حياة النبي ﷺ.

تعرَّض النبي ﷺ للكثير من المواقف التي تتسم بالعنف تارة وبالكراهية تارة أخرى، لكنه في كل مرة كان يقابل ذلك بالتسامح والعفو والرفق، فكان بذلك أعلى مثال يُقتدى به في مثل هذه المواقف، لذلك قال عنه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾{القلم:4} فلم يكن ﷺ يجازي السيئة بمثلها، بل كان يعفو ويتجاوز ذلك بالإحسان دائما.

(1) مثل حروب ومعارك الأوس والخزرج في الجاهلية التي كانت تشتعل بأسباب تافهة ودوافع لا عقلانية، مثل قصتهم مع الغطفاني الذي قال: ليأخذ هذا الفرس أعز أهل يثرب، فأخذه أحيحة بن الجلاح الأوسي، فتنازع معه مالك بن العجلان الخزرجي فوقعت بين القوم حادثة قتل، ونشب بين الأوس والخزرج خلاف كبير، حول أمر تافه، ينم عن عصبية عمياء وقبلية جاهلية لا مثيل لها، اُنظر، محمد أحمد المولى بك وأخرون، **أيام العرب في الجاهلية**، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (ط1)، 1942، ص، ص62–64.

ورغم أنه ﷺ تعرّض لمختلف أصناف العذاب وخطابات الكراهية والبغضاء لما كان بمكة قبل الهجرة، بل وطارده المشركون وآذوه كثيرا، بحصاره وإشعال النار في طريقه، وبقتل أصحابه ولم يكتفوا بذلك فهجّروه وأخرجوه من موطنه مكة، ولحقوه لكي يقتلوه، وضيّقوا الخناق عليه تماما إلا أن أنه ﷺ لم يعاملهم بالمثل لما ظفر بهم، بعد غزوة بدر، بل عفا عنهم، حتى أنك تجد صعوبة في استيعاب معاملته بالذين آذوه واشتدوا في إيذائه[1].

فالسهيل بن عمرو وقع مع الأسرى وكان شاعرا أديبا مفوها وبليغا وكان يشتم النبي ﷺ كلما خاطب الناس، فلما أبصره النبي ﷺ مع الأسرى أطلق سراحه، فلما رأى عمر بن الخطاب ذلك طلب من النبي ﷺ أن يسمح له بنزع ثنيتيه حتى لا يشتم النبي مجددا، فرفض النبي ﷺ طلب عمر وقال: **(إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه)**[2]، ولما فتح النبي ﷺ مكة عام الفتح، أعطى سكانها الأمان، بل وأكرم أكبر خصومه قبل الفتح وهو أبا سفيان بن حرب، وقال ﷺ: **(من دخل بيت أبا سفيان فهو آمن)**[3]، وباعتراف أبي سفيان الذي تعجّب من حِلم النبي ﷺ وعفوه وسعة صدره حتى قال له: **(بأبي أنت وأمي ما أوصلك وما أحلمك وما أكرمك)**[4].

وبعد أن تمكن النبي ﷺ من مكة وسيطر عليها، وقف أمام من كانوا بالأمس يحاربونه ويقاتلونه، بل وأخرجوه من أرضه وموطنه الأصلي، وقال: **(يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم خلق من تراب)**، ثم

---

(1) السرجاني راغب الحنفي، الرحمة في حياة الرسول ﷺ ، رابطة العالم الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2009، ص247.

(2) ابن كثير، المصدر نفسه، (مج2)، ص447.

(3) نفسه، ص811.

(4) الطبري محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د.ت)، ص435.

تلا ﷺ عليهم قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾{**الحجرات:13**} ، ثم قال: (**يا معشر قريش ويا أهل مكة ما ترون أني فاعل بكم؟**) قالوا: خيراً، أخ كريم ابن أخ كريم ثم قال: (**اذهبوا فأنتم الطلقاء**)[1] فعفا عنهم وقابل عنفهم الذي مارسوه عليه من قبل بالتسامح الحق الذي أدهشهم وجعلهم يدخلون الإسلام كافة، من بعد ذلك بأشهر فقط.

ومن بين الأمثلة التي توضح لنا سعة عفو وتسامح النبي ﷺ ما رواه أنس(**أَنَّ يهودِيَّةً أَتَتْ النبيَّ ﷺ بشاةٍ مسمُومَةً فأكَلَ منهَا، فجِيءَ بهَا، فقيلَ :ألا نقتلها ؟قال: " لا" فمَازلتُ أعرفُهَا في لهَوَاتِ رسولِ اللهِ ﷺ**)[2]، فكان تصرفه هذا مثاليا حسب أنس، وبقي أنس بن مالك يحدث بهذا الحديث، لأنه حقاً يجعل المرء مندهشا، في تعامل النبي ﷺ وتصرفه مع ألد خصومه ممن يدس له السمّ لكي يتخلص منه محاولا قتله، فلو حصل ذلك مع أي بشر كان لينتصر لنفسه، ولفعل معها بالمثل، لكنه ﷺ لم يقم بذلك وإنما عفا عنها وتركها في حال سبيلها.

وأما قصة اليهودي الآخر **زيد بن سعنة** وكان من أحبار اليهود فقد قال: (**لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلما فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله**)، فاهتدى إلى حيلةٍ ودَايَنَ النبي ﷺ إلى أجل مسمى، ثم استعجل عليه بن سعنة (ليختبر حِلم النبي ﷺ)، فأخذ بمجامع قميصه ونظر إليه بوجه غليظ وقال: (**ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب بمطلٍ ولقد كان لي بمخالطتكم علم!!**) فقال له عمر بن الخطاب: (**أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتفعل به**

---

(1) نفسه، ص ص437–438.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، برقم: 2617، ومسلم، كتاب السلام، برقم:2190.

ما أرى؟ فو الذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي هذا عنقك) ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، ثم قال: **(إنا كنا أحوج لغير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الآداء وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فأقضه حقه وزده عشرين صاعا من تمرٍ مكان ما رعته)** فدخل هذا الحبر الإسلام[1] وعلم حقيقة النبي ﷺ من حلمه وعفوه.

وهذا الموقف يبين لنا حرص النبي ﷺ على الرفق باليهودي، وتنبيه وتحذير عمر بن الخطاب لتسرعه، ولهذا أمره ﷺ جزاء ذلك أن يزيد عشرين صاعا جراء ترويعه الحبر اليهودي، فقد نهى ﷺ المسلمين عن الترويع والإرهاب فقال: **(لا يحل لمسلم أن يروع مسلما)**[2]، ومن باب أولى تُطبق هذه الوصية مع غير المسلمين، لأنهم لا يعرفون حقيقة الإسلام، وربما يأخذون عنه صورة سلبية، عن طبيعة تعامل المسلمين مع غيرهم، فحرص النبي ﷺ على تعليم المسلمين طبائع التعامل، ورد الجميل للمسيء، والقصص في ذلك كثيرة، فالنبي ﷺ كان يعامل غير المسلمين المحيطين به معاملة الرجل لأهله[3]، رغم عدائهم له ومخالفتهم له في أمور عديدة.

ثانيا: الأخلاق الإسلامية وأبعاد التسامح والرحمة في الحرب.

الحرب والقتال من الأمور الحتمية التي تُفرض على البشر بدوافع خارجة عن نطاقهم منها الدفع والتدافع ورد كيد المعتدي بكل حزم، من أجل حفظ البقاء، والمحافظة على الأنفس والديار والأوطان، وغيرها، والأمم على مر السنين خاضت حروبا طاحنة، قد تكون لدوافع وأسباب مادية في غالبها، وقد تكون لأسباب دينية وسياسية، فطبيعة البشر

---

(1) السرجاني، الرحمة في حياة الرسول ﷺ ، المرجع نفسه، ص ص249-250.

(2) أخرجه أبو داود ، في كتاب الأدب، برقم: 5004.

(3) السرجاني راغب، فن التعامل النبوي مع غير المسلمين، دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، بور سعيد، مصر، (ط1)، 2010، ص154.

لا تختلف ولا تتغير باختلاف الزمان والمكان، فيبقى الإنسان بنفس الوتيرة وبنفس طبيعة التفكير.

ولا شك أنّ الإسلام هو الآخر عرف نفس هذه الأحوال منذ بداية التأسيس في المدينة مع النبي ﷺ فكان ولابد على المسلمين أن يحفظوا بقاءهم، وأن يدافعوا عن معتقداتهم ودينهم وأرضهم التي أُسست عليها دولة الإسلام، ونظرا لما كان يدركه النبي ﷺ من نتائج وأثار سيئة للحروب كان يحرص أشد الحرص على تجنب الصراع المسلح، ويبذل في ذلك قصارى جهده، لئلا تراق قطرة دم واحدة ولا يدخل في حرب مع أعدائه إلا مضطرا وبعد أن يكون قد استنفذ كل ما يستطيع من وسائل لتجنب الصراع معهم[1]، ولما يتحتم ذلك ويكون لابد منه فإننا نجد في تاريخ حروب الإسلام في عهد النبي ﷺ أخلاقا سامية ومعاملات تُصنف ضمن خانة التسامح وليس العنف، وكأننا نجمع بين نقيضين في حيز واحد.

فقد غلب على حروب النبي ﷺ ومعاركه التي خاضها طابع الرحمة والتسامح في تعامله مع خصومه الذين أشهروا السلاح في وجهه، وما خرجوا إلا لقتاله وللتمكن منه إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وهذا أمر بيّن وجلي، بحكم طبيعة الحرب والتلاحم بين الجيوش والمقاتلين، مثلما حدث له مع الرجل الذي باغت النبي ﷺ وهو نائم، وأشهر سيفه على النبي وقال له: من يمنعك مني؟ فقال النبي: (الله) قالها ثلاثا، فلما سقط السيف من يد الرجل، عفا عنه ﷺ ولم يعاقبه[2]، وكان النبي ﷺ يجهر بالقول بأنه نبي الرحمة وبأنه نبي الملحمة، فالرحمة والملحمة عنده متلازمتان فما كانت الملحمة إلا لأجل المرحمة[3]،

(1) السرجاني راغب، الرحمة في حياة الرسول ﷺ ، المرجع نفسه، ص253.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، برقم:2910.

(3) الزحيلي، أثار الحرب في الإسلام، المرجع نفسه، ص144.

وهكذا كانت حروبه ﷺ ذات طابع مسالم تختلف اختلافا جوهريا عن الحروب التي نعرفها والتي سجلها التاريخ.

ينقل المستشرق الفرنسي **غوستاف لوبون** صاحب كتاب**(حضارة العرب)** كلاما للمؤرخ الفرنسي **جوزيف فرنسوا ميشو** فيقول: **(إنّ القرآن الذي أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وقد عفا البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وحرّم محمد قتل الرهبان، لعكوفهم على العبادات)**(1)، وأمر كل من خرج للغزو باتباع وصاياه، كما جاء في وصيته لخالد بن الوليد **(لا تقتل ذرية ولا عسيفا)**(2) وبل وكان ينهاهم عن قطع الأشجار أو إحراق البيوت ويدعوهم لدعوة الإصلاح قبل بدأ القتال، ولا يقاتلون إلا من ابتدأهم بالقتال، وحرّم عليهم قتل الأسرى، وهي ما اصطلح عليها بالوصايا العشر في تاريخ الإسلام•، ولقد غضب كثيرا على خالد بن الوليد لما قتل الأسرى متأولا، فقال ﷺ: **(اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)**(3)، فحذا المسلمون حذو النبي ﷺ في معاركهم وحروبهم مع أعدائهم.

---

(1) غوستاف لوبون، حضارة العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2013، ص ص137-138.

(2) أخرجه أحمد في مسند الشاميين، برقم:17611.

• وقد وردت من غير طريق عن الصحابة كذلك رضي الله عنهم، منها ما وصّى بها أبو بكر الصديق جيش أسامة بن زيد فقال: (أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفوها عني، 1- لا تخونوا ولا تغلّوا 2- ولا تغدروا ولا تمثلوا 3- ولا تقتلوا طفلا صغيرا 4- ولا شيخا كبيرا و لا امرأة 5- ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه 6- ولا تقطعوا شجرة مثمرة 7- ولا تذبحوا شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة 8- وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له 9- وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بأنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئا فاذكروا اسم الله عليها 10- وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا اندفعوا باسم الله)، وكذلك فعل عمر بن الخطاب في وصيته لسعد بن أبي وقاص لما أوصاه بأهل الذمة قائلا: (ونّح منازلهم وجنودك عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ولا يرزأ أحد من أهلها شيئا فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها وابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم وفّوا لهم) أُنظر، أبو خليل شوقي، **التسامح في الإسلام (المبدأ والتطبيق)**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1993، ص14-16.

(3) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، برقم: 4339.

وما نقله **السير توماس أرنولد** في كتابه **(الدعوة إلى الإسلام)** عن شهادة **البطريك يشوع باف الثالث** في رسالة إلى **المطران سمعان** رئيس أساقفة فارس خير مثال على تسامح الإسلام في الحروب ومع الرعايا والمستضعفين ممن لم يحمل السلاح، فقد جاء في هذه الرسالة ما يلي: **(إنّ العرب الذين منحهم الله سلطان الدنيا يشاهدون ما أنتم عليه وهم بينكم كما تعلمون ذلك حق العلم ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية بل على العكس يعطفون على ديننا ويكرمون قسسنا وقديسي الرب ويجودون بالفضل على الكنائس و الأديار)**[1]، وهذه أخلاق المحارب المسلم التي حرصت السنة على ترسيخها في قلوبهم، وتأصيل مبادئها كعرف يُتبع في أي غزو أو حرب ويضيف **لوبون** نقلا عن **ميشو: (ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح بيت المقدس، فذبح الصليبيون المسلمين وحرقوا اليهود بلا رحمة وقتما دخلوها)**[2]، وهنا تدرك الفرق بين حروب المسلمين وغيرهم، فلا مجال للمقارنة بين تسامح المسلمين وغيرهم.

ونجد المستشرق الفرنسي الكونت **هنري دي كاسترى** صاحب كتاب **(الإسلام خواطر وسوانح)** يؤكد معلومة تاريخية عن تسامح المسلمين في حروبهم مقارنة بغيرهم من ذوي الديانات الأخرى فيقول: **(إن المسيحيين أيام الحروب الصليبية ما دخلوا بلادا إلا وأعملوا السيف في يهودها ومسلميها وذلك يؤيد أن اليهود إنما وجدوا مجيرا وملجأ في الإسلام فإن كانت لهم بقية حتى الآن فالفضل فيها راجع لمحاسن المسلمين ولين جانبهم)**[3]، وأما المستشرق الفرنسي الآخر **روجيه جارودي** فقد دخل الإسلام بعد أن رفض جندي جزائري مجند في الجيش الفرنسي أن يطلق عليه النار وهو أعزل بعدما أمره ضابط فرنسي بذلك، بحجة أن الإسلام ينهى عن قتل الأعزل الذي لا يملك سلاحا،

---

(1) سير توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ت: حسين ابراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط2، 1970، ص102.

(2) لوبون، المصدر نفسه، ص138.

(3) هنري دي كاسترى، الإسلام خواطر وسوانح، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، (ط1)، 2008، ص9.

فقال جارودي عن الإسلام: **(لقد وجدت في الإسلام نظاما اجتماعيا واقتصاديا وأخلاقيا شاملا للحياة صالح لإخراج البشرية من ورطتها الحاضرة)**[1].

أمّا أصول الإسلام والأسس التي قام عليها إنسانية في أبعادها وأخلاقية في التنظير والتطبيق لا تتعطل ولا تُعلّق، وهي صالحة لكل زمان ومكان، تمتاز بالقطعية والثبات الذي لا يسوده شك أو تجاوز اعتبارا لميول الأهواء والأنفس والرغبات الدنيوية، فالتسامح والرحمة تخالط بشاشة المؤمنين في كل وقت، وتعلو فوق قوة السلاح في كل حال[2].

ثالثا: مقابلة العنف بالتسامح في تاريخ الإسلام.

مرّ على تاريخ الإسلام الكثير من الوقائع، التي تجعلنا نعتبر أبطالها مثّلوا نموذجا حقيقيا وأخلاقيا مثاليا في مقابلة العنف بالتسامح، وردُّ القوة بالعفو والرفق، وقد كانوا في وضعية قوة ويستطيعون الرد بالمثل ولكنهم لم يفعلوا ذلك امتثالا بدعوة القرآن وسنة النبي ﷺ، وأشهر هؤلاء عثمان بن عفان وقد تحدثنا عنه سابقا، وأبي سعيد الخدري، والحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعا.

فأما عثمان بن عفان فكان خليفة المسلمين وتحت أمره عشرات الآلاف من الجنود والشرطة، وفي ذمته عشرات الآلاف من الرعية ممن كان قادرا على رد هؤلاء الخوارج الذين حاصروه مريدين قتله، وكان رضي الله عنه كلما دخل عليه من يرجوه لقتالهم يطرده، ولا يسمع كلامه، لأنّ عثمان كره أن يكون أوّل قتال في الأمة الإسلامية بسببه فكان رضي الله عنه يقول: **(لن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء)** وكان يقول رضي الله عنه: **(إنّ أعظمكم عندي غَنَاء من كفّ سلاحه ويده)**[3].

---

(1) زناتي أنور محمد، زيارة جديدة للاستشراق، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، (ط1)، 2006، ص186.

(2) الزحيلي، أثار الحرب في الإسلام، المرجع نفسه، ص44.

(3) سيد بن شحات بن رمضان جمعة، شبهات عن بني أمية، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط2)، 2014، ص ص74-75.

ولقد كان يدرك تمام الإدراك أن هؤلاء لا يريدون إلا قتله والتمثيل به إن تمكنوا منه، وقد حاصروه لأكثر من سبعين يوم، ومنعوا عنه الماء والطعام والخروج من بيته، وقال سليط بن أبي سليط: **(نهانا الإمام عثمان عن قتالهم، ولو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها)**(1).

وكان ممن دخل عليه يطلب منه أمر القتال، أبا هريرة رضي الله عنه، فرغم جلالة قدره ومنزلته منه، طرده ولم يسمع منه، وجاءه زيد بن ثابت وقال له: **(إن الأنصار بالباب يقولون لك إن شئت كنا أنصار الله مرتين)** فقال له عثمان: **(لا حاجة لي في ذلك، كفوا)**، وكان معه رضي الله عنه في بيته، الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب، وابن عمر وابن الزبير، وأبا هريرة وعبد الله بن عامر بن ربيعة ومروان بن الحكم، وكلهم شاك في السلاح، فعزم عليهم في وضع أسلحتهم وخروجهم ولزوم بيوتهم(2).

إن تصرف عثمان مع من أراد قتله كان يستند على سنة النبي ﷺ في مقابلة السيئة بالحسنة ومقابلة العنف بالرفق والتسامح، فما قام به عثمان لم يقم به أحد من الخلفاء قبله أو بعده، وسلم نفسه لخالقه، عاملا بوصية النبي ﷺ التي ذكرتها عائشة رضي الله عنها، قالت: **(قال رسول الله ﷺ: ادعوا لي بعض أصحابي، فقلت: أبو بكر؟ فقال: لا، فقلت: عمر؟ فقال: لا، فقلت: ابن عمك؟ فقال: لا، فقلت عثمان؟ فقال: نعم، فلما جاءه، قال لي بيده، فتنحيت فجعل الرسول ﷺ يساره، ولون عثمان يتغير، فلما كان يوم الدار وحصر، قيل له : ألا نقاتل عنك؟ قال: لا ، إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهدا وأنا صابر عليه)**(3)، فعثمان رضي الله عنه كان من أسمى الأمثلة والنماذج المثالية في تاريخ الإسلام ممن قابل العنف بالتسامح واللاعنف، ومات مقتولا جراء ذلك، مطبقا بذلك وصية المصطفى ﷺ.

---

(1) القرطبي، المصدر نفسه، (ج2)، ص1073.

(2) نفسه، ص1072.

(3) نفسه، ص1073.

والمثال الثاني الذي حصل معه نفس موقف عثمان رضي الله عنه، بل كان أقرب إلى قصة ابني آدم عليه السلام هو الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري، وقد حصلت له موقف شبيه بموقف هابيل ابن آدم في واقعة الحرة، التي حصلت في المدينة، فبعد أن أباح مسلم بن عقبة القائد الأموي المدينة ثلاثة أيام، فزع الصحابة ومن كان فيها من هول ذلك، فخرج أبو سعيد الخدري حتى دخل كهف الجبل، فتبعه رجل من أهل الشام، فاقتحم عليه الغار، فانتضى أبو سعيد سيفه يخوّفه به الجندي الشامي، فلم ينصرف عنه، فعاد أبو سعيد سيفه• وقال: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ {المائدة:28}، فقال: من أنت؟ فقال: أنا أبو سعيد الخدري، قال: صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، فتركه ومضى(1).

تصرف أبي سعيد الخدري المثالي والأخلاقي والنبوي أعاد رشد الجندي الشامي، وربما تفاجأ من رجل يملك سلاحا ولا يواجه به، ليس من خوفٍ أو خنوعٍ أو روعٍ، بل من طيبة نفس وأخلاق مطهرة، ولما سمعه يتلو الآية أراد أن يتأكد من هو، فلما عرفه، انصرف مباشرة لأنه يعلم يقينا أنه صحابي يتّبع وصايا النبي ﷺ، ولن يغدر به أو يلحقه، فحقق بذلك أبو سعيد مقابلة العنف بالتسامح واللاعنف.

وأما المثال الثالث الذي كان أنموذجا إسلاميا خالصا وساميا ومثاليا في تحقيق مصلحة الناس العامة، ألا وهي سيادة الأمن والاستقرار والسلم والسلام الذي كان يطمح إليه الناس في جميع الأقطار الإسلامية، في الشام ومكة والمدينة وغيرها من الأمصار التي عاشت موجات من العنف والتطرف والاقتتال، ألا وهو الحسن بن علي بن أبي طالب، حفيد النبي ﷺ وابن فاطمة ريحانة رسول الله ﷺ، فبعد أن ساد الاعتقاد أن فتنة

• وعمل بمقتضى وصية النبي ﷺ لما قال: (إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، قال: أفرأيت إن دخل عليّ بيتي وبسط يده ليقتلني؟ قال: "كن كابن آدم")أخرجه الترمذي، في أبواب الفتن، برقم:2194.

(1) ابن الأثير، المصدر نفسه، ص531.

القتال بين بني هاشم وبني أمية لن تنطفئ حتى يُفني أحد الفريقين الآخر، ظهر الحسن بن علي، بعد أن بايعه أهل العراق بعشرات الآلاف[1] بل وأكثر من ذلك في باقي الأمصار، فبايعوه على السمع والطاعة ولزوم جماعته، والقتال في صفه وإلى جانبه، حتى يستتب الأمر لبني هاشم وتزول الفتنة.

إلا أن الحسن بن علي كان له رأي آخر، وبهذا الرأي السديد يضع حدا لسفك دماء المسلمين ويحفظ أرواح الناس وأنفسهم من الهلاك من أجل أمور السياسة والإمارة والملك، ففي ربيع الأول من سنة 41 هـ سار الحسن بن علي بجيوشه نحو الشام، وعلى مقدمته قيس بن سعد بن عبادة وسار معاوية بجيوشه فالتقوا بناحية الأنبار، فوّفق الله الحسن بن علي للصلح، فحقن دماء المسلمين، وترك الأمر لمعاوية بن أبي سفيان[2].

وقاد جاء في حديث أبي بكرة أن قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن على جانبه وهو يقبل على الناس مرة و عليه أخرى، ويقول:(**إنّ ابني هذا سيدٌ ولعلَّ الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**)[3]، فكان كما أخبر النبي ﷺ.وقد عمل الحسن بأمر الله تعالى•، وبذلك قابل عنفا بتسامح لا مثيل له في تاريخ الإسلام رغم أنه كان يملك القوة الكافية لمواجهة خصوم أبيه، وخصوم بني هاشم، ولم يمتثل لقول أخيه الحسين الذي طالبه بقتالهم[4]، فرغم منزلة الحسين عنده إلا أنّه أبى ومرّ عليه رجلٌ فقال للحسن: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين، فقال له الحسن: لست بمذل المؤمنين، ولنّي كرهت أن أقتلكم على

---

(1) أُنظر، ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر نفسه، (مج4)، ص471.

(2) العكري شهاب الدين ابو الفلاح عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (مج1)، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، (ط1)، 1986، ص228.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الصلح، برقم:2704.

• في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٞ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠ ﴾{الحجرات:9-10}

(4) طهبوب، المرجع نفسه، ص7.

الملك[1]، كما أنّه تجاوز عن مروان بن الحكم ما سمع منه من سبٍّ لوالده علي ولم يرد عليه، ولم ينطق بكلمة بل سكت وهذا دليل على تمام حلمه رضي الله عنه[2].

(1) السيوطي، المرجع نفسه، ص153.

(2) نفسه، ص152.

الفصل الثالث: أزمة الفكر الإسلامي المعاصرة ومستقبل العيش المشترك في ظل التعددية الدينية والاختلاف الثقافي.

يعيش العالم الإسلامي راهنا مخيفا جدا على الصعيد العالمي، ونقصد بذلك الأزمة المريرة التي يشهدها المسلمون، وكثرة الاتهامات والمطاعن التي تطالهم في كل مكان وفي كل مصر من الأمصار، فأما المتهم الرئيس في هذه الأزمة فهو الفكر الإسلامي الذي أصبح يُقترن بالعنف في كل مرة، بل وأكثر من ذلك صار مدلولا للتطرف وعلى ألسنة الغرب، حتى المكيال يتغيّر تلقائيا إذا ما كان الإسلام ضحية عنف أو تطرف[1].

الفكر الإسلامي اليوم يواجه مشكلة متجذرة وضاربة في عمق التاريخ، وهذا بيّن من خلال تعامل الغرب مع المسلمين تدرك مباشرة أن عداء الآخر للإسلام هو عبارة عن عداء تقليدي متوارث، فنحن اليوم نتهم الغرب بأنه معاد للإسلام وللعالم الإسلامي، وهذا الشعور عام في أيّ بلد إسلامي، ويبدوا على أي حال أن العداء للإسلام يزداد[2] يوميا ومنحاه تصاعدي، فما تسمعه من أفواه أبواق القطيعة الغربية، تجعلنا نستغرب حقا من هُوية المسلمين، ومن حقائق الفكر الإسلامي، فمن اتهامات متعلقة بمصادر الإسلام الرئيسية، إلى اتهامات تطال المسلمين في شعائرهم إلى اتهامات تطالهم في طابع علاقاتهم مع الآخر، وأخرى تطالهم في ملابسهم وخصوصياتهم وغيرها.

لكنّ الاتهام الذي لطّخ سمعة الفكر الإسلامي وسنتوقف عنده، هو بُعده عن الإنسانية وحقوق الإنسان، ووصفه بالدين المنغلق على ثقافات الآخر، وأنّه غير قابل للتعددية الدينية والفكرية والثقافية، كما عبّر عن ذلك أحد وزراء بريطانيا من حزب المحافظين[3].

---

(1) أُنظر، عزت السيد أحمد، الغرب الجاني على نفسه، العالم العربي للنشر، عمان، (ط1)، 2015، ص ص19–20.

(2) أُنظر، أصف حسين، صراع الغرب مع الإسلام، ت: مازن مطبقاني، مركز الفكر المعاصر، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2013، ص ص19–20.

(3) نفسه، ص20.

المبحث الأول: الإنسان وأبعاد الإنسانية ما بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي.

شكّل الإنسان مجالا واسعا لدراسة واهتمام الكثير من أصحاب المذاهب الفكرية والعلمية والفلسفية والدينية في كل بيئة، وفي كل عصر نظراً لقيمته الكبيرة، فهو محور الدراسات الاجتماعية والنفسية، كما خصصت له الديانات الشرقية القديمة نصيبا كبيرا صار تراثا متوارثا عند مريدي الديانات الوضعية.

ولا شك أنه يمكن اعتباره المخلوق الأوحد الذي من أجله شرعت جميع الشرائع السماوية على الأرض منذ وجوده عليها، وهذا لمكانته المعتبرة ولخاصياته التي يتصف بها، ويختلف بها عن غيره من المخلوقات، لذا فجميع الشرائع تتفق في محتواها على أهمية الإنسان كعنصر فعّال على الأرض، وهو ما تدعوا إليه شريعة الإسلام وتنص عليه النصوص الدينية المختلفة من القرآن الكريم والسنة الشريفة.

لقد كان الإنسان في مراحل متقدمة من حياته يعتبر وسيلة لتحقيق الغايات، لكن بعد ذلك صار يعتبر غاية في ذاته، لذا تسعى الشريعة الإسلامية للحفاظ عليه وعلى نسله واستقراره، وهو البعد الأخلاقي السامي والفاضل الذي قامت من أجله، لذلك تكاملت الصيغة النهائية لدستور حقوق الإنسان بنزول الدساتير الإلهية التي أولت تلك الحقوق اهتماما عظيما انطلاقا من مبدأ تكريم الإنسان[1].

المطلب الأول: الإنسان ما بين الفلسفة الإنسانوية وإنسانية الأديان السماوية.

شكّك الكثير من المفكرين والفلاسفة في المرحلتين الحديثة والمعاصرة في منابع النزعة الإنسانية في الدين، بل واعتبروا أن الدين لا تحتوي نصوصه إلا على **(الأمر بالقتال والحث على العنف)**[2]، فالإنسان حسبهم لم يرتقي إلا درجة الغاية فهو مجرد

---

(1) الموحي، المرجع نفسه، ص155.

(2) الرفاعي عبد الجبار، الدين والنزعة الإنسانية، مركز دراسة فلسفة الدين، بغداد، العراق، (ط3)، 2018، ص196.

وسيلة تُستغل من طرف الدين، استغلالا قاسياً وسلبياً ويستثمر في الصراعات الدموية والحروب المقدسة في التاريخ و يُستعان به في الموت والمعارك التي تنتهك حقوق الإنسان وترتكب كافة المحرمات و تحول كل شيء إلى رماد[1].

وهنا كان الدافع قويا لنشأة وتكوين تيار فلسفي يعني بالنزعات الإنسانية وقيم الإنسان وإعادة بنائه كمحور للكون، وهذا التيار هو ما يصطلح عليه "**الإنسانوية** " أو " **الأومانيسم**" سنحاول أن نعرض في هذا المطلب الأنموذج الإسلامي ونظرة الإسلام ومصادره للإنسان بصورة عامة.

أولاً: الإنسان بين التصور الديني والفكري والفلسفي قبل الإسلام.

عرفت البشرية على مر التاريخ انتهاكات واسعة لحقوق الإنسان، فالإنسان عانى كثيرا، وطالما أراد أن يثبت وجوده، ويثور على مجموع الأعراف السائدة التي صنفته دون المنزلة التي يستحقها، وجعلته كيانا مجردا لا معنى له، فلم يُحترم وجوده الأسمى وغايته المثلى، فعلى الرغم **من أنه إنسان كغيره من بني البشر، كان يعامل باعتباره سلعة أو أي شيء من الأشياء وحياته ملك لصاحبه فهو لا يتمتع بالشخصية القانونية التي يتمتع بها غيره**[2].

فعاش ضمن سلم حياة مبني على ترتيب البشر وفق أسس متوارثة وتقاليد متبعة فكان موزعا بين قبائل وأمم وطبقات، بعضها دون بعض وقوميات ضيقة، وكان التفاوت بين هذه الطبقات تفاوتا هائلا كتفاوت بين الإنسان والحيوان وبين الحر والعبد وبين العابد

[1] نفسه، ص196.

[2] عوض أحمد عبده، حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب، ألفا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، (ط1)،2010، ص ص47-48.

والمعبود لم تكن هناك فكرة عن الوحدة والمساواة إطلاقا[1]، وأحيانا يصنف دون منزلة الحيوانات، التي كانت تعتبر ذات طبيعة لاهوتية.

فالبشرية في تشكلها الأول والقديم اعتمدت التفاوت أصلا ثابتا، فمنطق القوة والسلطة، وتهميش الضعفاء واستعبادهم، هو ما ساد المراحل الأولى، فقد كان **نظام الرق في المدنيات الأولى نظاما معروفا ومقبولا**[2]، وصار مع الوقت أمرا بديهيا، فنشأت بذلك نواة المجتمعات الأولى فتحتم على الناس خوض غمار الصدامات، بين المهمشين والسائدين، ومنه صارت البشرية **تعرف العدوان أكثر مما تعرف الحق وتحترم القوة أكثر مما تحترم الحرمة**[3].

إنّ فكرة الاستعلاء والتفوق الجنسي في تاريخ البشرية نابع من إحساس بعض الناس أنهم يتميزون ويمتازون عن غيرهم، **حيث كان بعضهم يدعي أنه من نسل الألهة وبعضهم يروج بأن الدماء التي تسري في عروقه ليست من نوع دماء العامة، وإنما هو الدم الملوكي العالي النبيل**[4]، فانقسمت المجتمعات الأولى إلى طبقات، وصار الكثيرون يمارسون الاستعلاء ويتوارثونه في مجتمعاتهم، وأصبح ترتيب الناس على حسب رؤى إقصائية تهمش البشر وتميزهم من حيث أصولهم، وتضع حدا للمساواة.

فزعموا أنهم لا يستوون ولا يتساوون في الأصل، فحسب بعض الاعتقادات السابقة فإن الشعوب تنقسم **إلى طبقات خلق بعضها من رأس الألهة فهي طبقة مقدسة لا يرق أحد**

---

[1] الندوى أبو الحسن، الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، دار الصحوة للنشر، القاهرة، مصر، (ط1)، 1986، ص30.

[2] عوض، المرجع نفسه، ص47.

[3] نفسه، ص40.

[4] الواعي، المرجع نفسه، ص540.

إليها، وخلق بعضها من قدميه فهي منبوذة[1]، وهذا التصنيف كان ممارسا بشكل مطلق فحُرم الإنسان من أبسط حقوقه المدنية والاجتماعية.

وتحتم عليه القيام بكل الواجبات لاسترضاء الأسياد حيث كانت الطبقة الدنيا محرومة من الحقوق والامتيازات، وعليها واجبات كثيرة فتوارثت الطبقات العليا الشرف والمال وتوارثت الأخرى الذل والفقر والعبودية جيلا وراء جيل[2]، فصارت المساواة من المواضيع المسكوت عنها، وهذه الطبقية عرفتها مجتمعات كثيرة منها **الهند واليونان وعند الرومان وفي بلاد فارس**[3].

ظنّ الإنسان أنه بمجيء الدين سيتخلص من شقائه فيفتح له مجالا تتحقق بها كرامته وترجع حقوقه، إلا أن بعض الأديان حطمت شخصية الإنسان وحملته على أن يقدم نفسه قربانا للألهة، لأنها كانت تغري الإنسان أن يتخلى عن إرادته وحريته في مقابل إرادة الإله، والظهور بمظهر العاجز، فكانت تدفع الإنسان لأن يتطلع عن طريق الدعاء والتوسل والتضرع لتحقيق ما يصبو إليه من الألهة[4].

وأمّا رؤية رجال الدين وقراءاتهم، فقد زادت من تعقيد وضعية الإنسان، فالدين الذي كان يُنظر إليه بأنه مخلص الإنسان من التفاوت وطقوس الرق والاستعباد، كان هو الآخر عقبة شكلت له تحديا كبيرا لبلوغ المساواة، ثم أدرك الإنسان أن بعض الأديان تحول بينه وبين تحقيق أهدافه، لأنه لطالما تعرض للانتهاك بذرائع دينية مختلفة والكثير من الجنايات والمظالم والاغتصابات ارتكبت في التاريخ باسم الذود عن الدين[5].

---

(1) نفسه.

(2) أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، دار الفكر، دمشق، سوريا، (ط5)، 1982، ص329.

(3) نفسه.

(4) شريعتي علي، الإنسان والإسلام، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، (ط2)، 2007، ص10.

(5) الرفاعي، المرجع نفسه، ص197.

ومن هذه الأديان اليهودية، التي نجد فيها ملامحا كثيرة في تمييز وتصنيف الناس على حسب الانتماء الأيديولوجي، فاليهود يرون أنهم الصنف الأول لأنهم شعب الله المختار وأحباؤه، وغيرهم أميون ضعفاء وحقراء وعبيد لهم، فهم حسبهم حيوانات على صورة بشر، خلقوا لخدمة اليهود فقط[1]، ففي التلمود تستوقفنا نقاط أساسية ارتكز عليها اليهود أحبارا وشعبا، للمحافظة على منزلتهم الاستعلائية في تصنيف البشر، فهم شعب مميز، وغيرهم بلا كرامة، فلا مجال للمساواة بينهم، فالتفاوت والتعالي لابد منه حسب نصوص التلمود، وهذه أحد نقاط معاداة الإنسانية لأنها ترتكز على أساس عنصري[2].

أما عن الديانة المسيحية ففي بدايتها كانت **تحمل المحبة والعدل والرحمة**[3] للناس جميعا، فلم تفرق بينهم، فكلهم في نظر الشريعة المسيحية متساوون في الحقوق والواجبات فقد دعا السيد المسيح عليه السلام إلى المساواة بين الناس وأوصى أتباعه أن يعاملوا الناس بمثل ما يحبون أن يعاملوا به فكانت دعوته تصحيحا لليهودية السابقة والفاسدة[4]، فاطمأن الناس كثيرا بذلك، وتعممت المسيحية في الأمصار، **لكن صداها كان محدودا ، فالعبودية لم تلغى وظل التقسيم الطبقي قائما**[5].

فبعد ظهور **القديس بولس**، الذي أعلن في رسالته إلى أهالي روميا باعترافه بالرق والاستعباد والخضوع للسادة، فالسلاطين حسبه في مرتبة الله ومن يقاوم السلاطين فإنه يقاوم الله والمقاوم مدان بفعله لأنه حاول التمرد على الطبيعة[6]، التي هو عليها، قد أصبحت الشعوب الأوربية في العصور الوسطى على طبقات متفاوتة تفاوتا كبيرا فهناك

---

(1) الواعي، المرجع نفسه، ص46.

(2) عوض، المرجع نفسه، ص41.

(3) نفسه، ص42.

(4) الواعي، المرجع نفسه، ص47.

(5) عوض، المرجع نفسه، ص42.

(6) الواعي، المرجع نفسه، ص47.

طبقة النبلاء أو الأشراف وطبقة رجال الدين أو الإكليروس وطبقة العامة وآخر الطبقات في أوروبة البرجوازية التي كونت غناها على أكتاف الشعب الكادح[1].

واستمر وضع الطبقية في الفكر المسيحي بين الأسياد والعبيد فوصل الحد عند الرومان أنهم كانوا يدربون أبناءهم على الرمي بالسهام ويجعلون العبيد هم الهدف[2] وكل هذه الممارسات عجّلت في الانتفاضة على وضعية الإنسان المضطربة، بغية وضع حد لمعناته، إلى قيام الثورة الفرنسية التي أعلنت المساواة بين الجميع وأنهت نظام العبودية[3] الذي انتشر وعمّر طويلا.

وعند الأمم والحضارات السابقة لم تختلف صورة الإنسان كثيرا فوضعيته عرفت التصنيف المجحف في حقه وأصله وفق معايير ومقاييس عنصرية، ففي الحضارة المصرية القديمة تم تصنيف الناس على ثلاثة شعب فالأولى هي بيت الألهة من حكام الفراعنة، والثانية سكان مصر الأصليين وهي نواة المجتمع المصري، والثالثة وهم العبيد من العبرانيين وهم دونهم منزلة، وعند أمم آسيا الوسطى كالمغول والأتراك والصين واليابان والهند وغيرهم يتم تصنيف الناس على أربعة طبقات متفاوتة فالطبقة الأولى هي طبقة رجال الدين والكهنوت وهي المميزة والممتازة والثانية **(شترى)** وهم رجال الحرب و المقاتلين والثالثة **(ويش)** وهم أهل الصناعات والحرف، والرابعة **(شودر)** وهم أصحاب الخدمات المختلفة فالبراهمة حسب **(قانون مينو)** مخلوقون من فم القادر المطلق وشترى من سواعده و ويش من أفخاذه و شودر من أرجله[4].

---

(1) أبو خليل، المرجع نفسه، ص328.

(2) جمعة علي، المساواة الإنسانية في الإسلام بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط1)، 2014، ص16.

(3) عوض، المرجع نفسه، ص42.

(4) الواعي، المرجع نفسه، ص، ص42-44.

وفي اليونان سيطرت نزعات عنصرية متطرفة ترتب البشر أصنافا وتحدد مهامهم في المجتمع الذي يعيشون فيه، فالمجتمع الإغريقي قد تأسس على التفاوت، بين يونانيين عقلاء وبرابرة متوحشين، فاليونانيون لهم الأفهام والعقول وغيرهم مجردون منها(1).

ثانيا: الإنسان والإنسانية في الفكر الغربي قبل مرحلة النهضة وما بعدها.

يتميز الفكر الغربي الحديث والمعاصر بمباحثه الواسعة حول حقوق الإنسان، ومحاولاته رد الاعتبار للبشرية، فبلا شك أن حركة الدفاع عن حقوق الإنسان في التاريخ الإنساني وعلى مر الأزمنة والعصور، وفي كل الأمم والشعوب هي حركة في غاية النبل لأنها جاءت لكي تعيد للإنسان إنسانيته، وتصون كرامته وتحمي حقوقه من الضياع، وتؤمن له حياة كريمة، وترفع عنه الظلم والقهر والتعسف، التي عاناها الإنسان كثيرا خلال مسيرته التاريخية الطويلة.

فلذا أسهم رواد الفكر الغربي في البحث عن بدائل حضارية تنظم شؤون الفرد والمجتمع، وتضع حدا للممارسات الوحشية واللا أخلاقية، وتحقق العدالة التي كانت مغيبة تماما، ولتثبيت نظم تتعلق بحقوق الإنسان وواجباته، دون إقصاء أو تمييز لأحد عن الآخر، حتى أنّ هناك مجموعة من المفكرين يرون أنّ النزعة الإنسانية عادة ما تنبثق في سياقات ثقافية واجتماعية وسياسية و اقتصادية محددة تشكل إطارا مناسبا لتبلورها(2).

لقد كان الدافع قويا لتأسيس فكر إنساني في الغرب ليضع حدا للتهميش الذي لحق الإنسان أينما حل أو ارتحل، فكان النبلاء ورجال الدين يتميزون بثيابهم الخاصة ورواتبهم العالية وسطوتهم الشديدة إلى جانب إعفائهم من الضرائب وتخصيصهم ببعض ريعها

---

(1) نفسه، ص45.

(2) الرفاعي، المرجع نفسه، ص196.

وكان الانتساب إلى هاتين الطبقتين وراثيا[1]، وهو ما جعل الأمر يستمر، ويسود الغرب طويلا، وهذه المرحلة تعتبر عصرا للظلمات في تاريخ الغرب.

لم يستمر الوضع على ما كان عليه، بعد أن قامت الثورة الفرنسية سنة **1789**م وألغت نظام الطبقات وأعلنت نظريا مبادئ الحرية والإخاء والمساواة[2]، فتولى الفلاسفة ورجال السياسية زمام الأمور في القرن الثامن عشر، فحاربوا الرق ونادوا بالمساواة بين الناس، وأصدروا عدة قرارات في مجموعة مؤتمرات دولية نظمت في كل من الولايات المتحدة الأمريكية 1794م وفينا1815م وفرنسا سنة1848م و وبرلين1885م، فأعادوا التنظير للإنسانية من خلال هذه المؤتمرات[3]، وكانت هذه أول مراحل تثبيت وإرساء قواعد حقوق الإنسان في الفكر الغربي.

لقد عرفت أوربا بعد مرحلة النهضة عدة نزعات إنسانية، كانت بديلا للدين والمقدس، فنزعات الأنسنة، ومنظمات الإنسانوية **(أومانيسم)** برزت **كرد فعل لمذهب الاسكولاستيكية والدين المسيحي في القرون الوسطى**[4]، وهذا هو البديل الذي ركّز عليه مفكرو الغرب، من أجل بعث روح الإنسانية والمساواة من جديد، بل تعد الأمر ذلك إلى مرحلة تأليه الإنسان، ولم يتشكل هذا إلا في القرن الثامن عشر في أوروبا بعد القطيعة الكاملة مع لاهوت القرون الوسطى[5]، عدا منظمة الأومانيسم التي ظهرت في بدايات القرن التاسع عشر[6].

---

(1) أبو خليل ، المرجع نفسه، ص328.

(2) نفسه، 328.

(3) عوض، ص48.

(4) شريعتي، المرجع، نفسه، ص11.

(5) الرفاعي، ص196.

(6) الرماح ابراهيم بن عبد الله، **الإنسانوية المستحيلة**، دار وقف دلائل النشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط2)، 2017، ص19.

وهذه نقطة تحول كبرى في تاريخ البشرية جعلت الإنسان، يرتقي من منزلة المهمش إلى منزلة أسمى، فالمجتمعات الغربية والمدنية الحديثة قد أقامت بناءها الفكري على نظرية أصالة الإنسان أومانيسم أي نظرية تقديس الإنسان[1]، وبذلك قامت مجموعة كبيرة من المنظمات التي تنادي إلى تقديس الإنسان في كندا وأستراليا وأمريكا وبريطانيا وإيرلندا وصارت منتشرة في بقاع كثيرة من العالم[2].

وهذه التحولات الكبرى كانت باعثا جديدا لتأسيس المنظور الجديد للإنسان، من حيث ما ينبغي أن يكون عليه وفق رؤى فلسفية مستقلة عن اللاهوت والدين، فأصبح يعتقد هؤلاء بعدم امكانية انبثاق نزعة انسانية تتمحور حول مركزية إلهية وإنما لا تولد هذه النزعة إلا بعد التمحور حول الإنسان وإحلاله في مركز الإله، وهو مالم يتحقق في الماضي وإنما تحقق في العصر الحديث[3]، ومرجعية هذه النزعة مبنية على نظريات فلسفية كنظرية الحق الطبيعي، وحتمية الصيرورة التاريخية.

لكن إذا ما قاربنا بين نظريات الأنسنة و بين تطبيق ذلك على أرض الواقع، يتبادر إلى أذهاننا إشكالا جوهريا، وهو هل لدى الغرب ما يقدمه للبشرية من شيء في عالم الحضارة الحقيقية والقيم والأخلاق والعدالة على الرغم من توفر كل إمكانات التقنية الحديثة وفرصها؟[4]، أم هذا مجرد تنظير ومحاولات محكوم عليها بالفشل؟، فكما هو معلوم فإن النزعة الإنسانية قد تعرضت في الغرب الحديث لمراجعات نقدية جادة ومتواصلة من قبل الكثير من المفكرين المدافعين عن إنسانية الإنسان[5].

---

(1) شريعتي، المرجع، نفسه، ص10.

(2) الرماح، المرجع نفسه، ص ص37-38.

(3) الرفاعي، المرجع نفسه، ص197.

(4) السلومي، المرجع نفسه، ص84.

(5) الرفاعي، المرجع نفسه، ص199.

إن الأنسنة الغربية حسب أراء الكثير من المفكرين الغربيين **تكتفي بالتلاعب اللفظي في الصالونات الأدبية المنفصلة عن الحياة اليومية للطبقات الكادحة والمهمشة والمستعبدة،** وهي ما اصطُلح عليها بالأنسنة الشكلية، والكثير من مفكري الغرب اعتبروا أن الأنسنة الشكلانية ليست إلا مفهوما مجردا أو تجريديا منفصلا عن واقع الوجود وهو ما عبر عنه **ميشال فوكو** عبر شعاره الشهير **موت الإنسان،** بعدما شاهد وحشية وعنف الاستعمارات التي اجتاحت دول العالم الثالث[1]، فالدمار الذي خلفه الغرب، يجعلنا نشكك في نظرتهم للإنسانية، التي لا تختلف عن المرحلة الوسيطية.

وفي الواقع لا تزال في أوروبا طبقة رأسمالية تملك القوة والمال، تسير دفة الحكم وفي انجلترا لا يزال مجلس اللوردات يتمتع بصبغته الرسمية، كما لايزال فيها قانون إقطاعي يقضي بأن يحرم جميع الأبناء من الميراث عدا الابن الأكبر في العائلة، منعا لتفتيت الثروة كما كانت تفعل طبقة الإقطاعيين في العصور الوسطى[2]، كما أننا نلمس كيلا بمكيالين إذا ما تعلق الأمر بالمختلف معه، فمثلا نجد الغرب**(لم يقبل منح الإمبراطورية العثمانية حق الناس إلا في منتصف القرن التاسع عشر مع إضافة بعض التحفظات بسبب إنسانيتها البربرية كما يقول بوازار)**[3].

إن واقع اليوم يبين لنا أن الغرب يملك الكثير من المفردات الحضارية والمنظمات الإنسانية التي تعني الإنسان والأقليات والعمال والشعوب، لكن بمقاربة النظرية مع الحقيقة والواقع ، نجد الهوة كبيرة والفرق شاسعا والحقيقة أن واقع الممارسات العنصرية يبقى قائما وممارسا بشكل فعال، إذا ما تعلق الأمر بين الأبيض والأسود أو الغربي والآخر غير الغربي، ودليل ذلك سكوتهم عن انتهاكات حقوق الإنسان في الكثير من الدول غير

---

(1) نفسه، ص199.

(2) أبو خليل، ص328.

(3) عويس عبد الحليم، إنسانيات الإسلام مبادئ شرعية وتجارب واقعية، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2006، ص72.

الغربية في العالم[1]، وفي الوقت الذي تكثر فيه نداءات احترام الإنسانية ومراعاة حقوق الإنسان نسمع الأحاديث المفجعة عن التمييز العنصري في إفريقيا والجرائم المروعة في العالم وعن ووضعية الزنوج و الملونين في أمريكا[2].

لا يمكن طمس حقيقة التمييز العنصري المؤسس على اللون في مجتمعات راقية حضارية مثل أمريكا وبريطانيا وغيرهما من الدول التي لها أكثر تمثيل في هيئة الأمم، إلا أنها تقوم في هذا العصر بأبشع جرائم اضطهاد الإنسان على مر التاريخ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية تمارس أكثرها ضد الزنوج **فجيمس بيزنز** عضو مجلس الشيوخ يؤكد أن بلاده ملك الرجل الأبيض ويجب أن تظل كذلك[3]، وانتشر هذا التمييز كثيرا، وهذا تقليد متوارث وليس جديد حسب **نورم إلين** فالأبيض في المعتقد الغربي المعاصر هو أصل التفوق و(**الحضارة الغربية البيضاء هي المعيار الذهبي للعقلانية والموضوعية**)[4].

وكأمثلة عن التمييز الحاصل في الولايات المتحدة على سبيل المثال، فصلُ المتمدرسين البيض عن السود في عشرين ولاية، وبعض الولايات تصدر كتبا مختلفة للسود وبعضها تمنع زواجهم من البيض حتى لا تختلط الأعراق، بل والأغرب من ذلك في مصحات الأمراض العقلية يفصلون بين المجانين البيض وبين المجانين السود!!، وحتى الكنائس الكاثوليكية لم تسلم من التمييز العنصري بين البيض والسود[5].

و في ذلك يقول الاقتصادي **فكتور بيرلو**: **(لقد انتشرت سموم التعصب العرقي في طول البلاد وعرضها و تسربت إلى مجاري الحياة الأمريكية جميعا، فإذا بجماهير**

---

(1) السلومي، المرجع نفسه، ص ص80–81.

(2) السباعي مصطفى، من روائع حضارتنا، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، (ط1)، 1998، ص57.

(3) نفسه، ص58–59.

(4) الرماح، المرجع نفسه، ص96.

(5) السباعي، من روائع حضارتنا، المرجع نفسه، ص ص59–60.

الشعب تتعود اصطناع تعابير الاستخفاف والاحتقار في معرض الإشارة إلى الزنجي والأقليات القومية الأخرى)[1].

إنّ المساواة الإنسانية في الفكر الغربي الحديث والمعاصر قد أصبحت مجرد مباحث نظرية مثالية، وإلاّ فإن حاضرهم استعلائي مدمر[2]، يصنف الناس والدول وحتى القارات ويرتبهم على حسب الرؤيا الغربية، لذا فمبدأ التفاوت يبقى قائما، ما دام الغرب يقسم العالم إلى عالم أول وثان وعالم ثالث، ومازال هناك من يقول أن الجنس الأبيض أفضل من الجنس الأسود أو الأصفر، ومازال هناك من يسمي المسلمين همجا وبرابرة و يعطي نفسه صفة الحضارة وحق السيادة[3]، فالفكر الغربي فشل في مسعاه في تحقيق الأفضل للإنسان وللبشرية، فحققها للغرب فقط، بل حتى في الغرب ينعم بها الأبيض دون الأسود.

ثالثا: الإنسان وجدلية الاستعباد والمساواة في ظل التفاوت في جزيرة العرب قبل الإسلام وبعده.

- **الإنسان قبل الإسلام في شبه الجزيرة:**

نشأ الإسلام في بيئة تصعب فيها الحياة، لقساوة الحياة الطبيعية والاجتماعية وصعوبة التعامل مع جميع الناس لطبيعة التفاوت المنتشر في المنطقة، وقانون الاستعلاء المقنن كعرف يحتم على الناس اتباعه والعمل بمقتضاه، ففي مكة كان الاجتماع البشري فيها مرتبا على حسب الأعراق وسمو الأنساب ما بين الأشراف ودونهم، وكذا طبقة العبيد من ذوي البشرة السوداء من الأحباش وغيرهم، وكان نظام الرق والاستعباد منتشرا[4] كثيرا، وشائعا جدا، ومعمولا به في جميع الأمصار العربية.

---

(1) نفسه، ص61.

(2) عويس، المرجع نفسه، ص72.

(3) نفسه.

(4) جمعة، المرجع نفسه، ص16.

فغلب التفاضل بين الناس والتفاخر بالأنساب وهي سمات طغت على مجتمع شبه الجزيرة، فاعتاد الناس على ذلك ورضي كل واحد منهم بقسمته، وبحتمية هذه التقاليد العنصرية، وقبل أن يقيم الإسلام أصول الأخوة العالمية عمل على هدم العبودية التي كانت قائمة، ونظام استعلاء الطبقة الخاصة المتحكمة في شؤون المجتمع العربي، المكرس للرق والسخرية من باقي الطبقات، كما عمل على تحرير العبيد وإدخالهم بشتى الأساليب في الإخاء الإنساني[1].

فالإسلام عقب مرحلة تعتبر مظلمة جدا سادت فيها عادات غريبة جدا منها الاستهانة بالنفس البشرية واحتقار الجنس الأنثوي، فكانت الأنثى تقتل مباشرة وتدفن حية خوفا من العار، وهذه الشناعة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية قاطبة، فكان العرب يستحون إذا رزق أحدهم بأنثى•، فكانوا يتفننون في قتلها، فيتركوها حتى تصل إلى السادسة من عمرها فتزين، ثم تدفع في حفرة في الصحراء دفعا، كي تذهب إلى أحمائها كما زعموا، وهناك من تلد ابنتها بجانب حفرة حتي يتخلصوا منها، وغيرها من عادات الاستعباد القسري للأنثى، كإرغامها على الرعي وغيرها من الأعمال الحقيرة[2].

كما كان الناس يباعون ويشترون في أسواق العبيد، بأثمان متفاوتة ذكرا وأنثى وحتى الصبية، فلم يكن هناك رحمة للبشرية أو لأرواح الناس، فالمجتمعات العربية قبل الإسلام كانت مقسمة ما بين شريف ومشروف، وما بين سيد ومسود، وطغت على هذه

---

(1) الجندي أنور، **الإسلام والعالم المعاصر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (ط2)، 1980، ص210.

• حتى في القرآن الكريم قد ورد ذلك مفصّلا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٥٩ ﴾{النحل:58-59} فيظلُّ وجهه مسودا من الحياء والكآبة من الناس، واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام و التشويش، وهو كظيم ممتلئ حنقا وغيظا يتوارى ويختفي من القوم من سوء ما بشر به، من أجل سوئه مترددا في أمره محدثا نفسه أيمسكه على هون أم يدسه في التراب بوأد ما بُشر به أي ابنته، اُنظر تفسير أبي السعود، المصدر نفسه، (ج3)، ص121.

(2) قطب، المصدر نفسه، (مج6)، ص ص3839-3840.

المجتمعات الانتصار للقبلية والعصبيات والأنساب والأعراق والجنس[1]، فالحاصل أن شبه الجزيرة كانت مصنفة وفق طبقات كثيرة، واحدة فوق أخرى، على حسب النسب، والذكر فوق الأنثى في جميع الأحوال، فالأنثى إن سلمت من القتل عاشت في تضييق وتهميش إلا أن تموت، بل حتى والدها كان يتعرض للمضايقات بسبب بناته، فكانوا يخاطبونه كراهية وموصوفه الأبتر.

- **الإسلام ودعوة المساواة الإنسانية:**

أصّل الإسلام في البداية مبدأ الشورى في نظامه العام بين جميع الناس حتى يقضي على الاستبداد والديكتاتورية وليضع حدا للطغيان والتحكم في شؤون الناس[2]، وكي لا يحدث احتكارا للسيادة مثل احتكار بني لاوي من اليهود، أو البراهمة من الهنود، وكي لا يتميز فيه شعب عن آخر، ولا نسل عن نسل وليس الاعتماد فيها على العرق والدم بل الاعتماد فيها على الحرص والشوق وحسن التلقي والتفوق في الاجتهاد[3]، أما تقرير الحقوق والواجبات في الإسلام مصدره الله عزوجل[4]، وهي أوامر قطعية لا تقبل النقاش أو التأويل، ومن جملة هذه الحقوق العدالة والمساواة والوفاء بالعهد وتحقيق الحرية المطلقة للناس جميعا والحريات الشخصية وحرية الرأي والمعتقد والحريات السياسية[5].

والتاريخ يؤكد أنّ الإسلام لم يقر أي فروق في الجماعة أو الأمة على أساس اللون أو تفضيل الجنس أو اللغة، وقد سوى بين الأجناس جميعا، وأقام وحدة عالمية تجمع مختلف العناصر والأقوام، بصرف النظر عن الفوارق المتباينة فشجب بذلك الدعوة

---

(1) عدنان الخطيب، المرجع نفسه، ص32.

(2) نفسه.

(3) الندوى، المرجع نفسه، ص ص31–32.

(4) عثمان محمد فتحي ، حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الوضعي، دار الشروق، القاهرة، مصر، (ط1)، 1983، ص16.

(5) نصير آمنة محمد، إنسانية الإنسان في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، مصر، (ط1)، 1989، ص ص28 –29.

العنصرية القائمة على الدم ومنع التفاضل ولم يجعل الأنساب ميزانا لتقدير الناس، فالناس في الإسلام تتكافأ دماؤهم و أموالهم[1].

ولا شك أن هذا قد غلق المنافذ التي تؤدي إلى استرقاق الأحرار وجعلهم عبيدا تحت إمرة أسيادهم وهم لا يملكون ضرا ولا نفعا لأنفسهم، واتخذ لذلك صورا للتضييق على نظام الرق حتى أغلقت أبوابه تماما[2]، في أقل من عقد من الزمن، فالدعوة التي صار الناس عليها، جعلتهم يدركون جيدا، ويعرفون يقينا أنهم كلهم أشباه وأنداد كلهم مخلوقون وكلهم عباد[3] وبذلك كرم الإنسان رجلا وامرأة وتدرج في القضاء على العبودية[4].

أقام الإسلام معالم الدولة على أهم الأسس التي تحافظ على استقراره وتضمن سيادة الاحترام في المجتمع الجديد، ألا وهي العدل والمساواة ومن عظمة الإسلام أنه يمزج بين العدل والمساواة، فالحق أنه لا حرية ولا مساواة بلا عدل وبلا شريعة حاكمة للناس جميعا على قدم المساواة[5]، فالعدل هو تحقيق المساواة تطبيقا وتحقيقا، والمساواة الحقة تكمن في عدم التفرقة بين إنسان وآخر سواء في النظرة أو المعاملة على أساس خلقي يخرج عن فعل الإنسان واختياره[6].

فالإسلام ثبت المساواة فارتبطت بالعدل فجعلهما كأنهما كلمة واحدة أو علامة ذات وجهين وهذا الحق لا شك فيه فالعدل يفقد معناه إذا كان لأصحاب دين دون دين أو لقومية دون قومية أو لطبقة دون طبقة بل يجب أن يكون مطلقا بلا حدود[7]

---

(1) الجندي، المرجع نفسه، ص ص210-211.

(2) جمعة، المرجع نفسه، ص16.

(3) عثمان، المرجع نفسه، ص17.

(4) عوض، المرجع نفسه، ص45.

(5) عويس، المرجع نفسه،ص53

(6) جمعة، المرجع نفسه، ص7.

(7) عويس، المرجع نفسه، ص53.

ولقد أكد النبي ﷺ على ضرورة التحلي بمبادئ المساواة الإنسانية والعمل على نشرها وليس مجرد التمسك بها كشعار يتزين به المرء، وشدد على ترك العادات القبلية، فكان يطلق عليها لفظ عادات الجاهلية، ولم يستثنى توبيخ أحد من أصحابه إذا ما تعلق الأمر بعصبية أو طعن، كقصة أبي ذر مع بلال الحبشي[1]، أو قصة أسامة بن زيد لما أراد الشفاعة للمخزومية التي سرقت.

وحديث جابر بن عبد الله عن المساواة وترك التمايز والتحيز للألوان والأعراق والأنساب، يبين حرص النبي ﷺ على ترسيخ قيم المساواة والعدل بين الناس، فلا فرق بين أحمر و لا أسود و لا أعجمي ولا عربي إلا بالعبادة، وتدل على مدى استثمار النبي ﷺ في تعليم الناس احترام الإنسان وتقدير كرامته دون أدنى التفاتة إلى لونه أو جنسه أو عرقه أو لغته[2].

وكأحسن رد للنبي ﷺ على دعاوي الجاهلية، ودحضا للعنصرية والاستعلاء قد أمر بلالا الحبشي يوم فتح مكة أن يصعد فوق الكعبة ليؤذن من فوقها ويعلن كلمة الحق والكعبة هي الحرم المقدس عند العرب في الجاهلية، وهي القبلة المعظمة في الإسلام فاختاره النبي من جملة أصحابه ليكون ذلك إقرارا منه وإعلانا لكرامة الإنسان على كل شيء، وأن الإنسان يستحق هذه الكرامة لعلمه وعقله وأخلاقه وإيمانه لا لبشرته وبياضه[3].

لقد نقلت شريعة الإسلام الإنسانية من أجواء الحقد والكراهية والتفرقة والعصبية التي عمت شبه الجزيرة العربية وضواحيها إلى أجواء الحب والتسامح والتعاون والتساوي أمام

---

(1) السباعي، من روائع حضارتنا، المرجع نفسه، ص50.

(2) جمعة، المرجع نفسه، ص، ص12–15.

(3) السباعي، من روائع حضارتنا، المرجع نفسه، ص50.

الله، ولدى القانون وفي كيان المجتمع تساويا لا أثر فيه لاستعلاء عرق على عرق أو فئة على فئة أو أمة على أمة[1].

فالإسلام أكد على تأصيل أسس للمساواة باللفظ والنص والقانون ليكون كل شيء واضحا مقررا منطوقا، فمنع بذلك خرافة التعالي الكاذب، فالناس كلهم متساوون في الحقوق والواجبات وليس هناك فرق بين ذكر وأنثى[2] فكل ما يصدر من الناس من أفعال عنصرية أو مناداة للطبقية أو شرف الانتماء فليس من الإسلام في شيء، بل يمثل دعاته وحسب ولا نص في الدين من ذلك.

رابعا: الإنسان والإنسانية في المصادر الإسلامية.

يتحدد مفهوم الإنسان في الإسلام بالرجوع إلى أهم المصادر الإسلامية التي تشكل عماد الإسلام ومرجعيته الأساسية ألا وهما القرآن والسنة، فالإنسان يعتبر أساس الخطاب القرآني في عمومه من أول السور إلى آخرها لأنه المعني الأول بالرسالة وبالدعوة المحمدية وفي القرآن الكريم خطاب صريح للإنسان وعناية بالغة به، ولا تكاد تخلو سورة من سوره من توجيه القول إليه بصيغة المفرد تارة، والجمع تارة أخرى وإذا كان لفظ النبي أو الرسول لم يذكر فيه إلا بضع مرات فإن لفظ الإنسان ورد في نحو 45 سورة ولفظ الناس في نحو 240 مرة[3]، وكلها لها نفس الدلالة ونفس المعنى فالمقصود بذلك هو الإنسان، فلذا نجد منزلته عزيزة وفاضلة في القرآن الكريم.

فيتحدث القرآن الكريم في أول المسائل التي تعني الإنسان، ألا وهي مسألة **الاستخلاف** في الأرض وجاء ذكر ذلك في آيات متعددة منها ما ورد في سورة البقرة وسورة الأنعام وسورة الأعراف وسورة يونس وسورة النمل وسورة فاطر وسورة ص.

---

(1) نفسه، ص47.

(2) الواعي، المرجع نفسه، ص540.

(3) عدنان الخطيب، المرجع نفسه، ص32.

والاستخلاف بمثابة تشريف للإنسان ولخلقته، فما استخلفه الله إلا لرجاحة عقله واستواء خليقته لأنه **لا غرابة في أن يكون هذا المخلوق محفوفا بالعناية الربانية التي ترفع من قدره و تعلي منزلته بين الكائنات جميعها و تفضله على ما عداه من مخلوقات الله**[1].

لأنّ منزلته المكرمة عند الله هي ما جعلته يحظى بالاستخلاف على الأرض، وهو أجدر المخلوقات التي خلقها بهذا الاستخلاف الذي يقرر كرامته بحيث يظاهر كل حكم شرعي يحقق الكرامة الإنسانية[2]، والمنزلة العالية عند الله بل وأفضل من سواه من المخلوقات جميعا.

والقرآن الكريم يقرر أن الإنسان أشرف الموجودات، فهو خليفة الله في الأرض والذي حمله الأمانة دون غيره من الكائنات وهو تكريم وتشريف سجله القرآن في آياته البينات حيث يقول تعالى: ﴿۞وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ٧٠﴾ {**الإسراء:70**}[3].

ويتجلى هذا التفضيل الذي ذكره الله في القرآن في سجود الملائكة جميعا لأصل البشرية وهو آدم عليه السلام وتعليمه الأسماء كلها و قبلها خلقه بيده الكريمة، فهذا الإنسان الذي تم تهميشه وإقصاؤه، قد كرمه الله في السماء بذكره في الملأ الأعلى و النفخ فيه من روحه وإسجاده ملائكته المقربين له[4]، فمنزلة الإنسان أكبر مما يتصوره البعض من خلال النصوص القرآنية ، وكلها تدل على سمو الجنس البشري ومنزلته في كتاب الله.

كذلك جاء ذكر الإنسان في السنة كثيرا، وغالبا ما تكون شرحا للآيات التي تبين منزلة الإنسان الكريمة، فالنبي ﷺ كان يوصي الناس باحترام الناس جميعا لمنزلتهم عند

---

(1) علي جمعة، المرجع نفسه، ص773.

(2) محمد فتحي عثمان، المرجع نفسه، ص62.

(3) آمنة محمد نصير، المرجع نفسه، ص39.

(4) نفسه، ص39.

الله ، فقد جاء في كتب الحديث أنّ (**سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض أي من أهل الذمة، فقالا: إن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفسا؟**)[(1)].

فبيّن النبي ﷺ أنّ احترام النفس البشرية يكون عاما، فلا يدخل فيه تمييز ولا تصنيف ولا انتماء ديني، كما جاء في كتب الحديث كذلك أن **رجلا أسودا كان يصلي مع النبي ﷺ في المسجد فمات ولم يعلم النبي ﷺ إلا بعد مدة فلما سأل عنه ، أخبروه أنه مات فقال النبي: أفلا أذنتموني ؟ فقالوا أنه كان كذا وكذا قصته ،فحقروا شأنه فقال النبي: فدلوني على قبره، فأتى قبره وصلى عليه**[(2)].

وهذا تشريف لمنزلة ذلك الرجل فلم يدخل ﷺ اعتبارات اقصائية ترتكز على اللون أو العرق مثلما كان عليه الحال قبل الإسلام، بل النبي ﷺ حارب من أجل ترسيخ القيم الإنسانية الفاضلة، فكان دائما يحث الناس على الطاعة والعبادة ويجعل حائلا بينهم وبين الاستعلاء وخطابات الاقصاء التي تستند على اللون في المجتمع الحجازي فكان يقول "**إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم**"[(3)].

فلا شك أن النبي ﷺ أراد أن يبني مجتمعا فاضلا، بعيد تماما عن العادات الوثنية التي كانت متفشية حتى صارت تقليدا وعرفا منتهجا ومسلم به بالضرورة ما كرس خطابات العنصرية الطبقية والتمييز على مستويات عديدة منها اللون والجنس والعرق والانتماء و كذلك الثراء، كما أنه ﷺ جعل الرحمة على بني آدم الشرط اللازم لجلب رحمة الله فقال عليه السلام: "**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**)[(4)]، ودعوة الرحمة

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، برقم:1312.

(2) أُنظر محمود عكام، الإسلام والإنسان، فصلت للدراسات والنشر والترجمة، حلب، سوريا، (ط1)، 1995، ص41.

(3) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، برقم: 2564.

(4) الندوي، المرجع نفسه، ص46.

التي دعا إليها النبي ﷺ عامة على جميع الناس دون استثناء والأحاديث والنماذج الإنسانية في سيرته كثيرة ومتعددة تعكس المنظور والتصور النبوي للإنسانية التي أحياها النبي بعدما ماتت طيلة قرون من الزمن في شبه الجزيرة العربية.

المطلب الثاني: حقوق الإنسان في الإسلام.

الإنسان في كل زمان ومكان يشعر أنه متميز جدا عن باقي الكائنات الحية بل شعوره بالاختلاف عن الكون والطبيعة فكرة تلازمه منذ بداية حياته على الأرض فطالما كافح من أجل البقاء، ومجابهة الطبيعة ومحاولة تليّينها، ليحافظ على نسله وبقائه على عليها، فالمظالم التي وقعت على الناس في الأعصار الطويلة الماضية، تركت في ضمائر الأمم رغبة عميقة أن تتحصن ضدها، وألا تتعرض في المستقبل لمثلها[1]، وهذا قد جعل الإنسان يشعر أن لديه حقوق تكفل حياته وواجبات يقوم بها للحفاظ على مجتمعه البشري لذلك ينشغل دائما تفكيره حول فكرتي الحق والواجب ما بين ما هو سائد وموجود وما هو مفقود أو مسكوت عنه.

تطرقت الأديان الوضعية والكتابية لفكرة حقوق الإنسان وكل ماله وما يجب أن يتوفر لحفظ حياته و كرامته، ومن ين هذه الأديان الإسلام، ونظرته لحقوق الإنسان.

أولا: الإسلام وحقوق الإنسان.

لا يعتبر الإسلام شريعة أو رابطة بين المسلم والله كما يتوهم البعض ويتصوره جملة من الناس، بل يعتبر نظام حياة لجميع الناس، من أجل تحقيق العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد، سواء كان مسلم أو غير مسلم، فمن أجل ذلك قرر الإسلام حقوق الإنسان منذ نشأته في جزيرة العرب، لأن **الإسلام يعتبر الناس كلهم أمة واحدة ويساوي بينهم**

---

[1] أُنظر، الغزالي محمد، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (ط4)، 2005، ص11.

جميعا[1] في الحقوق، فلم يفرق بين الناس في تحقيق هذه الحقوق وتوفيرها على أرض الإسلام لأنه رسالة إنسانية عالمية لكل الناس وليس للعرب وحدهم[2].

فلم تختص جنس أو طائفة مميزة أو شعب مختار أو جماعة معينة دون باقي الأفراد والجماعات الأخرى لأن **(تقرير الحقوق والواجبات في الإسلام مصدره المشرع عزوجل وتشريعه الحق والعدل المطلق للعباد دون محاباة أو تحامل ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾{الحديد:25})**[3]، ومادام صدر من الله فإن تقرير حقوق البشر عند المسلمين صار أمر عقائديا معلوما بالضرورة وقطعياً، فلا مراوغة فيه ولا تقصير من طرف المسلمين، لأنه ببساطة يشين بانتمائهم لدين يسعى للحفاظ على البشرية جمعاء ومراعاة حقوقهم من أهم واجباته.

والميزان الذي ذكره الله تعالى هو ما يقيم حقوق الناس ويحرص على عدم ضياعها فكل الرسالات جاءت لتقر في الأرض وفي حياة الناس ميزانا ثابتا ترجع إليه البشرية لتقويم الأعمال والأحداث والأشياء والرجال وتقيم عليه حياتها في مأمن من اضطراب الأهواء واختلاف الأمزجة وتصادم المصالح والمنافع، ميزانا لا يحابي أحدا لأنه يزن بالحق الإلهي للجميع[4].

إذا فالله سبحانه وتعالى صاغ حقوق الإنسان وأعطى لكل إنسان حقه وألزم الأنبياء بدعوة الناس واعتماد ميزان الحق الذي لا يخطئ ولا يقصي أحد، ولا يتخطى حق من الحقوق بل جعل ميزان الحق والواجب منصوبا من قبل العدالة الإلهية يعطي تقرير الحق

---

(1) الحقيل سليمان بن عبد الرحمن، حقوق الإنسان في الإسلام والرد على الشبهات المثارة حولها، وكالة الفرزدق، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 1994، ص32.

(2) عويس، المرجع نفسه، ص41.

(3) نصير، المرجع نفسه، ص70.

(4) سيد قطب، المصدر نفسه، (مج6)، ص253.

والواجب عمقا عقديا بحيث يطلب المرء بحقه في إصرار وثبات ويجاهد لأجله لأنه من أمر الله الذي لا ينبغي ألا يفرط فيه[1].

وهكذا لا يمكن أن يقوم ظلم للناس أو تنشأ دعوات الجاهلية السابقة، أو تتفكك المجتمعات ما بين عبد وسيد أو ما بين فاضل ودونه، و**تقرير الحقوق من قبل الحكمة الإلهية والعدالة الربانية ليس معناه تخدير المشاعر وتبرير الاستسلام والخضوع والتواكل بل إنه يرفع مرتبة حقوق الإنسان إذ يجعلها مستمدة من العقيدة ويجعل الإيمان حارسا عليها ودافعا إلى الحفاظ والنضال من أجلها**[2]، لأنها رسالة سامية وغاية قصوى في تحقيق شروط العيش وحفظ النسل ومراعاة ترابط وصلة الناس في مجتمعاتهم.

ثانيا: حقوق الإنسان العامة في الإسلام.

للإنسان في شريعة الإسلام حقوق عامة للناس جميعا لم يميز فيها أحد، وهناك حقوق خاصة وذاتية متعلقة بالأفراد والجماعات، حرص على مراعاتها لأصحابها فمن الحقوق العامة للبشر ما يلي:

* **أ- حق الحياة** يعتبر من أعظم الحقوق و أولها تحقيقا وتقنينا في شريعة الإسلام لأنه الأصل الذي يتفرع عنه جميع الحقوق الأخرى سواء العامة الأساسية أو الخاصة الذاتية لأنه لو اضطرب هذا الحق أو تم تخطيه أو تهاون الناس في الحرص عليه أو استخفوا بأهميته أو أحقيته يترتب عنه ضياع لباقي الحقوق بالضرورة، وحول ذلك يقول **الدكتور أحمد عبده عوض: (أول حق من حقوق الإنسان في الإسلام هو حقه في الحياة إذ بدون كفالة هذا الحق فلا مجال ولا إمكانية لأن يتمتع الإنسان بحقوقه الأخرى وقد دعا شرع**

---

[1] عثمان، المرجع نفسه، ص16.

[2] نصير، المرجع نفسه، ص70.

الإسلام منذ بدايته إلى حفظ الأنفس والتشديد على حمايتها وعدم قتلها ويلاحظ ذلك في آيات كثيرة تحذر من اقتراف الجرم من قتل الإنسان بغير حق شرعي)[1].

و عن حفظ النفس نجد ذلك من أسمى مقاصد شريعة الإسلام وهو أول المقاصد الخمسة الأساسية، التي سعى الإسلام منذ المرحلة الأولى في تقريرها وتثبيتها، والسهر على تلقينها للناس، وأكد القرآن حرمة الإنسان ونادى بحقن دمه في بيئة كانت تستبيح القتل وتعيش أخذ الثأر فحرّم وأد البنات وقتل الأولاد خشية إملاق وأوعد بالعذاب المقيم **والغضب واللعنة لمن يزهق روح أخيه الإنسان**[2].

ولأنّ الإنسان مهما كانت عقيدته أو انتماؤه فهو معصوم الدم، وله حق في الحياة يراعى ويحفظ حتى لا تعم الفوضى والفساد في الأرض، وهو ما نصت عليه كذلك المادة الثانية من إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام حيث جاء فيها: **(أ- الحياة هبة الله وهي مكفولة لكل إنسان وعلى الأفراد والمجتمعات والدول حماية هذا الحق من كل اعتداء عليه ولا يجوز ازهاق روح دون مقتضى شرعي)**[3].

* **ب- العدل والمساواة** بين الناس في الحقوق دون مفاضلة ودون تمييز ودون إقصاء أو تهميش لأحد أو تفضيل ذي لون أو غني أو ذي حسب أو نسب، فهذا كله غير موجود ومرفوض في شريعة الإسلام لأنه من عظمة الإسلام أنه يمزج بين العدل والمساواة فالحق أنه لا حرية ولا مساواة بلا عدل وبلا شريعة حاكمة للناس جميعا على قدم المساواة ... و في الإسلام تختلط كلمة العدل بالمساواة فكأنها كلمة واحدة أو عملة ذات وجهين وهذا الحق لا شك فيه فالعدل يفقد معناه إذا كان لأصحاب دين دون دين أو لقومية دون

---

(1) عوض، المرجع نفسه، ص61.

(2) الخطيب، المرجع نفسه، ص25.

(3) الحقيل، المرجع نفسه، ص43.

قومية أو لطبقة دون طبقة بل يجب أن يكون مطلقا بلا حدود كما قال الله **﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾{النساء:58})**[1].

فالكل متساوون في حقوقهم، وفي واجباتهم حتى أن التشريع الإسلامي انصب حول العدالة في تطبيق ذلك على الناس دون تفرقة أو تمييز بين مسلم وغير مسلم فالكل متساوون في ظل هذا الدين[2] لحفظ كرامة الإنسان **ولم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة بل جعلهما متساويين في القيمة الإنسانية**[3].

وقبل مرحلة الإسلام كانت المرأة تعاني من التهميش والإقصاء، عند اليونان وعند اليهود وهناك من اعتبرها شيطانا وهناك من اعتبرها حيوانا، فالمساواة والعدل أصلان قائمان لا يفترقان في الإسلام ويسلم بهما جميع المسلمين، **ومن المتفق عليه أن الإنسان أكرم المخلوقات على الله ومن هذه الحقيقة كان التشريع في الإسلام بما يليق بهذا المخلوق المسؤول المكرم من قبل الله في البر والبحر والعدالة أسمى القيم التي تليق ببني الإنسان**[4].

والعدالة في الإسلام تقتضي المساواة الحقيقة دون تمييز كما ذكرنا، فالكل مسؤول وكل واحد متساو مع الآخر وهذه هي العدالة التي تميز الإسلام عن باقي الأديان لأن الناس يرجعون إلى رب واح وأصل واحد، ومن أجل ترسيخ هذين الأصلين يذكرنا الله بذلك في قوله :**﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾{النساء: 1}**.

---

(1) عويس، المرجع نفسه، ص53.

(2) نصير، المرجع نفسه، ص122.

(3) عويس، المرجع نفسه، ص54.

(4) نصير، المرجع نفسه، ص122.

فيذكر الله الناس بأصلهم الذي يعودون إليه وهو آدم عليه السلام فهذه الآية ترد الناس إلى رب واحد، وخالق واحد كما تردهم إلى أصل واحد، وأسرة واحدة وتجعل الوحدة الإنسانية هي النفس، ووحدة المجتمع هي الأسرة[1]، وهو ما نجده مذكور في المادة الأولى من إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان التي نصت على أن **(البشر جميعا أسرة واحدة جمعت بينهم العبودية لله والبنوة لآدم وجميع الناس متساوون في أصل الكرامة الإنسانية وفي أصل التكليف والمسؤولية دون تمييز بينهم في العرق أو اللون أو اللغة أو الجنس أو المعتقد الديني أو الانتماء السياسي أو الوضع الاجتماعي ، أو غير ذلك من الاعتبارات وأن العقيدة الصحيحة هي الضمان لنمو هذه الكرامة على طريق تكامل الإنسان{المادة1 – إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان})**[2].

والنبي ﷺ كان يحذر من تعاظم وتفاخر الناس على بعضهم ودائما يذكرهم بأصلهم وبضرورة مراعاة المساواة بين الناس جميعا مهما كانوا فلذلك قال يوم فتح مكة: **(يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان، رجل بر تقي كريم على الله ، ورجل فاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾{الحجرات:13})**[3].

وهذا ما كان يوصي به ويدعوا إليه في كل مناسبة وفي كل فرصة يلتقي الجموع، و ما يؤكد تمسكه بتفعيل قيم المساواة خطبته في أواخر حياته وهي خطبة الوداع ودعوته لجميع الناس لاحترام المساواة الإنسانية و تجنب التكبر فقال: **(يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر**

---

(1) سيد قطب، المصدر نفسه، (مج1)، ص573.

(2) الحقيل، المرجع نفسه، ص43.

(3) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، برقم: 5116.

على أسود و لا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغتُ؟ قالوا بلغ رسول الله ﷺ ثم قال: أيُّ يوم هذا ؟ قالوا: يوم حرام، ثم قال: أيُّ شهر هذا ؟ قالوا: شهر حرام، ثم قال: أيُّ بلد هذا؟ قالوا : بلد حرام، قال: فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا أبلغتُ؟ قالوا : بلغ رسول الله ﷺ ، قال ليبلغ الشاهد الغائب)[1].

فهذا أصل ثابت لا يمكن أن يتغير في شريعة الإسلام مهما تغير الزمن، فالإسلام يراعي حقوق الإنسان العامة، ويسهر على تطبيقها في كل الأحوال، فالمساواة في الحقوق والواجبات وأمام العدالة من الحقوق الأساسية للإنسان ولا يجادل في هذه الحقوق إلا عدو للإنسانية، وقد كان الإسلام أسبق من كل النظم المعاصرة، وأزكى في تقدير هذا الحق الفطري[2].

ثالثا: حقوق الإنسان الخاصة في الإسلام.

وكذلك حرصت الشريعة الإسلامية على تطبيق ورعاية الحقوق الخاصة بالناس من غير المسلمين والمتعلقة بالحرية في أساسها ومبادئها، فالحرية في الإسلام فضاء يتيح للإنسان ممارسة معتقداته الدينية ووظائفه المتعلقة بالعبادة، والتفكير والبحث ومنها المتعلقة بالمعاملات والتصرف والتملك، ما يجعله ينعم بالاختيار بين كل الممكنات الموجودة في المجتمع الإسلامي.

فالحرية مطلب إنساني فطري حرصت الشريعة الإسلامية على تحقيقه لكل إنسان مهما كان انتمائه، ولم تستثنى أحد من ذلك و**تقوم حقوق الإنسان في الإسلام على الحريات**

[1] أخرجه أحمد، مسند الأنصار، برقم:23489.

[2] عويس، المرجع نفسه، ص53.

الخمس وهي حرية الاعتقاد ، وحرية الرأي والتعبير، وحرية العمل، وحرية التعلم، وحرية التملك والتصرف[1].

فالإسلام جاء ليصحح المفاهيم السائدة من قبل في تصنيف وترتيب الناس ما بين عبد وسيد وما بين مالك ومملوك، فبالحرية **يغدو للإنسان كيان ولوجوده معنى ولحياته طعم ولون**[2]، ومن دونها يهمش ويفقد شعوره بالحياة، فلذلك راعى الإسلام تنفيذ أوامر الله والنبي ﷺ بتحرير الناس من قيود العبودية والاستغلال والاستبداد وفتح المجال للناس من أجل ممارسة مختلف أعمالهم دون قيود تحد من اختياراتهم.

والحرية في شريعة الإسلام مبنية على الاحترام، فليست هي الحرية التي يفسد بها المرء نفسه، أو يحطم من خلالها كيانه أو ينهي عن طريقها وجوده أو حياته[3]، فهي مرتبطة بكل ما هو معقول وبعيدة عن الفوضى، لأنها تحقق إنسانيته وتؤكد وجوده وملكيته[4]، ومن أهمها:

* **حرية التدين والاعتقاد** وهي مكفولة للجميع من غير المسلمين، فمادام الإسلام حرص على حفظ كرامة الإنسان وأفضليته بصفته الإنسانية السامية، فكذلك حرص على حريته في الاعتقاد والتدين، فلا يجبر أحد على اعتناق الإسلام بالإكراه، فلذا قرر**(حرية الإنسان الدينية بصفة عامة وحرية أصحاب الأديان السابقة المقرونة باحترام أديانهم وتقديرها بصفة خاصة)**[5]، فلا يتدخل أي شخص من المسلمين في حرية اعتقادهم أو دينهم أو نحلتهم ، بل تحترم جميع الأديان، فلا وجود للتشديد أو الإكراه أو حمل الآخر على اتباع الملة بالقوة و الجبروت.

---

[1] عدنان الخطيب، المرجع نفسه، ص ص32–33.

[2] علي جمعة، المرجع نفسه، ص775.

[3] نفسه.

[4] نفسه، ص ص775–776.

[5] عويس، المرجع نفسه، ص48.

لأن الإسلام يرفض (**رفضا باتا أن يكره أحد على ترك دينه واعتناق دين آخر** ﴿**لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ**﴾**{البقرة:256}**)[1] فحرية التدين وتحريم إجبار الآخرين على اعتناق الإسلام مؤصلة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا[2]، بنصوص القرآن منها قوله تعالى: ﴿**وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩**﴾ {يونس: **99**) ومنها قوله تعالى : ﴿ **فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢** ﴾ **(الغاشية : 21-22) ومنها قوله تعالى:** ﴿ **فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ** ﴾**(الشورى: 48)** ، **ومنها قوله تعالى:** ﴿ **مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠**﴾ **(النساء: 80).**

مدلول هذه الآيات المتفرقة من القرآن يدل على حيادية الإسلام في تقرير الناس لاختياراتهم العقدية والدينية، كما جاء في إعلان القاهرة في مادته العاشرة ما يلي: **(الإسلام دين الفطرة و لا يجوز ممارسة أي لون من الإكراه على الإنسان أو استغلال فقره أو جهله لحمله على تغيير دينه إلى دين آخر أو الإلحاد {المادة 10 إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان})**[3] فانتهاز أحوال الناس وممارسة الضغط من أجل تحويل عقائد الناس ليست من شيم الإسلام بل نهى عنها الإسلام بكل أشكالها.

وجاء كذلك في المادة الحادية عشر ما يلي: (**أ- يولد الإنسان حرا و ليس لأحد أن يستعبده أو يذله أو يقهره أو يستغله و لا عبودية إلا لله {المادة 11، إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان})**[4]، الاستغلال والعبودية التي جعلت من الإنسان وسيلة في الماضي وليومنا في بعض الأمصار، يحاربها الإسلام بشدة، ويحرمها وينهى عن فعل ذلك.

---

(1) الخطيب، المرجع نفسه، ص32.

(2) عوض، المرجع نفسه، ص71.

(3) الحقيل، المرجع نفسه، ص45.

(4) نفسه.

* **حرية الفكر والعلم والعمل** من أهم الحقوق التي يكفلها الإسلام للإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه، فالإنسان لا يفكر إلا بما تعلم وهذا يرتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة التي تربى عليها سواء كان يهوديا أو نصرانيا، ولا يعمل إلا بما تعلم طبعا فمشاريعه مرتبطة ارتباطا وثيقا بتعليمه، فلذلك حرص الإسلام على ترك كنائس ومعابد أصحاب الأديان الأخرى غير المسلمة، ويتجلى ذلك في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهالي بيت المقدس: **(هذا ما أعطى أمير المؤمنين إلى أهل إيلياء من الأمان .. أعطاهم أمانا لأنفسهم ولكنائسهم ولصلبانهم .. لا يكرهون على دينهم ولا يضام منهم أحد)**[1].

والأمن الذي يقدمه الحكام المسلمون للناس يجعلهم يمارسون شعائرهم ودينهم ومعتقداتهم كما يشاؤون ويفكرون كما يشاؤون كذلك، ويعملون ما يريدون فخلاصة القول أن **(حرية العمل مكملة لحرية الرأي والتفكير فللمرء أن يزاول ما يروقه من عمل مشروع ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ ولكل فرد أن ينال من العلم ما يشاء وما تمكنه مواهبه واستعداداته ويكفي أن نشير أن دعوة الإسلام الأولى بدأت بأمر التعلم)**[2]

المطلب الثالث: المشترك الإنساني الخصائص والأسس.

يتشابه بنو الإنسان في الكثير من المشتركات الأساسية والتركيبية التي تجعلهم على صورة واحدة متناسقة خلقيا، ومختلفة عن باقي المخلوقات، وهو ما عرف بالمشترك الإنساني ، فمهما بلغ الاختلاف بين الناس، فإن المشترك بينهم كان ومازال قائما منذ استخلاف الإنسان على الأرض، لأننا وببساطة **(جميعا ننتمي للإنسانية فيقينا نشترك في**

---

[1] عويس، المرجع نفسه، ص50.

[2] الخطيب، المرجع نفسه، ص33.

أضعاف أضعاف ما نختلف فيه)[1] مهما بلغ الصراع والمعترك بين البشر فالحقيقة لا يمكن أن تتغير وهي أن الإنسان أخو الإنسان و شبهه في الأساس والأصل.

إن الإنسان من أعظم مخلوقات الله، وأعظمها تمييزا من حيث الخلق والبنية والشكل، فهو كيان متجانس مركب من جسد ونفس وروح وعقل، يختلف عن باقي الكائنات في تركيباته و نمط عيشه و طريقة تفكيره وتواصله وغيرها من المميزات التي تجعله في أعلى هرم التصنيف، وهو كائن حي يتصف بعدة خصائص مثل النمو والتكاثر والحياة والموت، وهو خليفة الله على الأرض كما جاء في نصوص الكتب الدينية المقدسة.

يملك الإنسان مجموعة تعاريف ومدلولات مختلفة في معاجم اللغة والأدب **(فقد عرفه بعضهم منطلقا من المنطوق اللغوي لكلمة إنسان "مصدر أنس" على وزن عرفان أنسه في ظهوره على عكس الجن)**[2]، أي كائن مادي محسوس على عكس الكائنات العاقلة الأخرى غير الحسية، فهي ميتافيزيقية، وأصل كلمة إنسان هي **(إنسيان لأن العرب قاطبة قالوا في تصغيره : أُنَيْسِيانٌ فدلت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره إلا أنهم حذفوها لما كثر الناس في كلامهم)**[3]، ولفظ إنسيان تصغير لإنسان وجمعه أناسين وتقول العرب كذلك أناسي ثم حذفوا الياء في كلامهم، وجمع إنسان هو الناس[4]، وكما يجمع لفظ إنسان بين الذكر والأنثى فلا يقال إنسانة للأنثى[5]، وقيل سمي بالإنسان للنسيان وقيل للمؤانسة والأُنس[6].

---

[1] راغب السرجاني، المشترك الإنساني، المرجع نفسه، ص8.

[2] محمود عكام، المرجع نفسه، ص 29–30.

[3] ابن منظور، المصدر نفسه، (مج1)، مادة أنس، ص170.

[4] نفسه.

[5] أُنظر الجوهري، المصدر نفسه، مادة أنس، ص58.

[6] نفسه، ص58، وابن منظور، المصدر نفسه، (مج1)، مادة أنس، ص171.

والإنسان في المنظور الديني (اليهودي – المسيحي – الإسلامي) يتشابه في النوع ويشترك مع غيره من البشر في الصفات الخلقية، سواء كان ذكرا أو أنثى، فلا يتميز أحدهم عن الآخر، فكل البشر من نفس النوع ولهم نفس الصورة، لأن بعض الأصوليات العنصرية والنزعات المركزية لا تتعامل مع الآخر إلا بوصفه الأدنى وهذه النظرة قد يشار إليها من خلال مقاربات ميتافيزيقية أو تحليلات تتهم البنية الدماغية أو التكوين الوجداني أو تشكيلات اللون أو الجسد[1].

فهم يميزون بين أنواع البشر ويرتبونهم على حسب انتماءاتهم الجغرافية في الغالب، مثلما هو الحال مع الأفارقة وسكان الشرق الأوسط، وهذا التحديد للنوع البشري غير موجود في الكتب المقدسة، فهو إفراز جديد، يتناقض تماما مع نصوص المقدس، ففي العهد الجديد يتبين أن صورة الإنسان على صورة الله، وهذا لتفضيله ولمنزلته من الله فجاء فيها " **(وَقَالَ اللهُ: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ ٢٧ فَخَلَقَ للهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ .عَلَى صُورَةِ للهِ خَلَقَهُ .ذَ كَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ ٢٨**)(تك1: 27–28).

فجميع البشر على صورة واحدة لا يختلف فيها عن الآخر، وهو نفس صورة الإنسان في كتب النصارى، بل يوصف بالقداسة، فجاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس **(وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ للهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ)** (أف4: 24)والملاحظ أن صورة الإنسان واحدة في الأديان السابقة لم تتغير.

أما في الإسلام فيبين النبي ﷺ هذه الصورة التي يتسم بها آدم عليه السلام أبو البشرية لكنها على صورة الله في الخلق، فيقول: **(خلق الله آدم على صورته)**[2]، وفي حديث آخر

---

[1] سفير أحمد الجواد، المسلمون وحوار الحضارات، دار العصماء، دمشق، سوريا، (ط1)، 2016، ص264.

[2] أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، برقم:6227.

يأمر الناس أن يتقوا الوجه في القتال لأن الله خلق آدم على صورته[1]، فالإسلام يثبت أن صورة الإنسان على صورة الله وهذا تشريف وتقديس للإنسان، إذ أوضح بجلاء وحدة الأصل و النوع الإنساني**{كلكم لآدم وآدم من تراب}**[2] .

فمنطق الأديان الكتابية يتفق على وحدة النوع البشري، وبأن الإنسان على صورة واحدة لا تختلف ولا تتغير، عكس ما نجده عند بعض الأنثروبولوجيين وعلماء النفس من الغربيين أثناء تفسيرهم لسيكولوجية الأفارقة أو كما يفعل أخرون حين يصفون العرب بأن لهم أذنابا أو ذيولا أو حين يشبهونهم بالإبل[3]، وهذه التصورات العلمية الغربية الحديثة تخلق نوعا من أنواع القطيعة، وتحيي خطابات الإقصاء وكلها من مفاهيم العنف التي يسعى العالم اليوم لإخمادها، والحد منها، ووضع استراتيجيات عقلانية لنشر ثقافة الوعي .

(1) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، برقم:2612.

(2) الجواد، المسلمون وحوار الحضارات، المرجع نفسه، ص264.

(3) نفسه.

المبحث الثاني: المسلمون والآخر والعيش المشترك في ظل التعددية الدينية.

في خضم الأزمة التي يعرفها العالم الإسلامي ونعيشها اليوم، يتبادر إلى الأذهان التحديات الكثيرة التي توجهنا، وتستلزم البحث عن مخرج من هذه الأزمة العصيبة التي تساهم بشكل مباشر في استمرار السقوط الحضاري، والتخلف الذي يعصف بمستقبل المسلمين في ظل التطور الذي يشهده العالم.

لا شك أن مساحة العالم الإسلامي كبيرة جدا، تمتد من مشارق الأرض إلى مغاربها، لذلك شكل الدين الإسلامي منذ ظهوره مشكلة لأوروبا المسيحية التي نظرت إلى المؤمنين كأنهم أعداء يقفون على حدودها وكانت الجيوش تحارب باسم أول إمبراطورية إسلامية وهي الخلافة قد توسعت حتى بلغت قلب العالم المسيحي[1]، فاحتك المسلمون بالعديد من أصحاب الديانات الكتابية وغيرها، وعلى رأسهم (اليهود والنصارى)، بداية بالمدينة التي أسسها النبي ﷺ ومرورا بالشام ومصر وصولا إلى المغرب وبلاد الأندلس وغيرها من الأمصار و المناطق التي مزجت بين المعتقدات الدينية المختلفة.

المطلب الأول: المسلمون والآخر وأسس العيش المشترك.

عاش المسلمون مع غيرهم طيلة قرون من الزمن، في أماكن مختلفة، وشكلوا مع بعضهم مجتمعا موحدا يتسم بالتعايش السلمي ويسوده الاحترام المتبادل، بفضل **مجموعة** من القوانين لضبط العلاقات في المجتمع الإسلامي بين المسلمين أنفسهم وبين غيرهم من أهل الكتاب وأتباع الديانات الأخرى[2]، فكانت مرجعية التعامل مع الآخر في المجتمع الإسلامي هذه القوانين والبنود المقدسة، **فلا يقبل من مسلم أن يتجاوز هذه القوانين التي**

---

[1] ألبرت حوراني، الإسلام في الفكر الأوروبي، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، (ط1)، 1994، ص17.

[2] إبراهيم صقر إسماعيل الزعيم، التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس، دار إي، لندن، (ط1)، 2019، ص27.

خط خطوطها العريضة القرآن الكريم وحددت بالسنة النبوية معالمها الدقيقة[1]، ومن يتجاوز هذه القوانين ويخل بالعيش المشترك ومبادئ التعايش السلمي مع الآخر، فإنه يزعزع استقرار المجتمع الإسلامي ويفتح بابا للفوضى والفساد.

أولا: صورة الإسلام عند الآخر.

يحمل الآخر اليوم صورتين عن الإسلام والمسلمين ومجتمعاتهم التي يعيشون فيها والفكر الإسلامي بوجه خاص، فالصورة الأولى تتسم بالخوف والحذر والريبة من المسلمين، بوصف دينهم بالعنيف والمتطرف، ولا شك أن هذا الوضع هوما ولد القطيعة درئاً للمفاسد التي ستحصل عن التقارب معهم، ففي نظرهم أن الانغلاق عن الآخر هي ميزة المسلمين الشائعة والمعلومة بالضرورة.

ومن المتعارف عليه أن هذه الصورة السلبية متوارثة تلقائيا عن أعيانهم ومفكريهم خاصة من غلاة المستشرقين وبعض القساوسة ورجال الفكر الديني المتطرفين، فهي صورة تشيّع مختلف أوصاف ومدلولات العنف عن المسلمين، وتصفهم بمختلف الأعمال الوحشية، التي تتنافى تماما مع قيم الإنسانية، فهم يعتقدون أنه إذا قام الحكم الإسلامي فسيذبحهم المسلمون[2]، ويمثلون بجثثهم ويغتصبون نساءهم وغيرها من الأعمال الهمجية التي تبعث نوعا من أنواع الحيطة من المسلمين والخوف منهم، وهذا أبرز سبب ولد القطيعة مع المسلمين.

وقد أسس لهذه القطيعة الذين يجهلون حقيقة الإسلام، ويروجون للأفكار التي تتسم بالعدوانية والتطرف في وصف الإسلام والمسلمين، والأغرب من ذلك يؤكدونها في كتبهم ومنشوراتهم دون تمثيل أو بيان أو دليل يذكر، ينقل المستشرق الألماني **كارل بروكلمان**

---

[1] نفسه، ص27.

[2] محمد موسى الشريف، التقارب والتعايش مع غير المسلمين، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2003، ص38.

في كتابه **تاريخ الشعوب الإسلامية** كلاما خطيرا عن المسلمين وأقدس واجباتهم اتجاه الآخر دون مراعاة تحديد صنف المحارب والمسالم من الآخر فيقول: **(يتحتم على المسلم أن يعلن غير المسلمين بالعداوة حيث وجدهم لأن محاربة غير المسلمين واجب ديني فأما أهل الوثنية فيجب أن يهاجموا في غير ما تردد وأما النصارى واليهود فلا تجوز مهاجمتهم إلا بعد أن يدعوا دخول في الإسلام)**[1].

وهنا أخلط بروكلمان بين مسألتين مهمتين في الفكر الإسلامي في تحديد المعني بالقتال والمستثنى منه، بين المعاهد المستأمن والمحارب المسلح، فالأول يعتبر من أهل الذمة و الثاني حمل السلاح على المسلمين، فالثاني يكون الرد عليه بالمثل، أما الأول فله حقوق في المجتمع الإسلامي بل تراعى هذه الحقوق، وليس هذا وحسب فله مكانة معتبرة حرص الإسلام على الحفاظ عليها ونصح النبي ﷺ المسلمين باحترام بنود ونصوص الحقوق التي أقرها الإسلام.

إن وصف الإسلام بمثل هذه الأوصاف التي لا تتطابق مع حقيقته ليس بالجديد فمقولة "**انتشار الإسلام بالسيف**" رددها الغرب كثيرا وسودوا بها صفحات كتبهم **ففريديريك موريس** يرى **أن الإسلام لم يكن يصادف نجاحا إلا عندما كان يهدف إلى الغزو والحروب والمعارك**[2]، فرسالة الإسلام حسبه كانت دموية لا أكثر ولا أقل فلا مجال للتسامح في دين الإسلام على حسب رأيه.

أما المونسنيور **كولي** فيرى أن الإسلام دين عنف وقام بالسيف وقام على أشد أنواع التعصب، ويؤكد في زعمه أن محمد وضع السيف في أيدي الذين اتبعوه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق وسمح لأتباعه في الفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات وما يزيد من غرابة أقوال هؤلاء أنهم يصفون **أتباع المسيح من**

---

[1] كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط5)، 1968، ص ص78-79.

[2] أنظر، شوقي أبو خليل، أطلس انتشار الإسلام، دار الفكر، دمشق، سوريا، (ط1)، 2011، ص5.

الفاتحين أنهم ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم[1]**،حتى البابا بنديكتس هاجم الإسلام واصفا إياه بدين العنف**[2]**،** فالمتهم الأساسي بالعنف في المرحلة الراهنة هو الإسلام بلا ريب، نقلا من المغالطات التي ينتهجها هؤلاء عمدا لتشويه صورة المسلمين، ولإبقائهم في سقوطهم الحضاري، وهذه صورة من جانب أو من منظور تشاؤمي وسلبي.

وأما الصورة الثانية عن الإسلام فكانت إيجابية تبعث السكينة من شهادة البعض من رواد الفكر الغربي وبعض المستشرقين والباباوات والقساوسة على عدل وتسامح الإسلام وقد سبق الحديث عن ذلك في مطلب سابق.

ثانيا: التأسيس القرآني للعيش المشترك.

القرآن الكريم هو مرجعية العيش المشترك للمسلمين، وهو المَعلَم الأول الذي ينظّر لبناء المجتمعات الإسلامية بمعية الآخر اللا مسلم وفق أسس منظمة تستند على آيات محكمة غير قابلة للتأويل أو الإبطال، أو الحجب وفق الأهواء مثلما عليه الحال مع باقي الديانات.

النقطة التي ينطلق منها النبي في دعوته لتبليغ القرآن الكريم مستخلصة مما جاء في قوله ﷺ: **(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)**[3] والعيش المشترك في ظل التعدد الديني والاختلاف العقدي، فهذا من بين الأمور المهمة التي جاء بها القرآن الكريم، فهو يعتبر

---

(1) نفسه، ص ص5-6

(2) نفسه، ص6.

(3) أخرجه أحمد، مسند أبي هريرة، برقم8952، وفي الحديث الذي أخرجه البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه لما أرسل أخاه ليستطلع عن النبي، فلما سمع أخوه كلام النبي ﷺ وقوله، عاد إليه فقال له رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، برقم:3861.

المرجعية الأولى للنبي والمسلمين فهو وحي مصدق ومتمم ومكمل للوحي السابق عليه وللمعرفة البشرية قديمها وحديثها[1].

القرآن الكريم يؤكد على ضرورة الحفاظ على نسق العيش المشترك من خلال التعامل مع المهادن والمعاهد والذمي الذي لم يجرم في حق المسلمين، أو في أرض الإسلام، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾{ الممتحنة : 7- 8 }.

والمودة هي ما يحفظ استقرار وأمن المجتمع الواحد، مجتمع يسوده الاحترام للأقليات ويحترم عقيدة الآخر، دون عنف أو إذاية، لأنّ الإسلام دين سلام وعقيدة حب ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله وأن يقيم فيه منهجه وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين وليس هنالك عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله فأما إذا سالموهم فليس الإسلام يرغب في الخصومة ولا متطوع بها[2].

فمن شيم الإسلام هو المحافظة على الروابط الاجتماعية التي تأسس من أجلها المجتمع فيحرص على استمرارها دون إكراه أو مساومة للآخر في معتقده أو دينه أو دير عبادته فالمرجعية القرآنية تحفظ المشترك الديني وتؤسس له عبر خطاب يعترف بالآخر المخالف دينيا، يمد له يد التعاون والتآخي وهذا ما يتيح لأتباع جميع الرسائل السماوية أن تتعاون في بناء المشترك الإنساني[3]، فجميع الناس يشتركون في نفس الأصل فلا

---

[1] أحمد الفراك، المسلمون والغرب والتأسيس القرآني للمشترك الإنساني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، (ط1)، 2021، ص41.

[2] سيد قطب، المصدر نفسه، (مج6)، ص3544.

[3] الفراك، المرجع نفسه، ص42.

يتمايزون في أي شيء ما عدا بعض التفاوت في المال وربما في القوة والذكاء في أغلب الأحيان.

وهذا لا يكون مانعا لتأسيس المجتمع الواحد مع التعددية الدينية والعقدية وحتي الثقافية حسب القرآن الكريم، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣**﴾{ **الحجرات: 13**}، فالله يذكر في القرآن الكريم بأصلهم مهما اختلفت ألوانهم وتعددت أجناسهم وتميزت ثقافاتهم وتباينت عقائدهم وديانتهم فإنهم يرجعون إلى الأصل الأول وهو آدم عليه السلام، ففي هذا النص القرآني، يدعوا الله الناس ويناديهم **(يا أيها الناس يا أيها المختلفون أجناسا و ألوانا المتفرقون شعوبا و قبائل إنكم من أصل واحد فلا تختلفوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بددا)**[1].

فالتعارف يبني مجتمعا واحد مستقيما منظما متفاهما، متراحم أهله، والاختلاف يسبب الحروب والمهالك، ويقضي على أمل الناس في السكينة والأمن، ونداء الله في القرآن الكريم يذكر به الناس جميعا من ذكر وأنثى وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوبا و قبائل، إنها ليس للتناحر والخصام إنما هي للتعارف والوئام فأما اختلاف الألسنة والألوان واختلاف الطبائع والأخلاق واختلاف المواهب والاستعدادات فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات[2].

فالتأسيس القرآني قائم على التعارف والتقارب بين الشعوب المختلفة في المجتمع الواحد ولا سبيل آخر من أجل إقامة المجتمع، بلا خلافات وبلا منازعات وبلا حروب ومطاعن أو العادات الجاهلية التي كانت سائدة من قبل بسبب الثأر لأسباب بسيطة لا تستدعي التنافر أو القطيعة، لذا حرص الإسلام على تنفيذ ما هو موجود في القرآن على

(1) سيد قطب، المصدر نفسه، (مج6)، ص3348.

(2) نفسه.

تصحيح الوضع أفضل مما كان عليه و ذلك بتأسيس قوي جدا للعيش المشترك مع ظروف التعايش السلمي والأمن بين الناس جميعا.

ثالثا: التأسيس النبوي للعيش المشترك بين المسلمين والآخر.

آمن الرسول بمسألة التعايش بين الأديان في أول مراحل دعوته، نظرا للمشتركات الأساسية التي كانت موجودة بين المسلمين والآخر من أهل الكتاب منها المعبود الأول وهو الله، فلذلك كان المسلمون يرون أن الآخر أقرب إلى الحق، ما زاد ذلك من التقارب بينهم، فأبو بكر كان يراهن المشركين على انتصار الروم على فارس، لأنه يرى أن الروم أقرب للمسلمين من فارس[1]، فالمودة محفوظة لهم من قبل لقرب المشتركات الدينية الأساسية و لقربهم من الحق.

أما أول عيش مشترك في تاريخ الإسلام بين المسلمين والآخر كان على أرض الحبشة المسيحية، التي قبلت المسلمين وأعطتهم الأمان، وتمتعوا فيها بكامل حريتهم وإرادتهم ومارسوا هناك شعائرهم رغم اختلافها مع الشعائر الدينية لسكان الحبشة المتسامحين والعدول.

فالنبي ﷺ لما أحس بازدياد الخطر على أتباعه من المستضعفين ممن آمن معه واتّبعه، ولما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملك لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة في الإسلام إلى أرض مسيحية[2]

---

(1) أُنظر، السمعاني، المصدر نفسه، مج 4، ص196.

(2) عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، (مج1)، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، (ط1)، 1995، ص408.

تختلف معتقداتهم عن معتقدات المسلمين، وكذلك اللغة واللون، لكن هؤلاء قبلوا بالتعددية الدينية والثقافية وفتحوا مجالا للعيش المشترك مع المسلمين دون أي اعتبارات أو حسابات تدعوا للتناحر أو التباعد.

تتجلى قيم التسامح في تأسيس النبي للعيش المشترك في المدينة بعد الهجرة إليها مباشرة، علما أنها كانت مجتمعا كبيرا لها بطون كثيرة ومتشعبة، وتحتوي على الكثير من الطوائف الدينية أكثرها اليهود من أهل الكتاب، والقليل من النصارى، لكن الوضع الذي كان عليه سكان يثرب، أشبه ما يكون بالبركان الذي يثور تلقائيا ولأتفه الأسباب فيثرب كانت **(تتكون من عناصر متفاوتة وانتماءات مختلفة وطوائف شتى وتاريخ مشوب بالتوترات والحروب القديمة)**[1].

والثأر هو السمة الغالبة التي طغت على معاملات أهالي المدينة، حرب أهلية بين الأوس والخزرج وطوائف من يهود بني عوف وبني جشم وبني ساعدة وبني ثعلبة وبني النجار وبني الحارث وبني الشطيبة، واليهود الأصليين من بني قريظة والنضير وقينقاع ولحق بهم في مجتمع المدينة المهاجرون الجدد من أصحاب النبي ﷺ، فسياسة النبي كانت معقولة وحكيمة جدا في التعامل مع الوضع لتحقيق العيش المشترك السلس البعيد عن حروب الماضي.

وبلا شك أن هذا التنوع العقدي والثقافي والعرقي الذي واجهه النبي ﷺ كان من الطبيعي أن يضعه أمام إحدى خيارين لا ثالث لهما: إما التعارف على ما اتفقوا عليه واشتركوا فيه بينهم، ليضمنوا عيشا مشتركا هادئا، وإما التصادم والتناحر، وفرض

(1) السرجاني راغب، المشترك الإنساني، المرجع نفسه، ص612.

السيطرة بالقوة والدم[1]، ولا يمكن أن يتحقق العيش المشترك في ظل الصراعات القديمة التي تسطر ملامح المستقبل الدموي بأي شكل من الأشكال.

إنّ الوضع الذي كانت عليه يثرب من قبل الهجرة النبوية لم يكن يبشر بالخير، فبدا أنه يستحيل أن يقام هناك مجتمع جديد للمسلمين، فما تركه المسلمون من ورائهم يفوقه الوضع الجديد خطورة بسبب العلاقات المتوترة، والجو السائد فيه، إلا أن النبي ﷺ **(وثق من رسوخ قواعد المجتمع الإسلامي الجديد بإقامة الوحدة العقائدية والسياسية والنظامية بين المسلمين)[2].**

ونقصد الأوس و الخزرج المتناحرين، في البداية ،فأزاح كل ما كان من حزازات الجاهلية والنزعات القبلية فلم يترك مجالا أو مدخلا لاتباع تقاليد الجاهلية السابقة[3]، التي أدخلت الناس في دوامة من الصدامات الدموية، والمواجهات العنيفة الدائمة ، ثم رأى أن يقوم بتنظيم علاقاته بغير المسلمين وكان همه في ذلك هو توفير الأمن و السلام والسعادة والخير للبشرية جمعاء مع تنظيم المنطقة في وفاق واحد فسن في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تعهد في عالم مليء بالتعصب والتعالي[4].

وهذا النظام الذي استشرفه النبي ذو أبعاد متنوعة لتحقيق أسمى الغايات ، فصاغ دستورا إسلاميا عالميا عرف بــ" **دستور المدينة** "[5]من أجل تأسيس مجتمع مدني متعارف سعيا منه ﷺ لتحقيق مبادئ العيش المشترك في ظل التعددية الدينية والثقافية فلم يتردد النبي أبدا **(في أن يسلك سبيل التعارف والاتفاق من أجل تحقيق المصلحة المشتركة**

---

(1) نفسه.

(2) صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم، دار الأوقاف و الشؤون الإسلامية، قطر، (ط1)، 2007، ص188.

(3) نفسه، ص187.

(4) نفسه، ص192.

(5) أُنظر، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمع محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، لبنان، (ط6)، 1987، ص، ص59-61.

التي يبتغيها الجميع)[1] بهذا الدستور العظيم الذي **(اشتهر في مصادر التاريخ الإسلامي بـــ" الصحيفة أو الكتاب " نجد مواد هذا الدستور تبلغ اثنين وخمسين مادة)**[2] كلها تنظمية اجتماعية تخص المعاملات وهو الأساس الذي حرص عليه النبي لتجاوز الأحقاد الماضية.

بالنسبة للآخر **(اليهود)** بما أنهم أكثر أهل الكتاب ويمثلون النسبة الغالبة، نجد الحديث فيه عنهم في **(أربع عشرة مادة وفي هذه المواد تقنين لدمج اليهود في رعية الدولة واعتبارهم أمة مع المؤمنين – المهاجرين والأنصار– وتقنين المساواة بينهم وبين المؤمنين في الحقوق والواجبات مع تقنين حقهم الكامل في الاعتقاد الديني الذي يختلفون فيه مع الإسلام والمسلمين)**[3]، بهذا الدستور الذي يقر الحريات المختلفة للآخر دون ضغط أو إكراه.

بل ويجعل الآخر يشعر بالراحة النفسية التي تفتح له فضاءً واسعا يمارس فيه طقوس عبادته ، ويتصرف وفق مشيئته دون إرادة خارجة عنه، تتحكم فيما يعتقد أو يؤمن به، **(بهذه الحكمة و بهذه الحذاقة أرسى الرسول ﷺ قواعد مجتمع جديد)**[4]، له معالم حضارية وعالمية، بإشراف النبي ﷺ المؤسس الأول لدولة الإسلام والمجتمع الجديد المتفتح الذي يقبل الجميع.

إنّ نجاح النبي في حقن الدماء وإرساء قيم التسامح في المدينة كان **بهذه الصفحة الشديدة الإشراق والتألق فتح الإسلام كتاب العلاقة مع الآخر اليهودي عندما قننت الدولة الإسلامية الحرية الدينية و التعددية الدينية والمساواة في حقوق المواطنة في داخل الأمة**

(1) السرجاني، المشترك الإنساني، المرجع نفسه، ص612.

(2) محمد عمارة، الإسلام والآخر من يعترف بمن؟. ومن ينكر من؟، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، (د ت)، ص27.

(3) عمارة، المرجع نفسه، ص27.

(4) المباركفوري، المرجع نفسه، ص188.

الواحدة والدولة الواحدة(1)، وهكذا سلك النبي بحكمته ونجاعة فكره طريقا جديدا، يجمع فيه شتات الماضي الأليم، وأنسى الناس تراكمات لطالما باعدت بين الإخوة، وجعلت من الإنسانية منسية ومسكوت عنها.

المطلب الثاني: واقع الآخر في المجتمع الإسلامي (الحقوق والواجبات).

بعد تقنين النبي ﷺ لميثاق وصحيفة المدينة في السنة 1 هـ، تعهد المسلمون بالتطبيق الكلي لبنود هذه الوثيقة النبوية عملا بقوله تعالى : ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ**﴾{**الحشر:7**}، فأُلزموا بتطبيق محتواها الذي ينظم بشكل أساسي العلاقات بين الأفراد وبالأخص أهل الكتاب الذين يتشاركون معهم نفس المدينة ويتقاسمون معهم الحياة الاجتماعية بما فيها الخصائص الثقافية، كاللغة والتقاليد العامة والتجارة والمعاملات والأنشطة الاقتصادية المختلفة، فصار بذلك الآخر جزء لا يتجزأ من المجتمع الإسلامي، فاصطلح عليهم أهل الذمة في الفكر الإسلامي، كما حدد لهم النبي ﷺ حقوقا وواجبات، فصار هؤلاء مواطنين بنفس قيمة المسلمين.

أولاً: فلسفة التسامح الإسلامية في التعامل مع الآخر في المجتمع الإسلامي.

يختلف مفهوم الدولة الإسلامية عن مفهوم الدولة الحديثة، ذات الحكم الملكي أو الديمقراطي، أو سلطة الحكم الفردي المطلق، فدولة الإسلام تقوم على مبادئ الشريعة التي يؤمن بها المسلمون بعقد التزام يبدأ بالشهادة، وينطوي تحت ظلها قسمين من المواطنين القسم المؤمن بهذه المبادئ، والقسم الثاني غير المؤمن بهذه المبادئ، وهم الآخر غير المسلم، أو ما يصطلح عليهم بأهل الذمة أو الذميون.

إنّ مصطلح الذمة يفسر وضع صاحبه في مجتمع الإسلام من خلال مدلولات المعنى، فالذمة في اللغة هي **الأمان**[1] **والعهد والضمان**(2)، وكلها تتفق على معنى واحد

(1) عمارة، المرجع نفسه، ص28.

وهو السلم والسلام و(**أهل الذمة هم المعاهدون من النصارى واليهود و غيرهم ممن يقيم في دار الإسلام و قد جاء في الحديث "يسعى بذمتهم أدناهم" وفسر الفقهاء ذمتهم بمعنى الأمان)**[3]، ويتحقق شرط عقد الذمة في الإسلام بدفع الجزية والتزام الأحكام التنظيمية للمجتمع الإسلامي في الجملة[4].

فإن فعلوا (**يصير غير المسلم في ذمة المسلمين أي في عهدهم وأمانهم على وجه التأييد وله الإقامة في دار الإسلام على وجه الدوام)**[5] فيصبح فردا من المسلمين في مجتمعهم تجب له النصرة والتأييد والمساعدة ويسري هذا العقد على الشخص الذي عقده مادام حيا و على ذريته من بعده[6]، وهذا الامتياز يمتع به في دولة الإسلام أهل الكتاب من اليهود و المسيحيين وغيرهم من المجوس والسامريين والصابئة[7] .

فلسفة الإسلام في التعامل مع الآخر في المجتمع الواحد (**يتجاوز الهبوط في العلاقات البشرية إلى حضيض الفئويات الضيقة العشيرة والقبيلة فهو يفتح الطريق لكل صيغ و أشكال المشترك العام مع الغير)**[8] وبمختلف توجهاتهم الأيديولوجية والدينية ويتحدد ذلك من خلال كيفية التعامل وطريقة التواصل والتعامل، بعدم تمييز المسلمين عليهم في الحقوق والواجبات بل واجبات المسلمين كانت أكثر من واجبات هؤلاء، وله حرمة تقتضي الحفاظ عليها بكل ما أوتي المسلمون من قوة، ففي غزو التتار لبلاد

---

[1] زيدان عبد الكريم، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (ط1)، 1982، ص22.

(2) الخربوطلي علي حسن، الإسلام وأهل الذمة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، مصر، (ط1)، 1969، ص65.

(3) زيدان، المرجع نفسه، ص22.

(4) اُنظر، فقه السنة، لسيد سابق، (مج3)، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، مصر، (ط2)، 1999، ص403.

(5) زيدان، المرجع نفسه، ص22.

(6) سيد سابق ، المرجع نفسه، مج 3، ص403.

(7) الخربوطلي، المرجع نفسه، ص65.

(8) برهان رزيق، الوطن في الإسلام، دار الأنصار، دمشق، سوريا، (ط1)، 1997 ، ص41.

المسلمين في عهد الخلافة الإسلامية العباسية وقع في الأسر مجموعة من الذميين مع المسلمين فأحد علماء دمشق[1] **رفض ترك الأسرى من غير المسلمين عند التتار وأنقذهم مع الأسرى المسلمين لأنهم ذمة في أعناقنا)**[2]، وهذه من بين الأسباب في بقاء أهل الذمة مع المسلمين في مجتمع واحد، لأنهم عرفوا معنى الوطن ومالهم من قيمة.

وتدرك قيمتهم المعتبرة ومنزلتهم الجليلة من خلال وضعيتهم أثناء عصر الفتنة الكبرى، فبعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، الكل يعلم أن العنف بلغ أوجه في تلك المرحلة، لكن أهل الذمة عوملوا بتسامح ليس له مثيل إطلاقا، ففي قصة مقتل الصحابي عبد الله بن خباب رضي الله عنه من طرف الخوارج، وهم أكبر الفرق الإسلامية تطرفا وعنفا في تاريخ الإسلام والمسلمين، لارتكابهم المجازر المروعة والمقاتل الفظيعة.

فبعد أن قادوا هذا الصحابي بيده فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيرا لبعض أهل الذمة فضربه بعضهم بسيفه شق جلده فقال له آخر: لم فعلت هذا وهو لذمي؟ فذهب لذلك الذمي فاستحله وأرضاه وبينما هو معهم إذ سقطت تمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها في فمه فقال له آخر: بغير إذن لا ثمن؟ فألقاها ذاك من فمه ومع ذلك قدموا عبد الله بن خباب فذبحوه[3]، ففي هذه القصة تلمس موقفين يمثلان جدلية للعنف والتطرف مع الرفق والتسامح، ولا شك أنّ التسامح مثله موقف الخوارج مع أهل الذمة وهذا يدل على حرص جميع المسلمين بمن فيهم المتطرفين منهم، بالعمل بميثاق الرسول وعهده معهم وهي ما تمثل أحد أرق أوجه التعامل مع الآخر.

إن فلسفة الإسلام في التعامل مع الآخر التي انتهجها النبي ﷺ قد أعطت ثمارها على مر السنين، فكان يطيب خاطر الآخر بمجرد علمه أن **الإسلام ينظر إلى الأديان**

---

(1) هو العالم تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي البغدادي.

(2) شوقي أبو خليل، أطلس انتشار الإسلام، المرجع نفسه، ص11.

(3) اسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، (مج4)، المصدر نفسه، ص369.

الأخرى نظرة تسامح فقد سمى اليهود و النصارى أهل كتاب وأهل ذمة وهما تسميتان رقيقتان[1]، علما أن حكمهم في أصول الفقه والفقه الأكبر هو الكفر، لكن الدين يمنع مجاهرتهم بذلك الحكم حفاظا على منزلتهم واستقرار المجتمع، وللمشترك الديني كذلك فيما يتعلق بأنبيائهم لأن الإسلام يعترف بنبوة الأنبياء السابقين[2]، وكان المسلمون يعودون إليهم في بعض الاستشارات والمسائل الدينية، المتعلقة بالكتب المقدسة .

ثانيا: خصوصية الحقوق الدينية للذميين في التطبيق الإسلامي.

عندما نتحدث عن حقوق الآخر أو أهل الذمة في بلاد المسلمين، فلا يمكننا التفريق بينهم وبين المسلمين فكقاعدة عامة نجد **أن الذميين كالمسلمين في الحقوق والواجبات**[3]، بلا زيادة ولا نقصان، أو انتقاص أو تفريط في تلك الحقوق، فلذلك نلمس أن لهم خصوصية حقيقية قررها الدين، منها ما تعلق بالحقوق الفردية والجماعية للذميين والمستأمنين في أرض الإسلام، فمن الحقوق الدينية نجد أن الذميين لديهم حرية مطلقة في الاعتقاد والإيمان بما يرون في دياناتهم[4].

وذلك أن شرعنا المطهر وضع قواعد لمعاملتهم لم ترق إليها قوانينهم في التعامل مع الأقليات المسلمة حتى الآن وذلك نحو حقهم في اختيار العقيدة التي يريدون[5]، بموجب العهد الوثيق المبرم بينهم وبين المسلمين بلا إكراه وبلا ضغط عليهم، فتحترم شعائرهم ودير عبادتهم من كنائس ومعابد دون عدوان أو اعتداء، فلا يتدخل المسلمون مهما كانوا في شؤون طقوسهم الدينية فقد أعطى الإسلام الذميين حرية التفكير والاعتقاد فأباح لهم إقامة شعائرهم وإعلان طقوسهم في بيعهم وكنائسهم كما أباح لهم الجهر بها في أحيائهم

---

(1) الخربوطلي، المرجع نفسه، ص95.

(2) نفسه، ص95.

(3) زيدان، المرجع نفسه، ص71.

(4) أُنظر، شوقي ابو خليل، أطلس انتشار الاسلام، المرجع نفسه، ص11.

(5) الشريف، المرجع نفسه، ص42.

ومحلاتهم وأقرهم على اتباع أحكام دينهم فيما ينشأ بينهم من معاملات ومرافعات[1]، فبلا شك أنها لا تشبه شعائر المسلمين في الغالب خاصة ما تعلق بأعياد الميلاد والقدّاس ومختلف الأعياد المقدسة وغيرها، فتعتبر مسائل خاصة بهم وفضاء يمارس فيه الذمي حريته في التعبد.

ومن أهم حقوق كذلك حق الأمن والحماية من طرف المسلمين بما أنهم مواطنين مع المسلمين كما تنص على ذلك الصحيفة[2]، فينصرون في جميع الأحوال، ويرد المسلمون الصائل والمعتدي عليهم مهما كان انتماؤه، فلقد حقق لهم الإسلام الانتصاف الكامل ممن أرادهم بسوء في نفس أو مال حتى ولو كان الذي اعتدى عليهم مسلما فأوجب القصاص عند الاعتداء على النفوس وأوجب الدية في قتلهم خطأ وأثبت ضمان المال أو رده عند الغضب أو الاتلاف كما كفل الاسلام لهم حمايتهم من الاعتداء الخارجي حتى يلزم الامام شرعا أن ينقذ من أسر منهم حق إذا ما عجز ردت الجزية إليهم لأنهم ما دفعوها إلا لذلك[3].

فأمنهم من أمن المسلمين وسلامتهم من سلامتهم، فلا يختلفون في الرعاية عن المسلمين في شيء، فحقوقهم من أقدس واجبات المسلمين فلو نلاحظ **(ما كتب أهل ذمة العراق لأمير المسلمين ما نصه :" إنا قد أدينا الجزية التي عاهدنا عليها خالد على أن يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم ")**[4] نفهم أن حقوقهم من أعلى واجبات حكام المسلمين وعامتهم، و هذا ما أوصى به النبي ﷺ **في قوله:" إنكم ستفتحون أرضا**

---

[1] بدران أبو العينين بدران، العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، (ط1)، 1984، ص16.

[2] اُنظر، الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، جمع محمد حميد الله، المصدر نفسه، ص، ص 59-61.

[3] بدران، المرجع نفسه، ص ص16-17.

[4] نفسه، ص17.

يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما"[(1)] فمن حديث النبي يمكن اعتبار ذلك أمرا نبويا صريحا، وهذا ما عمل به صحابة النبي ﷺ من بعده فعمر بن الخطاب يقول :**(أوصي الخليفة من بعدي بذمة الله وذمة رسول الله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم)**[(2)]، فجرت العادة على ذلك الأمر في الدول الإسلامية وهو ما يؤكده الخليفة الرابع علي بن أبي طالب **(انما قبلوا الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا)**[(3)] فلا تفريق بينهم وبين المسلمين، فهم كذلك من الرعية، يسهر الحكام على تلبية جميع حقوقهم دون تهاون.

كما كفل الإسلام **(حقهم في العمل وكسب الرزق وكفالة المعيشة ومجموعة من الحقوق الاجتماعية نحو عيادة مرضاهم وحضور جنائزهم وإباحة طعامهم وإباحة التزوج من نسائهم)**[(4)]وهي حقوق فردية وجماعية لأهل الذمة لكي لا يجد حرجا يجعله يحس كأنه غير مرغوب فيه أو مهمش، وهذه الحقوق تبين مدى تمسك الشرع بتوطيد العلاقات مع الآخر، وسعيه للمحافظة على تماسك المجتمع المبني على التعددية الدينية والثقافية ،**(أيضا منحهم الاسلام حق السكن والاقامة في أي بلاد من بلاد المسلمين)**[(5)].

فلا يلزم الذمي بمكان واحد أو يمنع من السفر ما عدا مكة في اتفاق أهل الفقه من المذاهب الأربعة، كما لهم **(أن يزوجوا للمسلمين وأحلّ للمسلمين أكل ذبائحهم وأجرى التوارث فيما بينهم)**[(6)]، لتبقى أموالهم مع عيالهم وأهلهم، فمن كان غنيا منهم احترم الإسلام وضعيته في المجتمع ومن كان فقيرا يكفل حقوقه المالية بيت مال المسلمين مثلما

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، برقم:2534

(2) الجواد سفير أحمد، ظاهرة التطرف الديني الواقع والتطبيق، دار العصماء، دمشق، سوريا، (ط1)، 2014، ص401.

(3) زيدان، المرجع نفسه ص70.

(4) الشريف، المرجع نفسه، ص42.

(5) بدران، المرجع نفسه ، ص17.

(6) نفسه.

فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الشيخ اليهودي الضرير الذي وجده يتسول **(فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودي ، فقال: فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى فرضخ له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال : انظر وضرباءه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذ له عند الهرم "إنما الصدقات للفقراء والمساكين" والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب ووضع عنه الجزية وعن ضربائه)**[1] فصار هذا الحق مفعلا منذ خلافة عمر بن الخطاب وجرت عليه العادة مع باقي الأمراء والأولياء من بعده.

وللذمي الحق في تولي الوظائف في الدولة الاسلامية ما عدا بعض الوظائف المرتبطة بدين الاسلام ارتباطا وثيقا كالقضاء والخلافة والحسبة أما الطب والترجمة والتعليم والفلاحة والتجارة وغيرها فهي متاحة لجميع الذميين[2]، وتطور الحال منذ المرحلة النبوية لما بعدها في باقي الخلافات الإسلامية والمجتمعات، فتحقق معنى المواطنة الحقيقية للآخر في ظل الحكم الإسلامي.

ثالثا: واجبات الآخر في المجتمع الإسلامي – الجزية أنموذجا –.

تعتبر الجزية من أقدس الواجبات التي يقوم بها الآخر في دولة الإسلام ، فهي ثاني أهم مصدر تموين رئيسي للمعاملات المالية بين الدولة والرعية بعد الزكاة من طرف المسلمين من أجل انعاش بيت مال المسلمين، وقد فرض الإسلام الجزية على الذميين في مقابل فرض الزكاة على المسلمين حتى يتساوى الفريقان لأن المسلمين والذميين يستضلون

---

(1) القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم، كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1979، ص126.

(2) أُنظر زيدان، المرجع نفسه ص، ص78-82.

براية واحدة ويتمتعون بجميع الحقوق ويتمتعون بمرافق الدولة بنسبة واحدة[1]، دون تمييز أو تحيز لطائفة دون الأخرى.

والجزية هي عبارة عن المال الذي يعقد للكتابي لأمنه واستقراره تحت حكم الإسلام وصونه[2]، وهي بمثابة الضرائب اليوم التي تقيم اقتصاد الدول والحكومات وتقوي شوكتهم، فبها تدفع نفقات الجيش الذي يحميها من سلاح ورواتب وغيرها، ومن دونها يضطرب الاقتصاد ويتلاشى وتستهدف الدولة، ويصبح أمن واستقرار المسلمين والذميين معا مهددا، فهي ليست عقوبة لهم لأنهم لم يدخلوا في الإسلام كما يروج له دعاة القطيعة من مستشرقين ومتطرفي الفكر الديني[3]، إذا فأخذ الجزية من غير المسلمين مشهور ثابت في الإسلام[4]ويعتبر من واجباتهم.

وحتّى في أخذ الجزية تتجلى قيم الرحمة والتسامح الإسلامي في الشروط التي وضعها الشرع الإسلامي في من تؤخذ منهم، فمن بين هذه الشروط التي وضعها الشرع واستقر عليها الأمر وأجمعت عليها الأمة هي **(الذكورة، التكليف، الحرية)**[5] فلا تؤخذ من العبد أو الأنثى أو الطفل الذي لم يبلغ الحلم أو المجانين[6]، وهي مقدار معين يراعى فيه الظروف المالية لدافعها، قال القاضي أبو يوسف : **(إنما تجب الجزية على الرجال منهم دون النساء والصبيان: على الموسر ثمانية وأربعون درهما وعلى الوسط أربعة وعشرون وعلى المحتاج الحراث العامل بيده اثنا عشر درهما يؤخذ ذلك منهم في كل سنة)**[7].

---

(1) سيد سابق، المرجع نفسه، مج3، ص405.

(2) زيدان، المرجع نفسه، ص138.

(3) اُنظر الخربوطلي، المرجع نفسه، ص67.

(4) عبد الكريم زيدان، المرجع نفسه، ص138.

(5) سيد سابق، المرجع نفسه، ص407.

(6) اُنظر، زيدان، المرجع نفسه ص، ص139–141.

(7) القاضي أبو يوسف، المصدر نفسه، ص122.

والملاحظ أن قيمة الجزية أقل بكثير مما يدفعه المسلمون لبيت المال، حتى تتبين وضعية الآخر جيدا، يجب أن نراعي ما يقدمه المسلمون والآخر، فالمسلم يدفع الزكاة والصدقات والهدايا والهبات وفيء الغنائم لبيت المال بينما الآخر يدفع الجزية فقط وهي أقل من مقدار الزكاة، كما راعت الشريعة الإسلامية التفاضل بين أهل الذمة، ما بين الفقير والغني، ومن بين ملامح التسامح السامية في تعامل الإسلام مع الآخر هو مدة دفع الجزية فلم يقررها الشرع مرة في الشهر، أو كلما ربح الذمي من تجارة أو بيع إنما كانت في السنة وهذا عطفا عليهم، مثلما هو الحال مع الزكاة بالنسبة للمسلمين.

كما راعى الإسلام الحالات الخاصة التي يكون فيها عجز بالنسبة للذمي، أو علة تمنعه من الشغل، كالمرض أو الإعاقة، أو فقدان الحواس و غيرها، فرفع الإسلام الحرج عنهم، فمبادئ الشرع ليست براغماتية مادية مثلما هو الحال مع الاقتصاد العالمي أو سياسة الكثير من الدول التي تحقق المال على حساب المبادئ الإنسانية، ففي الإسلام**(لا تؤخذ الجزية من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من أعمى لا حرفة له ولا عمل ولا من ذمي يتصدق عليه ولا من مقعد)**[1]، وكذلك لا تؤخذ من رجال الدين والرهبان[2]، الذين يلازمون دير العبادة والكنائس وغيرها.

إنّ تسامح الإسلام مع الآخر في ظل القيام بواجباته الحتمية اللازمة والمفروضة يتسم بالتساهل وتتجلى فيه قيم التسامح الكبيرة التي لا تقارن بأي نظام قديم أو جديد أو دولة على وجه الارض، وهذا بشهادة المستشرق البريطاني **جرجس سال** الذي يمقت الإسلام وأهله يشير إلى وضع أهل الكتاب في مرحلة ظهور الإسلام وقبلها فيقول: **(إذا أنعمنا النظر فيما كتبه مؤرخو الكنيسة منذ القرن الثالث للميلاد ألفينا حال الأمة النصرانية لذلك العهد بعيدة جدا عما وصفها به بعض المصنفين و ذلك أنها فضلا عن أنها لم تكن**

---

(1) نفسه.

(2) اُنظر، زيدان، المرجع نفسه ص142.

مؤيدة بالنعمة الفعالة و الغيرة و التقوى ... كان رعاتها مشتغلين بالمطامع الشخصية)[1] عكس رعاة الإسلام الذين يصهرون على تحقيق المساواة في الحقوق والواجبات من أجل تفعيل العيش المشترك وتحقيق شروط المواطنة بكل المقاييس.

إن البعد الأخلاقي والاجتماعي الحاصل والمترتب من أداء الزكاة والجزية في الوطن الواحد، يتفق عليه جميع الأديان لما له نفع للبلاد والعباد وهو رأي المستشرقة الإيطالية **لورا فيشيا فاغليري** حيث تقول: **(لقد اعترفت جميع الأديان إلى حد ما بالأهمية الأخلاقية والاجتماعية الكبرى التي ينطوي عليها تقديم الصدقات وأوصت بذلك بوصفه تعبيرا حسيا عن الرحمة و سبيلا ملائما لالتماس لطف الله وكرمه)**[2]هذا من جهة الإيمان ومن جهة المجتمع و الناس بما فيهم الآخر فكل مسلم ملزم بحكم القانون بأن يخصص جزءاً من ثروته لمصلحة الفقراء والمحتاجين والمسافرين والغرباء وبأداء هذه الفريضة الدينية يختبر المؤمن حسا أعمق من الإنسانية[3]، التي يسعى الإسلام لنشرها بين الناس بمختلف توجهاتهم.

---

[1] جرجس سال، مقالة في الإسلام، ت: هاشم العربي، المطبعة الإنجليزية الأميركانية، بولاق، مصر، (ط3)، 1913، ص68.

[2] لورا فيشيا فاغليري، دفاع عن الإسلام، ت: منير البعلبكي، دار الملايين للكتب، بيروت، لبنان، (ط5)، 1981، ص72.

[3] المرجع نفسه، ص 72.

المطلب الثالث : المسلمون والاخر ومظاهر العيش المشترك والتعددية الثقافية ومكانة الآخر في المجتمع الإسلامي ودوره في ازدهار الحضارة–المرحلة العباسية أنموذجا–.

للآخر مكانة كبيرة جدا في المجتمع الإسلامي، وقد قدم على مر تاريخ الخلافة الإسلامية خدمات كبيرة لا ينكرها أحد خاصة في عهد ازدهار حضارة المسلمين، وكان هو أحد أسباب ازدهار وقيام الحضارة الإسلامية التي بلغت العالم، وأدهشت الناس جميعا في حقبتها، خاصة في فترة الخلافة العباسية، وحقبتها التي سميت في التاريخ بالعصر الذهبي.

انتقل العباسيون انتقالا نوعيا من العنف والتطرف ضد الأمويين إلى اللا عنف والعمل من أجل التفوق على الحضارة البيزنطية الذين تصدرت الطليعة لقرون من الزمن في تلك المرحلة[1]، وقد ساعدت في قيام الحضارة الإسلامية في بلاد المشرق عدة عوامل أساسية منها، مساهمات الآخر الفكرية والعلمية والفلسفية في تحقيق ذلك، وفي ميادين متعددة نذكر منها:

أولا: التعددية الثقافية في المجتمع الإسلامي.

تعتبر التعددية الثقافية أحد مميزات المجتمع الإسلامي **وهذه التعددية هي سنة كونية وآية من آيات الله**[2]، فالتفتح والانفتاح على ثقافة الآخر، والاستعانة به من أجل تطوير ظروف الحياة الاجتماعية، هي ما صنع الفرق الشاسع في الخلافة العباسية بمقارنتها مع الخلافة الأموية التي سبقتها، ولعب الآخر دورا مهما جدا في تأسيس الحضارة الإسلامية في مرحلة بني العباس، فلا شك أن **(احتكاك العرب بغيرهم من الأمم اطّلعَ العرب على**

---

[1] أُنظر، نورمان كانتور، التاريخ الوسيط قصة حضارة، ت: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، (ط5)، 1997، ص313.

[2] محمد عمارة، الإسلام والآخر، المرجع نفسه، ص17.

ثقافات جديدة فأحب العرب أن يوسعوا بهذه الثقافات آفاقهم الفكرية)[1]، وبما أن المجتمع الإسلامي توسع كثيرا ليشمل مناطق عديدة في المشرق والمغرب الإسلاميين جعل كل ذلك يصب في خانة توسعه وجعله ينمو ويتطور يوما بعد يوم.

فما **(إن استقر الإسلام في البلدان التي فتحت حتى بدأت الحركة الفكرية تنمو وتزدهر ووصلت إلى أوج عطائها زمن العباسيين)**[2]الذين كانت لهم اليد الطولى في إرساء قواعد بناء حضاري يشمل جميع الجوانب الفكرية والفلسفية والعلمية، وهي ما كان لهم بعد عقود من الزمن من بداية خلافتهم وحكمهم.

إن التعددية الثقافية في زمن المرحلة العباسية هو أبرز حدث في تاريخ الإسلام لما له من فضل على المسلمين وعلى الناس جميعا ليومنا، ولقد ساهم في ذلك الآخر بشكل أساسي وفعّال، فشارك المسلمين معارفه وفكره المتنوع، فاندمجت الثقافة الإسلامية في الحقبة العباسية مع ثقافة الآخر، واتسعت مجالات الفكر، لذلك يمكن اعتبار هذه المرحلة أسمى مراحل النضج الثقافي الإسلامي دون منازع.

وفي هذه المرحلة الذهبية، حصلت بوادر جديدة غير مسبوقة، وتحقق ذلك بفضل حنكة الخلفاء العباسيين الذين فتحوا المجال للجميع من أجل خدمة الإنسانية ، كما **(اتصف الخلفاء العباسيون بسياسة خلت إجمالا من التعصب الديني)**[3] أو التمييز العنصري الفارق للعرب أو المسلمين على الآخر فاستغل هؤلاء، سعة علم وفكر الآخر وقدرته على تقديم المزيد للمجتمع الإسلامي، دون مراعاة انتمائه الديني أو العقدي المتناقض مع عقيدة المسلمين.

---

(1) شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، دمشق، سوريا، (ط1)، 1994، ص442.

(2) نفسه، ص439.

(3) جورج رحمة، السريان أعمدة الحضارة الإسلامية، دار سائر المشرق، نهر الموت، لبنان، (ط1)، 2018، ص73.

وهذا التفاهم أحدث (**أثرا كبيرا في تغير الحياة الفكرية لديهم كما وأحدث تنوعا ثقافيا وحركة علمية كبرى من تمازج الأفكار وتزاوجها)**[1] فصارت الثقافة متنوعة وتحولت ساحات بغداد والبصرة وباقي الأمصار إلى ميادين للمناظرات الفكرية •التي تبين سمات وميزات واختلاف الثقافات، والحوار العادل والهادئ و**(طرق المتناظرون كل مواطن الخلاف بين العقيدتين (الإسلامية والمسيحية)، وكان البطريق النسطوري طيماثاوس يعقد المناظرات في المسائل الدينية بحضور الخليفة الهادي ثم هارون الرشيد)**[2]، ويدل هذا على التسامح الإسلامي الكبير المفعل وبإشراف خلفاء المسلمين وحكامهم.

فانعقاد المجالس الفكرية والعلمية والفلسفية والأدبية أصبحت عرفا متكررا وتقليدا بارزا، يشارك فيه ذوي التخصصات والتوجهات من المسلمين والآخر وبدأ ذلك مع عهد أبي جعفر المنصور الذي يعتبر أحد مؤسسي الدولة العباسية، وكذا عهدي الهادي وهارون الرشيد، وأما المأمون وهو أحد مؤسسي الحضارة الإسلامية و من له الفضل في قيامها فكانت مجالسه من أروع المجالس العلمية في تاريخ الحضارة الإسلامية وكان بلاطه

---

[1] جورج رحمة ، المرجع نفسه، ص 403.

• وليس مدينة بغداد وحسب ما كانت ساحاتها ميادينا للمناظرات الفكرية، فحتى بلاد الأندلس اُشتهرت بذلك في مرحلتها الذهبية، فقد صورت مؤلفات علماء الأندلس ذلك بدقة مثلما هو الحال مع مؤلفات ابن حزم الأندلسي الظاهري الذي يحكي عن ذلك بإسهاب في كتبه، بل حتى ابن حزم نفسه كان يخالط الكثير من أهل الذمة ليأخذ عنهم العلم، فكان يجالس الطبيب اليهودي اسماعيل بن يونس في دكانه بألمرية، وكان يجادل ابن النغريلة في أمور التوراة، كما جادل علماء اليهود في أمور دينية متعددة، وسمع منهم كثيرا، ولقي كثيرا من أهل مذاهبهم المختلفة، وتحدث مع من سماهم ببعضهم في كثير من مشكل التوراة، كما كان له صديق اسمه أبو الفضل بن حسداي بن يوسف بن حسداي الاسرائيلي، فكان يحادثه في العلم والعلماء، فهو عنده فريد عصره ومحله من العلوم النظرية لا يُجرى فيه في الأندلس حسب ابن حزم، كما أثنى ابن حزم على إسحاق ابن قسطار اليهودي لكثرة العلوم الطبية و المنطقية التي كان يتفنن فيها، وهذه المناظرات واللقاءات العلمية كانت غالبة جدا على الحياة العامة في الأندلس، وحتى القسيسون كانوا يفيدون الأندلس للتعبد والنظر في علوم المسلمين وترجمتها، كما كان أهل الذمة يستفتون الفقهاء في أمور علمية غاية في التعقيد، اُنظر، أحمد شحلان، **التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، (ط1)، 2006، ص، ص29–31.

[2] أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، المرجع نفسه، ص455.

يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعراء والأطباء والفلاسفة الذين استدعاهم المأمون من جهات متعددة من أنحاء مملكته وشملهم جميعا بعنايته مهما اختلفت مشاربهم أو جنسياتهم وكثيرا ما كان يبدأ المناقشات ويثير العلماء البحث وكان ينهى الفلاسفة و العلماء إن كانوا في مجلسه أن يستدل كل واحد منهم بآيات من كتابه المقدس ويقول لهم لا تستدلوا بالقرآن ولا بالإنجيل تضنون في مقاربتكم أي مجاملتكم[1].

والملاحظ أن معاملة المأمون تدل على عدله في التعامل مع الآخر، وفسح المجال أمامه ليبدي برأيه دون خوف منه أو إكراه، فانبعثت تعددية ثقافية تأسست على التفاهم والاحترام دون تعدي أو اقصاء.

ولم يقتصر الأمر على المناظرات الدينية بين علماء الشرع من المسلمين وبين القساوسة والبطارقة وأحبار اليهود، أو على مناظرات أدبية وفلسفية فحسب، لكن الأمر تطور ليشمل البحث في مجالات أخرى زادت من توسع ثقافة المسلمين واطلاعهم على علوم أخرى وكان للعلماء المسيحين دورهم الكبير في الحياة العلمية في الدولة الإسلامية وتعايشوا مع زملائهم العلماء المسلمين في مجتمع تعددي وقد ساهم هؤلاء العلماء في ميدان التعليم فعلموا المسلمين و تعلموا منهم و شاركوا في الحلقات العلمية التي كانت ذات طابع تعددي واضح[2]، وواسع في مجتمع كبير جدا اتحد فيه المسلمون والآخر من أجل تأسيس حضارة عملاقة امتدت طيلة قرون من الزمن ومازالت تعطي ثمارها ليومنا.

والمجتمع الإسلامي كان يحتوي على مجموعة من علماء الآخر منهم عشرات الأطباء وعشرات المترجمين والنقلة والمتفننين في لغات عديدة وعشرات الفلاسفة والمناطقة والمشتغلين بمسائل العقل وأكثر من عشر فلكيين ومتخصصين في الجغرافيا

---

(1) السباعي، من روائع حضارتنا، المرجع نفسه، ص ص128-129.

(2) محمد منير سعد الدين، العيش المشترك الإسلامي المسيحي في ظل الدولة الإسلامية شهادة من التاريخ، المكتبة البولسية، جونية ، لبنان، (ط1)، 2001، ص87.

وعلماء رياضيات والبعض من المنجمين وعلماء الكيمياء والصيادلة[1]، كلهم من غير المسلمين وأكثرهم من النصارى، لم يبخلوا في إثراء المجتمع وتقديم كل ما يمكنهم من أجل بعث صحوة علمية.

ومن بين مظاهر التعددية الثقافية نجد المزيج المعتمد في إدارة أعمال القصر وبيت المال و غيرها من المؤسسات الحساسة التي لم يقربها الذميون من قبل في العهد الراشد أو الخلافة الأموية، إلا أن توسع الإدارة العباسية صار يتطلب أناسا مثقفين يقومون بأعباء الإدارة والدواوين والجباية و الشؤون المالية وكان المسيحيون وحدهم ذلك الوقت ذوي ثقافة عالية فكانوا من أهل العلوم والحرف كالفلاسفة والأطباء والفلكيين فانتدب العديد منهم إلى دار الخلافة خصوصا في عهد المنصور وهارون الرشيد[2].

وتداول الأمر الخلفاء من بعدهم، فأعطوا بذلك أكبر صورة حضارية في تلك المرحلة على العيش المشترك والتعددية الثقافية والفكرية رغم الاختلاف العقائدي والديني.

ثانيا: الطب والجوانب الإنسانية عند الآخر التطبيق والممارسة.

يعتبر الطب عصب الأمة الإنساني، وأعظم معالم التقدم أو الركود لأي أمة في التاريخ، فهو الوجه الحضاري الذي يلفت انتباه أي باحث عن أي حضارة كانت قديمة أو حديثة، فهو ينقذ أرواح البشر ويربط الرعية بدولتهم، ويقدم خدمات إنسانية مميزة وجليلة فمن أجل كل ذلك اهتم المسلمون بالطب والجراحة ، تعلما وبحثا عن السبل التي تتيح لهم توفير هذه الخدمة للمسلمين[3]، في البلاد الإسلامية منذ المرحلة النبوية.

---

(1) محمد منير سعد الدين، المرجع نفسه، ص87.

(2) جورج رحمة، المرجع نفسه، ص128.

(3) جاك ريسلر، عبقرية الحضارة العربية، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا، (ط1)، 1990، ص247.

كما حرص النبي ﷺ على الاستفادة من خدمات الآخر وما يستطيع أن ينفع به المسلمين، من طب وصيدلة وعلاج، لأهمية ذلك في تشكيل دعامة خدماتية جليلة وجديدة في البلاد الإسلامية ولتحقيق الاكتفاء الذاتي والداخلي فيما يتعلق بإنقاذ أرواح المواطنين في البلاد الإسلامية، ومما هو معروف أن **(حاجة العرب إلى علوم ليست عندهم مما كانوا يحتاجون إليه الطب)**[1]، فلم يعهدوه ولم يشتغلوا به، فالطب كان من بين العلوم المادية التي لم يتعلمها العرب.

فلقد كانوا **(قبل الإسلام يجهلون الطب ويعالجون مرضاهم بوسائل بدائية حينا وبالشعوذة حينا آخر)**[2]، ولم يحقق ذلك من القصد شيئا، فلا الطريقة نجحت ولا المريض شفي مما شكا، والكل يعلم أن هذه الوسائل بدائية ولا تنفع في شيء ولا تحقق العلاج المناسب الذي يصبوا إليه المريض.

ولا شك أنه في الوقت الذي كان يعاني فيه المسلمون من ندرة الأطباء وشح العلاج والأدوية الفعالة، كان الآخر يتميز بمعرفته بهذا العلم العظيم فقد كان ذلك **(وقفا على السريان والصابئة واليهود)**[3]من الآخر، لذا حرص النبي ﷺ على تعلم الطب من أي شخص من غير المسلمين، والاحتكاك به من أجل تحقيق ذلك ،فقد جاء في الحديث أن سعد رضي الله عنه مرض فعاده النبي ﷺ و قال له: **(إنك رجل مفؤود ائت الحارث بن كلدة[4] أخا ثقيف، فإنه رجل يتطبب)**[5].

---

(1) أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، المرجع نفسه، ص 441.

(2) عبده الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط5)، 1979، ص171.

(3) نفسه.

(4) الحارث بن كلدة الثقفي، طبيب غير مسلم، توفي 50 هــ، تعلم الطب في بلاد فارس، له كتاب محاورة في الطب، اُنظر الموسوعة العربية.

(5) أخرجه أبو داود، كتاب الطب، برقم:3875.

ولم يكن الحارث بن كلدة الثقفي مسلما، إلا أنه كان طبيبا بارعا في مجاله تخرج من مدرسة جنديسابور التي أنشأها كسرى، المشهورة جدا بأطبائها وعلمائها من النصارى واليهود[1]، وهذا يدل على حرص الإسلام على الاستفادة من الآخر غير المسلم في مجالات الطب والعلاج مهما كان انتماؤه الأيديولوجي.

في المرحلة العباسية التي انطلقت منها جميع العلوم التي عرفها المسلمون، **كان الطب أحد الأركان التي ترتكز عليها الدولة العباسية، فقد اهتم العباسيون بهذه الصنعة[2]** كثيرا لحاجة الناس لها، وهي ما يعكس وجه القوة الحضارية والعلمية لحضارتهم الجديدة وهذا يفسر سعيهم الحثيث لتأسيس ذلك في بلاد المسلمين، فقرب الخلفاء العباسيين الأطباء من اليهود والنصارى.

وكانوا يتخذون منهم أحيانا وزراء ويعاملونهم بالرفق والإكرام[3]، لعظمة نوع الصنعة التي يعرفونها وقيمتها المعتبرة في المجتمع، وأغدقوا على الأطباء الأموال الطائلة وقدّموا لهم العطايا والمنح والهبات وقلدوهم المناصب العالية في إدارة الدولة وأصبحت لهم منزلة رفيعة بين رجال بلاط الخلافة وكان الجميع يرغبونهم بالبذل والإكرام بقطع النظر عن طوائفهم وشيعهم أو أنسابهم فقد كان فيهم المسيحي واليهودي والصابئي والمجوسي والسامري[4].

كلهم اتحدوا من أجل تقديم مساعدات إنسانية للناس من أجل حفظ الأنفس والأرواح، وإبقاء الأمل قائما واتخاذ مختلف الأسباب التي غيرت من فكرة العناء والشقاء الذي كان يعاني منه المسلمون، فحصل بذلك تضامنا اجتماعيا متلاحما بين المسلمين

---

(1) اُنظر، السباعي، من روائع حضارتنا، المرجع نفسه، ص107.
(2) جورج رحمة، المرجع نفسه، ص323
(3) نفسه.
(4) نفسه.

والآخر، واحتراما مهيبا لمكانة الآخر العلمية، فتغير بذلك مجرى العلاقات وتوطدت مع مرور الأيام.

عندما نذكر فضائل الآخر الإنسانية وما قدمه من أعمال جليلة تعكس نجاح العيش المشرك مع المسلمين، وتبين سعة الثقافة وتعددها في الدولة العباسية، نتوقف عند الأطباء السريان المتقنين والمتفننين في مجالات الجراحة والطب، منهم كبيرهم **جورجيوس بن جبرائيل بن بختيوشع السرياني** الذي كانت له خبرة كبيرة جدا بصناعة الطب ومعرفة المداواة وأنواع العلاج[1]، فبرع في تخصصه وذاع صيته، واستطاع أن يصف علاجا فعالا للخليفة العباسي المنصور وشفي من ألمه، **وبعد أن بنى المنصور مدينة بغداد 765م 148هـ استدعى جورجيس بختيوشع من مدرسة جنديسابور وجعله طبيبا للبلاط**[2] ليشرف عليه شخصيا ويتابع حالته الصحية والبدنية ويلازمه ليلا ونهارا، ويتفقده عند الحاجة.

فلذلك كان **حظيا عنده رفيع المنزلة ونال من جهته أموالا جزيلة وقد نقل للمنصور كتبا كثيرة من كتب اليونان إلى العربي**[3] ليتعلم المسلمون ويحذون حذوه، فلم يبخل عليهم بشيء، ولم يترك شيئا من صنعته إلا ونقلها وعربها، وليس هذا وحسب بل وأوصى بالأطباء من بعد ليخدموا المنصور وليعالجوا مرضى المسلمين،**(ومن ذلك الحين و نحن نرى ثمة سلسلة من الأطباء النساطرة المتصلين ببلاط الخليفة والمكونين لمدرسة طبية ببغداد)**[4]، وإليهم يعود الفضل فيما تعلمه المسلمون عنهم كما حرصوا على تعليم

---

[1] موفق الدين ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ت: عامر النجار، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط1)، 1997، ص183.

[2] دي لاسي أوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ت: اسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (ط1)، 1982، ص97.

[3] ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص183.

[4] دي لاسي، المصدر نفسه، ص97.

الطب للمسلمين وإقامة المدارس التي تعني بالطب والصيدلة وترجمة الكتب الطبية إلى اللغة العربية حتى يتسنى للمسلمين سهولة تعلمها.

وعرفت هذه المدرسة في تاريخ الدولة العباسية بمدرسة النساطرة من آل بختيوشع[1]، وهم سلسلة كالتالي جورجيوس من تقدم الكلام عنه وابنه بختيوشع وجبرائيل ابن بختيوشع وبختيوشع بن جبرائيل وجبرائيل بن عبيد الله بن بختيوشع وعبيد الله بن جبرائيل[2]، فحرصت هذه العائلة المسيحية على خدمة بلاط الخلافة العباسية طيلة عقود من الزمن، وتعلم منهم المسلمون كثير وتعاونوا مع بعض في مساعدة الناس في أسمى أشكال الإنسانية والحياة المدنية المشتركة.

ثالثا: إسهامات الآخر في حركة الترجمة والنقل.

لم تكن للحضارة الإسلامية أن تتأسس ويكون لها وجود في التاريخ لولا الآخر الذي أسهم في ذلك في ظل وجوده في المجتمع الإسلامي، فكان له جوانب إيجابية كثيرة ومتميزة، ألقت بظلالها على المسلمين نفعا وزادتهم تقدما وازدهارا، خاصة إذا ما تحدثنا عن أعماله الكبيرة في نقل إرث ومعارف اليونان وغيرهم من حضارات الشرق وتعريب كتبهم، وتحويل تلك التركة الضخمة إلى المسلمين لتصبح لديهم جميه الإمكانيات ليقيموا حضارة خاصة بهم وبلغتهم.

إن الترجمة وتعريب الكتب يعد من عوامل ازدهار الحياة الفكرية في أي حضارة إذا سلمنا أن بعض الحضارات تقوم على أنقاض حضارات أخرى، فعند المسلمين قد بدأ ذلك في زمن عبد الملك بن مروان واطلاع المسلمين على حضارات البلاد التي فتحت فازدهرت حركة الترجمة ونقل المعارف لينتقلوا بعدها إلى الإبداع[3]، لكن في مرحلة

---

[1] أُنظر، عبده الشمالي، المرجع نفسه، ص171.

[2] أُنظر عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ، المصدر نفسه، ص، ص183-213.

[3] شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، المرجع نفسه، ص441.

البداية كانت ضئيلة جدا، عدا بعض المؤلفات اليونانية في الطب وكذلك بعض رسائل أرسطو الموجهة للإسكندر الكبير ومع ذلك بقيت هذه الأعمال منفردة إذ كانت محاولات فردية لا تنضوي تحت حركة عامة للترجمة[1].

بينما المرحلة العباسية تعد الحاسمة في انطلاق الترجمات لجميع التخصصات العلمية، خاصة في مرحلة الخليفة المأمون التي توصف بالعصر الذهبي للحضارة الإسلامية، لتشييده لبيت الحكمة وهو بمثابة معهد للترجمة والتعريب والنقل لكافة كتب العلوم والفنون اليونانية والرومانية والحضارات السابقة سمي بـــ "**بيت الحكمة**"[2]، وهذا لم يكن إلا بمساعدة الآخر وبمعيته خاصة من النصارى السريان، لمعرفتهم وإتقانهم لغات عديدة مع العربية.

لقد أدرك الخلفاء العباسيون حاجة الدولة إلى تطوير وتنمية لمواكبة باقي الدول الأخرى التي كانت تتفوق عليها حضاريا في ميادين شتى، كالإمبراطورية البيزنطية المتطورة والقوية، كما أنهم شعروا بعد الفتح الإسلامي الكبير لدولة المشرق والمغرب بحاجتهم الماسة إلى اقتباس العلوم والآداب للتعرف على فكر وحضارات الأمم السابقة ليستفيدوا من علومهم الطبيعية والفلكية والكيميائية والرياضية وكل ما يفيدهم في حياتهم اليومية[3].

فقرروا أن يستعينوا بالآخر في تحقيق ذلك، وخصصوا لهم نصيبا من المال لترجمة الكتب والمؤلفات العلمية وكان الخلفاء يدفعون للناقل ثقل الكتاب المنقول ذهبا[4] وربما يقدره مالا، وحرصوا على راحتهم، وأعطوهم الوقت الكافي، لبلوغ النتيجة التي

---

(1) مريم سلامة كار، الترجمة في العصر العباسي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، (ط1)، 1998، ص12.

(2) اُنظر، شوقي الضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط16) ، 2004، ص112.

(3) موفق الدين ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص35.

(4) أبو خليل، المرجع نفسه، ص441.

يطمح لها المسلمون، وكانت هذه أول بوادر التكيف للمسلمين مع وضعهم الجديد، وتعتبر كذلك محطة جديدة لهم، وانتقال نوعي لإتقان و تعلم علوما جديدة.

إنّ بيت الحكمة الذي أسسه المأمون وأرسى قواعده، بسواعد الآخر من السريان الحاذقين، يعتبر ثاني أكبر صرح شيد في التاريخ بعد المتحف السكندري الشيد قبل الميلاد(1)، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قيمته العلمية العالمية والحضارية على مر التاريخ ، وكذا العمل المستمر والجهد المبذول من طرف الآخر**(وقد قام بقسم كبير من العمل في هذه الفترة مترجمون مستقلون عادة كانوا في معظمهم من المسيحين واليهود)**(2) للوصول إلى مبتغى خلفاء الدولة العباسية ،الذين شجعوا هؤلاء وقدموا لهم ما يحتاجون وما يلزمهم لإنجاح ذلك.

وقد أضفى الخلفاء على المترجمين أعظم أنواع الدعم والتشريف الأمر الذي شجع المترجمين على نقل مختلف أنواع العلوم و المعارف التي كانت للأمم التي سبقتهم فاستفاد العرب منها أكبر فائدة حتى نبغوا بل تفوقوا على غيرهم بعد أن أضافوا إلى تلك العلوم مبتكرات جديدة(3)، تجلت في نظريات وبحوث إسلامية خالصة مثل إبداعات الخوارزمي وابن سينا والإدريسي وابن النفيس والبيروني وغيرهم.

ومن أشهر المترجمين الذين كان لهم الفضل في ترجمة الكتب ونقلها للغة العربية تحقيقا وتدقيقا، نذكر منهم: إسطفان، البطريق وابنه يحي، الحجاج بن يوسف بن مطر وعبد المسيح الحمصي، سلام الأبرش، حبيب بن بهرنير، ذوربا بن ماجوه الناعمي، هلال الحمصي، تذاري وفيتون وأبو نصر بن ماري، باسيل مطران وثيوفيل الرهاوي وشملي أبو إسحاق قويري، تادروس السنقل ودريع الراهب، صليبا، حنين بن إسحاق وابنه، قسطا

---

(1) اُنظر، ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص36.

(2) دي لاسي، المصدر نفسه، ص93.

(3) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص ص36-37.

بن لوقا، يوحنا الدمشقي، متى بن يونس، يوحنا بن ماسويه، سرجيوس الراسعيني وكذلك آل بختيوشع، الجائليق النسطوري، ابو الفرج ابن الطيب النسطوري[1] والقائمة طويلة جدا فاشتغل هؤلاء طيلة عقود من الزمن في خدمة المسلمين ونزولا عند رغبة السلاطين المسلمين وكل ذلك ابتغاء تحسين حياة مشتركة تسعد الناس جميعا المسلمين وغيرهم.

أما اليهود فهم الآخرين شاركوا في نقل ترجمة الكتب وتعريبها، لكن أثرهم يبـــدوا هزيلا في بلاد المشرق الإسلامي المقارنة مع المسيحيين إلا أن هذا الأثر نجـــده ظـــاهرا كثيرا في بلاد الأندلس وما فعلوه، حتى أنه كانوا قد أسسوا مدرسة رشدية وهم مـــن روج وشهر بالمدرســـة الرشـــدية فـــي أوربـــا لأنهـــم كـــانوا مـــن تلامـــذة ابـــن رشـــد[2].

---

[1] جورج رحمة، المرجع نفسه، ص، ص49–52.

[2] اُنظر، دي لاسي، المصدر نفسه، ص221.

المبحث الثالث: أزمة الفكر الإسلامي وتحديات التعايش السلمي في ظل جدل القطيعة والاعتراف عند الآخر.

يواجه الفكر الإسلامي اليوم في ظل أزمته الحضارية، موقفا معاديا ومستقبلا غامضا يزيد من تعقيد وضعية المسلمين الراهنة، وعلاقته مع الآخر، ونخص بالذكر الغرب بمختلف أيديولوجياته، ويدخل في جملة ذلك طرفان مختلفان، أحدهما لاهوتي يمثله الآخر المسيحي، والثاني علماني يمثله الآخر الحضاري، ولا شك أن علاقتهما مع المسلمين شكلت أزمة حقيقية، عكست الصورة الراهنة للفكر الإسلامي وأثرت سلبا في طبيعة التعامل مع المسلمين عموما

فمن المتعارف عليه تاريخيا أن مسيرة الإنسان في صراع مستمر مع نزعات النفس الغلابة لأجل التفرد البشري بالوجود أو معارك صراع الإنسان مع أخيه الإنسان حول الزعامة[1]، والتفرد بالريادة الحضارية أو النفوذ أو من خلال رهق الصناعة الفكرية أو جهد إنشاء الحضارات والمحافظة عليها[2]، ومحاولة بسط السيطرة بأي شكل، فصار ذلك تقليدا متبعا، وعرفا قائما من قبل الميلاد لدى معظم الحضارات، فهو ما حصل عند الإغريق أو المصريين وحتى في الحضارات الشرقية الكبرى.

إن أزمة الفكر الإسلامي اليوم ليست أزمة أخلاقية تخص القيم، أو سياسية تخص المعاملات الخارجية والعلاقات الدبلوماسية فحسب، بل هي أعمق من ذلك بكثير، فهي تعني هوية المسلمين واضطراب صورتهم الراهنة من موصوف العنف والتطرف إلى خطابات القطيعة والتهميش، سنحاول أن نعرض في هذا المبحث أهم نقاط أزمة الراهن ما

---

[1] مسفر القحطاني، صدام القيم، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، (ط1)، 2015، ص161.

[2] نفسه.

بين المسلمين والغرب (اللاهوتي والحضاري)، واستشراف نماذج التعارف والحوار الديني والتعايش السلمي.

المطلب الأول: الفكر الإسلامي والغرب اللاهوتي وتحديات الراهن.

تشير المصادر والمراجع الأساسية التاريخية إلى اضطراب العلاقات الإسلامية بالآخر اللاهوتي على مر الزمن، فقد عرفت الكثير من المواقف غير المنتظمة، ويمكن تحديدها في موقفين رئيسيين تبنتهما الكنيسة الغربية على وجه التحديد، موقف مسالم يتميز بالتسامح وآخر معادي يدعوا للتطرف والقطيعة، أما اليوم وعلى الرغم من النمو الهائل للإسلام في العالم المسيحي فإنه سيواجه على الأرجح في القرن 21 مـــ مواقفا مختلفة مختلطة[1]هي ما تحدد مستقبل علاقاته مع الآخر اللاهوتي.

الكنيسة التي كانت أحد أسباب التخلف والسقوط الحضاري في المرحلة الوسيطية كما يتهمها رواد الفكر العلماني والحداثي الغربي، صارت تعتمد كمرجعية في توجيه الفكر الغربي، وهي محرك النزاعات العالمية، والحروب والمعارك القارية، خاصة إذا ما كان طرف النزاع ذو هوية إسلامية، لأن الكثير من الغربيين ممن يمثلون التيار اللاهوتي الكنسي **ينظرون للإسلام كعدو ومنافس للمسيحية**[2]، وقد ساهمت بدرجة كبيرة جدا في صناعة الصورة الراهنة للمسلمين، صورة جعلت من الحوار أو التقارب أو التعايش يستحيل في ظل استمرارية السقوط الحضاري للمسلمين وتراجعهم الفكري الراهن.

فأزمة المسلمين اليوم أزمة حقيقية على جميع الأصعدة، سببت لهم انعزالا كبيرا وتباعدا مريبا، وتراجعا حضاريا مخيفا، صار هاجسا للعقل الإسلامي الذي يبحث عن

---

[1] مراد هوفمان، الإسلام عام **2000**، ت: عادل المعلم، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2،2003، ص31.

[2] ألبرت حوراني، المرجع نفسه، ص26.

مخرجات لهذه الأزمة، التي تقرر مستقبل المسلمين في ظل التطور الذي يشهده العالم ويقوده الغرب المهيمن على جميع مسارات الحضارة العالمية.

أولا: الفكر الإسلامي والأزمة الراهنة.

بعد نهاية الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي، صار العالم يشهد مرحلة جديدة، و هي مرحلة اتسمت بالقيادة الغربية المطلقة للعالم، فعدو الأمس اندثر ولم يعد له وجود في الساحة العالمية السياسية والفكرية، فتوجهت الأنظار إلى عدو آخر للغرب، ينتهج أصولية كلاسيكية دينية، تمثل خطرا على الحضارة الغربية، في زعمهم وحسب تأويلاتهم.

فرئيس المجلس الوزاري الأوربي **جياني ديميكلس** يرى أن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربي والعالم الإسلامي(1)، كما جاء تأكيد ذلك في مجلة شؤون دولية فجاء فيها ما يلي: **(لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفيتي وبالنسبة لهذا الغرض فإن الإسلام جاهز في المتناول)**(2).

أصبح الغرب اليوم يتخذ الإسلام بديلا وسبيلا لتوجيه الاتهامات التي تحرك من أجلها ألة الحرب والعنف، وفي نظرهم يعتبر أحسن بديل للشيوعية ليحل مكانها في خط المواجهة، والكل يعلم أن الغرب انتهج هذه السياسة التي لا تمت بصلة إلى حقيقة الأسباب الدافعة إلى اتخاذ المسلمين كعدو أساسي لهم، ففي رأيهم أن الإسلام يتصف بمختلف صفات العدوانية والتطرف(3)، ولقد توارث الأجيال في الغرب تلقي مفاهيم خاطئة عن

(1) عمارة، الإسلام في عيون غربية، المرجع نفسه، ص53.
(2) نفسه، ص54.
(3) نفسه، ص53.

الإسلام بأنه دين حرب وأن المسلمين حاربوا العالم باسم الله و أن المرأة مضطهدة و أن المسلمين برابرة غير مسالمين[1].

فجرت عادة إطلاق هذه الاتهامات خطيرة على الفكر الإسلامي، وأصبحت أوصاف التطرف والعنف ملازمة للمسلمين أينما حلوا وارتحلوا، ولا شك أن هذه الصورة القديمة المستحدثة عن الإسلام، تجعل من القطيعة ممارسة بشكل دائم، وكذلك من أجل اعتلاء الغرب هرم التفوق الحضاري، وخوفهم من النزول من هذه القمة.

لا يزال الإسلام يشكل هاجسا لدى الغرب رغم تفكك دوله ، و اضطراب الأمة لم يشفع في ذلك شيئا ، فيبقى **(المسلمون –وأحيانا الإسلام– متهمون في الكثير من دوائر الفكر الغربي و دوائر الفكر العلماني بالتعصب المقيت وإنكار الآخر)**[2] فالانغلاق هو وصف للفكر الإسلامي، و الرجعية و التخلف أوصاف المسلمين الأبدية ، فهم يؤثروا على الحضارة الغربية بشكل سلبي.

بل وحتى الأوساط الشعبوية الغربية أصبح لديها خوف حقيقي من كل المسلمين دون استثناء، فمن باب أولى أن يقطع صلته به، فهو في نظره مدمر وعنيف ويتميز بالتعصب الديني والتطرف والإرهاب، ويتهم كذلك **(بإنكار الآخر وإنكار حقه في الوجود ويسعى لاستئصاله واستثنائه من الحق العمل العام ومن أدنى حقوقه)**[3]، فمن خلال هذا الوصف الشنيع يصبح من حق الغرب في رأيهم ممارسة القطيعة، وربما يصلون إلى إعلان الحرب على المسلمين وهو ما حدث بعد عقد من الزمن.

---

(1) أصف حسين، المرجع نفسه، ص، ص104–106.

(2) محمد عمارة، الإسلام والآخر، المرجع نفسه، ص5.

(3) أُنظر، محمد عمارة، الإسلام و الآخر من يعترف بمن؟ المرجع نفسه، ص11.

أزمة الإسلام الراهنة لها جذور تاريخية قديمة تعود للمرحلة الوسيطية، وكما هو معلوم، فإن الأفكار تنام ولا تموت، وكل فكرة تقابلها فكرة موازية أو مناقضة لها تماما ومختلفة عنها كلياً، وهو حال الفكر الإسلامي وعلاقة الغرب بالمسلمين، وما هو معروف متداول عن ذلك في الثقافة الغربية كما يذكرها المستشرق الفرنسي **مكسيم رودنسون** ويعلن فيها أن أسباب مخزون الكراهية الغربية للإسلام والمسلمين من طرف دوائر النخب المثقفة والجماهير الشعبية في هذا العصر، هي تصور الغرب بأن المسلمين شعب هائج وهمجي، ويتصف بالتخريب والنهب والسلب وأن دينهم وثنية وهرطقة، أما رسولهم فهو مخادع وساحر، فهذا تبيان واضح على تقدم الغرب وركود و تأخر المسلمين.

ولقد تصور الأوربيون التحول الذي أحدثه ظهور الإسلام في الشرق باعتباره تحولا حدث في القوى والأقسام البعيدة من الشرق عندما قام شعب هائج هم العرب أو السراسنة عرف بالسلب والنهب وعلاوة على ذلك شعب غير مسيحي فاجتاح وخرب أراضي واسعة وانتزعها من قبضة المسيحين[1]، فرسخت في أذهان الغربيين قاعدة أساسية تقوم على رفض وتهميش الآخر الإسلامي.

إن الحوادث التي هزت العالم وكان المسلمون طرفا فيها عملا أو افتراء، زادت من توتير وتعقيد طبيعة العلاقات العامة بين المسلمين والآخر اللاهوتي والحضاري كذلك ففي مطلع هذه الألفية وفور وقوع قارعة 11 سبتمبر 2001 في أمريكا والتي قصف فيها مبنى التجارة العالمي، وقبل أن يبدأ التحقيق في الحادث المروع أعلن الرئيس الأمريكي بعد خمسة أيام حملة صليبية استباقية ضد الإسلام وأمته وعالمه، مستعملا في ذلك خطاب

[1] اُنظر، محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية، المرجع نفسه، ص ص63-64.

الكراهية وواضعا إياهم تحت اسم الأشرار والإرهاب واصفا الإسلام بمختلف الأوصاف الدنيئة والصفات القبيحة[1].

علما أن بعض التحقيقات تبرئ المسلمين من فعل ذلك[2]، لكن كما جرت العادة مع الخصم الجديد لا هوادة في نقل الحرب إلى بلده، وهذه هي المرحلة الجديدة في أزمة المسلمين المعاصرة، ومعانته الكبيرة مع العنف الغربي، فقد **أصبح الإسلام في الغرب مشبوها بالتعصب و القسوة وعدم التسامح ، العنف، الاستبداد والطغيان، خرق حقوق الإنسان، التخلف المرغوب**[3].

وهذه هي حالة المسلمين الراهنة التي أصبحت في غاية التعقيد، رغم أن الواقع يثبت أن المسلمين قد قُتلوا واغتُصبت نساؤهم واحتُلت أراضيهم وأصبحت الديمقراطيات المصممة على النمط الغربي هي الممكنة كما أضحت الاصلاحات الاجتماعية التحررية وعلى نحو خاص تحرير النساء المسلمات من الاستعباد المزعوم للعادات والمبادئ الرئيسية هي الهدف الأساسي[4]، وهكذا تجلت بوضوح أهداف الغرب المعاصرة، في تغيير الهوية الإسلامية من أجل تغريب المسلمين بالدرجة الأولى.

ثانيا: المسلمون والغرب اللاهوتي وتحديات القطيعة.

لا شك أن العزلة الراهنة التي يعيشها المسلمون، كانت بدفع من الكنيسة الغربية فاعتبرت مسألة القطيعة مع الآخر (المسلم بوجه التحديد) واضطهاده واجبا مقدسا وعملا مبررا ولهذا كان الضيق بالآخر والإنكار له والسعي في اضطهاده واستئصاله موقفا عاما

---

(1) نفسه، ص47.

(2) اُنظر، آرشي أوغستاين، الحرب على الإسلام، ت: محمد الشماع، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، (ط1)،2011، ص ص7–8.

(3) هوفمان، المصدر نفسه، ص53.

(4) أوغستاين، المصدر نفسه، ص9.

ومؤسسيا، ينظر له القديسون ويجعلونه من مقتضيات قانون الإيمان ثم تنهض البابوية والكنائس بإجبار الدول والأباطرة والملوك والأمراء على شن حملات الاضطهاد والحروب والإبادة للمخالفين[1].

وحرصت على الفصل بين الغرب والآخر المسلم، وحذرت كثيرا من التعامل معهم، فأصبح **(الكثير من الغربيين ينظرون للإسلام كعدو ومنافس للمسيحية)**[2] وذلك يزعزع مكانتهم ويضعهم أمام منافس جديد، فخلق ذلك جو من الحقد على المسلمين وعلى دينهم وفكرهم وحضارتهم ومجتمعاتهم.

ربما يتساءل البعض عن الدافع التاريخي والسبب الحقيقي في تراكم هذه الأحقاد الدفينة من طرف الآخر اللاهوتي، فلن نجد إلا سببا واحد يجعلنا نتأكد من ذلك، وهو تأثير الحوادث التاريخية الوسيطية والحديثة في العلاقات الراهنة بين المسلمين والآخر اللاهوتي، ولعلى أبرز هذه الحوادث هي الحروب الإسلامية الصليبية وتواجد المسلمين في غرب أوربا والعثمانيين في شرقها، تركت أثرا في النفسية الغربية وطابع التفكير ونظرتهم للآخر المسلم، حتى أن معاداة السامية والعنصرية ضد اليهود في المرحلة الوسطى سببه تعامل اليهود مع المسلمين على حسب الدراسة التي قام بها **كتلرز** بعنوان اليهودي بصفته حليف للمسلمين[3].

فالحروب التي وقعت بينهما أبقت أثارا كبيرة ساهمت في رسم مستقبل العلاقات الإسلامية المسيحية، وهو ما نشهده في حاضرنا، ويدفع المسلمون تبعاته، فالكنيسة مازالت المحرك الأول والمؤثر الأوحد في المجتمعات الغربية، رغم فصل السياسة والمجتمع عنها، إلا أن هذه **(الأحكام الظالمة المتعسفة الموروثة عن القرون الوسطى لا تزال حتى**

---

[1] محمد عمارة، الإسلام والآخر، المرجع نفسه، ص88.

[2] أنظر حوراني، المرجع نفسه، ص26.

[3] أصف، المرجع نفسه، ص19.

يومنا هذا)[1] تمارس وتطبق وتنتهج في التعامل مع المسلمين والنماذج كثيرة ومتنوعة ولم يستثنى منها أحد.

أصبح المجتمع الغربي يتأسس على ازدواجية في معايير الحكم على الآخر المسلم من طرف الكنيسة، فالتيار الأول اتسم بالعنف ودعا إلى القطيعة والتنافر والتباعد وأحيانا يدعوا إلى التصادم، وهو المعني في هذه الأسطر، فقد آمن بفكرة سطحية وعقم ورجعية ذهنية المسلمين، وتيار ثاني دعا إلى التعايش السلمي ونبذ العنف والتعصب.

إنّ الآخر اللاهوتي المتعصب اعتمد في منهجه في التعامل مع المسلمين، على ادعاءات وكتابات مقدسة تثير المجتمع الغربي لأنها تصدر من مؤسسة دينية، فهي منبع الحق حسبهم، والقصد منها التشويه المتعمد للآخر وإلحاق الأذى به، لأن سوء فهم الإسلام في الغرب يرجع أساسا إلى تشويه متعمد للإسلام منذ قرون طويلة فالحملات الضارية ضد الإسلام اليوم ليست وليدة ظروف جديدة طارئة وإنما هي نتيجة ترسبات قديمة ترسخت في العقلية الغربية منذ الحروب الصليبية[2].

ولغاية في نفس رجال الدين المسيحيين، من أجل دحض الإسلام ورده ، ومحاربته من أجل إبعاده عن الغرب ومجتمعاتهم، ولم تكن كتابات النصارى المتعصبة مبنية على دراسة نزيهة للإسلام بل كانت مبنية على افتراضات وأفكار متكونة سلفا وتحيزات وغالبا أكاذيب فلم يدرس علماء النصارى الإسلام على أنه كيان مستقل بل درسوه وفق لما يجب أن يكون وفقا لوجهة النظر النصرانية وهذه الكتابات هي التي عوضت القاعدة للفهم غير العقلاني للإسلام[3].

---

[1] زيغريد هونكه، الله ليس كذلك، ت: غريب محمد غريب، دار الشروق، القاهرة، مصر، (ط1)، 1995، ص7.

[2] السلومي، المرجع نفسه، ص35.

[3] أصف، المرجع نفسه، ص26.

وهو ما يفسر الحملات الشرسة على الفكر الإسلامي بسبب أو بدونه وفي جميع المناسبات، فهذا **مارتن لوثر** يصف القرآن الكريم بالكتاب البغيض المليء بالخرافات والأباطيل والفظائع، وأما النبي محمد فهو خادم للعاهرات، داعيا القساوسة ليخطبوا ويحرضوا الناس على المسلمين وعلى دينهم من أجل نشر العداوة وإثارة الحرب ضد المسلمين(1).

والحاصل أن الآخر اللاهوتي المتطرف نجح في خلق جو من الصراع بين الغرب والمسلمين، وبذلك استقر في أذهان السواد الأعظم من الأوربيين الازدراء الأحمق الظالم للعرب، الذي يصمهم جهلا وعدوانا بأنهم رعاة الماعز والأغنام والأجلاف لابسو الخرق المهلهلة وعبدة الشيطان ومحضرو أرواح الموتى والسحرة وأصحاب التعاويذ وأعمال السحر الأسود ولقد تربع على عرشهم الذهبي ماهومد مخيمد وقد ركعت تحت أقدامه قرابين بشرية يذبحها أتباعه قربانا و زلفى إليه(2).

فلا عجب أنك تجد الغرب يستهزئ من عبادات المسلمين ويحارب دير عبادتهم ومساجدهم، وينفرون من العيش المشترك، فالصورة المحمولة لديه قد تم تصميمها من قبل رجال الدين والكنيسة، فلن يكون هناك تفاهم أو تقارب في ظل الممارسات المتعصبة والمتطرفة، فالمجتمع الغربي يحس بنوع من أنواع الرهبة، والتهديد يلحقه بمجرد التواصل مع الآخر المسلم، فقد كان الغربيون يعتقدون في معظم فترات العصور الوسطى في إبان مطلع عصر النهضة في أوربا أن الإسلام دين شيطاني يتضمن الردة والتجذيف والغموض(3).

---

(1) أُنظر، محمد عمارة، الإسلام والآخر، المرجع نفسه، ص87.

(2) هونكه، المرجع نفسه، ص، ص9–11.

(3) إدوارد سعيد، **تغطية الإسلام**، ت: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (ط1)،2005، ص71.

وبقيت الكنيسة حريصة على مواصلة التهجم الأعمى ذي الطابع المتطرف على الفكر الإسلامي ليومنا، فبعد أحداث برجي التجارة خرج القس **فرانكين غراهام** على خطى القديس **أغسطين** و**توما الإكويني** و**إنسونت الثالث** و**جريجوري التاسع** و**مارتن لوثر** وغيرهم ممن تهجموا على المسلمين والفكر الإسلامي[1]، واصفين الإسلام بأنه **(دين شيطاني وشرير)**[2]، وهو نفس ما قال به القس **جيري فاين** الذي يرى أن **(محمد هو الشيطان نفسه)**[3]، وعلى مر التاريخ يعتقد المسيحيون **(أن محمد ﷺ كان دجالا)**[4].

ففي أوج لهيب الحادثة يصدق جميع الناس اتهامات الكنيسة، فتعتبر الحادثة انعكاس للفكر الإسلامي المتشدد والمتطرف حسبهم، أما القس **بات روبرتسون** فيجزم أن الدين الإسلام قد **(دعا إلى العنف وإن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا و يحاولون تدمير إسرائيل)**[5]، ولاشك أنّ هذا الخطاب الديني في رسالة لتقوية صفوف النصارى باليهود ليتوحدوا من أجل القضاء وتوقيف الخطر الإسلامي في زعمهم.

أصبحنا اليوم بإمكاننا توقع خرجاتهم والتنبؤ بمصيرنا في ظل تطرف الغرب في التعامل مع المسلمين، وفي ظل كيل الإعلام الغربي بمكيالين في نقل الأخبار وإعادة تصويرها للعالم، فلو اقترف أحد الكاثوليكيين أو البروتستانتيين أو الأرثوذكسيين أو الهندوسيين أو من أي ديانة كانت جريمة مكتملة الأركان ضد الناس لما سمعنا منهم وصفا إياه بالمتعصب الكاثوليكي أو المتعصب الوضعي، لكن لو ألقى شخص من الشرق الأوسط أو من المغرب الإسلامي قنبلة غاز، لتم وصفه بالمتعصب المسلم حتى ولو كان مسيحيا

---

(1) اُنظر، محمد عمارة، الإسلام والآخر، المرجع نفسه، ص، ص87-90.

(2) محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية، المرجع نفسه، ص51.

(3) نفسه، ص52.

(4) هوفمان، المرجع نفسه، ص46.

(5) محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية، المرجع نفسه، ص52.

أو بعثيا أو علمانيا، فالغرب اليوم يترك التعميد خارج اللعبة إلا إذا تعلق الأمر بالفكر الإسلامي، فلم نسمع منهم وصفا لستالين بالمتطرف الأرثوذوكسي أو هتلر بالمجرم الكاثوليكي، لكننا نسمع يوميا عن التطرف الإسلامي والتعصب الديني الإسلامي[1].

ثالثا: المسلمون والآخر اللاهوتي وأفاق التعارف والاعتراف ما بين الماضي إلى الحاضر.

وفي الجانب الآخر نجد البعض من رجال الدين المسيحيين في هذا العصر، قد أرادوا فتح صفحة جديدة من أجل التعارف وتأسيس علاقات مع المسلمين، لتخطي الماضي الأسود الذي نسجت خيوطه الحروب والمعارك الطاحنة طيلة قرون من الزمن في مختلف الأماكن والأمصار والقارات.

فالاعتراف بوجود الآخر المسلم أو بطبيعة دينه التسامحية، أو بعدله، أو بإنسانيته ومراعاته لحقوق الإنسان، أو البعض من المشتركات الأساسية الدينية، أو رسالة دينه السامية، أو الاعتراف الضمني والخطابي والمكتوب بعنف و تطرف الكنيسة ورجالها في التعامل معه، يكفي ليفتح أفاق جديدة ويؤسس لبناء العلاقات، ولا شك أن ذلك يكفل تحقيق الأمن والسلم لكلا الجانبين، ويرسم حدودا جديدة للبناء والتأسيس للعيش المشترك.

من أجل تغيير الصورة الموروثة عن الفكر الإسلامي، لا بأس أن نذكر بعض النماذج والأمثلة من التاريخ ، يتجلى فيها اعتراف الآخر اللاهوتي بسماحة وعدل الإسلام والمسلمين من خلال مراسلاتهم مع نظرائهم القساوسة و الرهبان ورجال الدين، منها ما ذكره البطريك **تيودوسيوس** من بيت المقدس عن علاقة المسلمين بالمسيحيين وجاء في قوله ما يلي: **(إن العرب هنا هم رؤساؤنا الحكام وهم لا يحاربون النصرانية بل على**

---

[1] هوفمان، المرجع نفسه، ص، ص55–57.

العكس من ذلك يحمونها ويذودون عنها و يوقرون قساوستنا ورهباننا و يجلون قديسينا)[1].

هذه شهادة موضوعية وواقعية من أحد رجال الدين الأرثوذكسيين، حيث يعترف بسماحة المسلمين، وينفي عنهم أوصاف الازدراء والتطرف والعنف الديني التي طالما وصفوا بها، فالتعارف الذي تأسس على قبول الآخر والتعايش معه واحتوائه في ظل الحكم الإسلامي، أثر في طبيعة العلاقة، ويتبين ذلك من خلال متن هذه الرسالة.

ولو عدنا إلى ما نقله **السير توماس أرنولد** في كتابه **الدعوة إلى الإسلام** عن شهادة **البطريك يشوع باف الثالث** في رسالة إلى **المطران سمعان** رئيس أساقفة فارس لأدركنا قيمة وحقيقة الاعتراف الحقيقي بالآخر المسلم، كما يؤكد تسامح الإسلام بحكم التعامل معهم وإدراك ما هم عليه من خلال الاحتكاك بهم والتعارف عليهم ،فقد جاء في هذه الرسالة ما يلي **(إن العرب الذين منحهم الله سلطان الدنيا يشاهدون ما أنتم عليه وهم بينكم كما تعلمون ذلك حق العلم ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة المسيحية بل على العكس يعطفون على ديننا و يكرمون قسسنا و قديسي الرب ويجودون بالفضل على الكنائس والأديار)**[2].

وهذه من جملة قيم التعارف الإسلامي المسيحي، التي تكاد تنقطع في هذا العصر وهذا الانقطاع المقصود والمتعمد بحكم اعتلاء الغرب الهرم الحضاري، لا ينفي أن تكون هناك محاولات من جانب الآخر اللاهوتي بحكم دعوة المسيحية السامية التي تنص على الاعتراف بفضل الآخر عليك، أو بالاعتراف بتطرفك وعنفك ضده في حالة وقوع سوء تفاهم أو حرب من أي نوع كانت.

---

(1) هونكه، المرجع نفسه، ص20.

(2) سير توماس أرنولد، المصدر نفسه، ص102.

ذكرت المصادر التاريخية حوادثا دموية، وإبادات جماعية ارتكبتها الكنيسة ضد المخالفين لها، فاعتبرتهم كفرة وزنادقة في نظرها، باسم الدين في المرحلة الوسيطية والحاصل أن المسلمين أكثر الناس تضررا من عنف محاكم التفتيش الكنسية، فالفظائع والمجازر التي ارتكبت بحقهم، دفعت بالبابا **يوحنا بولس الثاني** بابا الكنيسة الكاثوليكية الذي يعتبر أكبر الباباوات سفرا لدول العالم، وأكثرهم تسامحا واعترافا بذنوب وخطايا الكنيسة على مر التاريخ، وما ارتكبته مع المسلمين خصوصا، ليكلف **(مجموعة عمل من أجل دراسة إمكان الاعتذار البابا للمسلمين عن الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش بإسبانيا والبرتغال)**[1] وكان ذلك مطلع الألفية الثالثة بحضور الرئيس البرتغالي **جورج سمبابو** بتاريخ **12 مارس 2000**، فقرر البابا يوحنا الثاني إقامة صلاة المغفرة من أجل التماس الرحمة والمغفرة للخطايا الكنسية وما ارتكبه رجال الدين الكاثوليكيين من مجازر في حق المسلمين، وهذه الطقوس تعرف **باليوبيل الكبير**، وهي إحدى طقوس الاعتراف الكاثوليكية تنظم كل عقد أو عقدين من الزمن أو سبعة عقود من الزمن.

فلم ينسى هذا القس الأعظم تقديم اعترافات تاريخية أمام الناس فصرح أن الكنيسة الكاثوليكية قد ارتكبت عبر محاكم التفتيش ذنوبا وأخطاء بحق الآخرين خلال الألف سنة الماضية وبأن اتباعها قد ارتكبوا أخطاء أخرى باسم الدفاع عن الإيمان، وطلب أمام الملأ الصفح و الغفران من الله[2]، وهذا الاعتراف من بابا الفاتيكان كان بمثابة النور الذي أشعل الأقلام الغربية من أجل الاعتراف بعنف الغرب والكنيسة الكاثوليكية، واعترافهم بحق الآخر المسلم في التعايش السلمي البعيد عن العنف.

فالمفكر السويسري **إريك جيسلينج** يرى أن التفاعل بين غرب أوروبا المسيحي والشرق الأوسط الإسلامي قائم على اعتداء الغرب على الشرق الأوسط أكثر من العكس

---

[1] مهندس، المرجع نفسه، ص191.

[2] نفسه.

وإنّ الاستعمار الأوربي قد ترك جروحا في العالم العربي في هذا القرن لم تلتئم بعد وإن القومية العربية والسلفية الإسلامية هما في جوهرهما استراتيجيتان دفاعيتان، هما رد فعل على تحكم الغرب في العلمين العربي والإسلامي، وإنه يمكن إثبات أن سلوك الغرب اتجاه الشرق كان أكثر عدوانية وأقل سماحة من سياسة المسلمين تجاه الغرب وإنّ القوة والعنف ارتبط أساسا بالغرب وليس بالشرق[1].

إن هذا الاعتراف من أحد أقدس رجال المسيحية في العالم، وأعلاهم شأنا ومقاما يفتح الباب على مصراعيه من أجل قبول الآخر المسلم، ويضمن ولو نسبيا سلامته وسط النصارى الكاثوليكيين، وربما يفتح المجال من أجل إقامة حوار ديني إسلامي مسيحي مشترك، يناقش فيه تداعيات القطيعة الغربية وسبل تخطيها في ظل التسامح الديني المتبادل، وهو ما حصل بين ممثل المسلمين شيخ الأزهر **أحمد الطيب** وبين ممثل الكنيسة الكاثوليكية **البابا فرنسيس** يوم **4 فيفري2019** بدولة الإمارات المتحدة.

المطلب الثاني: المسلمون والغرب الحضاري وأزمة التعايش السلمي.

أسس الآخر الحضاري الذي يمثل الوجه العلماني التقدمي في شكله المادي والحداثي عند الغرب، القطيعة مع الدين بشكل عام، مع قابلية نسبية لبعض الأديان من دون التدخل في الحياة الثقافية أو السياسية، بحكم المبادئ التي قامت عليها الحضارة الغربية، المنظرة على قاعدة فصل العلم والسياسة والفكر المادي عن الدين والجانب الروحاني والميتافيزيقا.

إلا أننا نجد كذلك سياسة الكيل بمكيالين من طرف الآخر الحضاري إذا ما تعلق الأمر بالفكر الإسلامي، فالمكيال يتغير والطريقة تتقلب في التعامل، لتتكشف حقيقة

---

[1] دراسات سويسرية، (الإسلام في عيون غربية)، ت: ثابت عيد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (ط1) ، 1998، ص17.

الانفتاح المثالية التي يزعم رواد الفكر الغربي انتهاجها في تعاملاتهم، ففي الغرب **اتباع ديانة ما يعد من الأمور الخصوصية كنوع من الفلكلور والقاعدة العامة في ذلك تقول كل شيء يجوز إلا إذا الدين المعني هو الإسلام**(1).

لأنّ الإسلام حسبهم ند يتحدى الثقافة العلمانية الغربية، ويسعى لتدميرها، فمن أجل ذلك يمارس الآخر الحضاري سياسة العنف ويدعوا للقطيعة والتباعد ضد الآخر المسلم بالتحديد، ويمارس معه سياستي الإقصاء والاستعلاء في ظل تطوره وهذا ما نلمسه في خطاباتهم المعاصرة، التي تشكل خطرا على أفاق التعايش السلمي ناهيك عن العيش المشترك في مجتمعاتهم الغربية، وهذه إحدى أنماط أزمة الفكر الإسلامي المعاصرة.

أولاً : موقف الغرب الحضاري من الفكر الإسلامي.

مرت الحضارة الغربية بعدة مراحل أثناء تشكلها، قبل وصولها إلى ما هي عليه اليوم، فلا ننكر ريادتها في جميع مناحي الحياة المعاصرة، وإن هيمنتها على جميع الجوانب السياسية والثقافية والفكرية صار أمرا حتميا مسلما به، ولم تهتم هذه الحضارة بالجوانب الروحانية و الدينية أثناء تأسيسها، كما **دعمت فكرة الحذر والشك في كل ما هو ديني خوفا من الوقوع مرة أخرى في دائرة التأثير اللاهوتي الديني الكنسي**(2).

لم يقتصر الأمر على هذا الحد بل بلغ إلى إقصاء الدين بصورة كلية من حياة الغربيين الحضارية فخلت مجتمعاتهم من مسمى الدين، فلم يعد يؤثر كما كان عليه الحال في المرحلة الوسيطية ، **فلقد أدت الثورة السياسية الكبرى في نهاية القرن الثامن عشر إلى ظهور الاتهام بأن الديانات تحافظ على مصالح رجال السياسة و الكهنة و هذا الاتهام وجه**

(1) هوفمان، المرجع نفسه، ص45.

(2) العلواني، المرجع نفسه، ص ص70-71.

إلى المسيحية كما وجه إلى باقي الديانات[1]، ومنه فلم يعد للدين مكانة مرموقة في الفكر الغربي كما كان عليه من قبل، عندما كانت الكنيسة مسيطرة على جميع الجوانب التي ذكرناها.

أصبح الغرب الحضاري يؤسس لثقافة جديدة ليست كتلك الثقافات التي تقوم على مبدأ التعددية واحترام الآخر كحال المجتمعات الإسلامية السابقة، بل العكس تماما، فهي تخضع لمبدأ مطلق يتنافى مع كل ما هو ديني سواء كانت يهودية أو مسيحية أو إسلامية فلا يعترف بها أساسا، إلا بعض الأديان الوضعية غير الكتابية، التي لا تشكل عائقا أمام نظراته المستقبلية وأفاقه الحضارية مثلما ما هو الحال في تعاملهم و قبولهم للديانات الوضعية مثل **البوذية** و**الثيوسوبية** التي لا تمس عمله أو المؤسسة السياسية تحديدا[2].

يعتمد الآخر الحضاري اليوم كل السبل الممكنة من أجل تهميش وتحييد الإسلام بوجه التحديد من المجتمعات الغربية، فلقد استمر الخوف مما أطلقه الغربيون عليه اسم الديانة المحمدية حتى بعد أن تعرض عالم الإسلام لفترة من التدهور، وبدأت أوروبا عصر الرقي والنهضة و لما كان العالم الإسلامي أقرب إلى أوربا من أي دين آخر غير مسيحي، فقد أدت مجاورته لأوروبا في ذاتها إلى إثارة ذكريات غزواته لأوروبا وتذكيرها دائما بقدرته الكامنة على إزعاج الغرب وبدا لهم أن الإسلام وحده هو الذي لم يستسلم تماما في أي يوم للغرب[3].

بعد أن ساد الخوف لديهم أصبح هاجسهم الوحيد هو الإسلام الذي اعتبروه يشكل خطرا على مجتمعاتهم الغربية المتقدمة، فصاروا يتوهمون بتصوراتهم أنه لو تمكن

[1] حوراني، المرجع نفسه، ص30.

[2] هوفمان، المرجع نفسه، ص45.

[3] إدوارد سعيد، المرجع نفسه، ص72.

الإسلام وانتشر فسيعود الأمر لما كانت عليه أوربا ودول الغرب في مرحلة التخلف والعنف الذي مارسته الكنيسة ، فالإسلام يشبهها تماما في **عدم التسامح والسماحة**[1].

إنّ الخوف ورهاب الفكر الإسلامي عند الآخر الحضاري يُنظر إليه من عدة أوجه منها، تطرف المسلمين، فحسبهم لا مكان للتسامح في الإسلام فلا يتورع المسلمون في استخدام العنف لتحقيق مصالحهم وأهدافهم، ومنها كذلك نصوص الفكر الإسلامي الثابتة التي لا تتغير، فالإسلام من حيث هو موجود ومنتشر قد يساهم حسبهم في تشكيل الوعي العام للأوربيين بصورة مخيفة[2].

وهذا ما يدفعهم لاتخاذ الأسباب جميعها للحد من انتشار هذا الدين الذي لا يتوافق مع أيديولوجياتهم المادية التي تخشى من انهيار الحضارة بفعل الدين، **فمصطلح الإسلام لديهم يشمل فيما يبدو جميع جوانب العالم الإسلامي الشاسع المتنوع واختزالها جميعا في جوهر خاص يضمر الشر لا يعرف التفكير**[3]، ويتعارض مع التقدمية ويسعى لتفكيك الحضارة وغيرها من التصورات.

ولكي ينجح الآخر الحضاري في سياسته، وخطاباته التي تتهم الإسلام والمسلمين وتزرع فكرة غير سوية ومشوهة لدى المجتمعات الغربية يحرص هؤلاء على نشر **الدعايات المغرضة المزيفة للواقع والحق والمنادية بالويلات والثبور وعظائم الأمور تؤجج من جديد أجهزة الإعلام الغربي المتباينة من أوارها المسعور سواء في ذلك**

(1) هونكه، المصدر نفسه، ص8.

(2) اُنظر، دراسات سويسرية، المرجع نفسه، ص ص15-16.

(3) إدوارد سعيد، المرجع نفسه، ص77.

بالمحاضرات أو الصحافة و وسائل البث المسيطرة والسياسة المتحيزة غير المنصفة[1] في حق الإسلام والمسلمين.

فيصنعون من ذلك صورة سوداء تجعل من الغرب يتخذ حذره من كل ما يتعلق بالإسلام أو مجتمعاتهم، فنجد الكاتب البريطاني **فيديادر نايبول** صاحب روايتي **رجال حرب العصابات ومنعطف النهر** يصدر أكبر الروايات المتداولة في الغرب والمنتشرة في أوساطه، والتي تتعرض للإسلام بشكل لافت للنظر، ويحب الغرب الاستدلال بهما للدلالة على عنف وتطرف الفكر الإسلامي، والجميع يعرف حقد هذا الكاتب الشديد على كل ما هو إسلامي أو ينتسب إليه فهو يرى أن **الأصولية الإسلامية تفتقر إلى أي جوهر فكري ومن ثم لابد أن تنهار**[2] ، فهي حسبه عكس التقدمية وذات طابع كلاسيكي رجعي.

أزمة المسلمين الكبيرة اليوم مع الغرب الحضاري بدرجة أكبر من الغرب اللاهوتي فرغم قرب المسافة بين العالم الغربي والعالم الإسلامي ورغم وجود العلاقات التاريخية بين العالمين الإسلامي والمسيحي، والاحتكاك بينهما بحكم التوسع العثماني في أوربا الشرقية والثقافة السائدة للأقليات الإسلامية في أوربا الغربية والأقليات العربية الإفريقية في فرنسا والباكستانيين في بريطانيا والأتراك في ألمانيا.

كما يرى المفكر السويسري **إريك جيسلينج** أنه من الممكن أن يغرينا أن نقول ينبغي أن يكون هناك علاقة حسن الجوار بين حضارة أوربا الغربية القائمة على التقاليد المسيحية والعالم الإسلامي، والمواطنون في كلا العالمين يجب أن يعرفوا بعضهم بعضا معرفة جيدة ولكن عكس ذلك هو الصحيح، فمواطنو أوربا الغربية يشعرون أن المسلمين غرباء بالنسبة لهم، كما يشعر المسلمون أن الغربيين غرباء عنهم و قد أظهرت السنوات

---

[1] هونكه، المصدر نفسه، ص8.

[2] إدوارد سعيد، المرجع نفسه، ص75.

الماضية أن الطرفين ازدادا تباعدا عن التوصل إلى تفاهم متبادل بينهما، وقد كان هذا التفاهم دائما محدودا جدا، ومقتصر على الشكليات والمظاهر[1].

وهذه هي الحقيقة التي لا يمكن أن تتغير مهما حاولنا طمسها، فالغرب ينظرون للإسلام كما لو كان وحدة متجانسة جامدة، ثم ينظروا إليه بعد ذلك بمشاعر بالغة الخصوصية من العداء والخوف معاً، ولا شك أن لذلك أسبابه الدينية والنفسية والسياسية الكثيرة، ولكن كل الأسباب ترجع إلى إحساس الغرب بأن الإسلام لا يقتصر على كونه منافسا قويا بل يمثل كذلك تحديا حديث العهد للمسيحية[2].

وهذا في كل مرة يتهجمون عليه بسبب أو بدونه، فتشتعل أبواق الصحافة والإعلام الغربي، وتنطلق أقلام مفكريهم في نشر هذه الأوصاف والتصورات، ليصلوا في الأخير إلى دعوات عامة للقضاء على الإسلام مثلما يحدث في مسيراتهم المناهضة للفكر الإسلامي، ودعوات طرد الأقليات من بلادهم، وهذه من بين نتائج الموقف الحضاري المعادي للآخر المسلم، **ولا يمكن التقليل من شأن نتائج هذا الموقف حيث أصبح الغرب في موقف معاد للإسلام إلى الأبد**[3].

وقد استعمل الغرب الحضاري مختلف الأساليب القمعية العنيفة ضد المسلمين على بقاع الأرض، وقد يستغل هؤلاء أحيانا ثوب الدين لتبرير أعمالهم المتطرفة واللاأخلاقية ضد الفكر الإسلامي وضد المسلمين عموما، ومن أجل تأليب وتحريض العالم وتحفيز الناس ضد الآخر المسلم، وهذا ما يؤكده المفكر **آرشي أوغوستاين** في كتابه **(الحرب على الإسلام)** حيث يقول: **(إنّ بروز دعاة الحرب الغربيين قد حفز شعوب العالم أجمع، ويبدوا**

---

(1) دراسات سويسرية، المرجع نفسه، ص14.
(2) إدوارد سعيد، المرجع نفسه، ص71.
(3) أصف، المرجع نفسه، ص26.

أن الإلحادية والعلمانية الأساسية المتنكرة بثوب المسيحية الأساسية الأمريكية تخوض حربا شاملة ضد المسلمين والإسلام)[1].

فخلاصة القول أن المسلمين لا يتحكمون في مصيرهم، ما دام الغرب الحضاري يسيطر على زمام الأمور، وهذا ما يمكن وصفه بالأزمة الحقيقية، التي تقف أمام مستقبل المسلمين وتجعله غامضا في ظل استمرار العداء والعنف الغربي، وممارسة مختلف الأساليب من أجل بقاء وضع المسلمين على ما هو عليه.

ثانيا: المركزية الغربية وسلطة الاستعلاء و خطابات العنف البنيوي والتفوق الجنسي.

من بين الأسباب التي تشكل أزمة التعايش السلمي الراهنة بين المسلمين والآخر المركزية الغربية بوجهها الجديد، فبعد نجاح الثورة الصناعية، وتحقيق التقدم واستمرار مشاريع الحداثة الغربية، وازدهار الغرب بشكل عام، أصبح التمركز على الذات وإقصاء الآخر والاعتقاد الجازم بتفوق الغرب على الشرق، والأبيض على الأسود، والعلمانية على الدين، وغيرها من المسلمات التي صارت بديهيات عند الغرب الحضاري، فالنظرة التي تقوم في هذا المقام هو اختزال الآخر اللاغربي في حضارتهم بمعنى الانصهار الكلي والخضوع التام لأسس الحضارة الغربية دون مراعاة الهويات او التعددية الدينية والثقافية للشعوب غير الغربية.

فنزعة المركزية الحضارية الغربية هي التي صورت للغرب أنه بداية الحضارة التي بدأت بالإغريق والرومان وأنه نهايتها هي نهاية التاريخ[2]، والمترتب عن ذلك تصرفات الغرب الحضاري مع غيرهم، ويتجلى ذلك من خلال التصنيف، فقد قسموا العالم

---

[1] أوغستاين، المرجع نفسه، ص48.

[2] محمد عمارة، الإسلام والآخر، المرجع نفسه، ص135.

إلى قسمين غير متساويين[1]، وتم كذلك تصنيف الناس على حسب العرق والانتماء، وعندما استعمرت بريطانيا مناطق واسعة في القارة الإفريقية استخدمت العنصرية لتبرير سيطرة الشعب الأبيض على الشعب الأسود!!، وعلى حسب رأي **جونز** فإن مفهوم السواد حمل بمعان حادة حيث تضمن معنى أبيض وأسود الطهارة والقذارة، العفة والذنب، الفضيلة والدناءة، الجمال و القبح، الرحمة والشر، الله والشيطان[2].

وهنا يحق لنا أن نتساءل عن موقفها من حقوق الإنسان التي يدعي رواد الفكر المعاصر سعي الغرب الحضاري لتحقيقه على أرض الواقع ومحاربة الدكتاتوريات والتطرف بكل أنواعه، لكننا نجد أن الثقافة التي قامت عند الغرب الحضاري لا تكترث بالآخر، ولا بثقافته، فهم منحازون ويفضلون ثقافتهم عن باقي الثقافات الأخرى كما ينظرون للآخر في صورة المشوه وغير المكتمل والناقص والمنحرف عن المألوف ولا شك أن التباين الموجود بين الغرب والآخر ولد التعالي والاستعلاء الغربي وللاحتقار والاقصاء والتهميش للآخر[3].

إنّ المركزية التي يعيشها الغرب اليوم، جعلت شعور المواطن الغربي بالتفوق فوق كل التصورات، وهذ المعتقد السائد توارثه الجميع وجعلوا له حدودا دغمائية محددة جغرافيا بالحدود الأوربية، حتى **كانت إحدى هذه الصفات تفوق الأوربيين على غير الأوربيين وبررت هذه الآراء الجامدة الاحتلال الأوربي**[4] لأي بلد إفريقي، أو أسيوي أو لاتيني، ناهيك عن الاعتداءات على شعوب البلدان الإسلامية ليومنا هذا.

---

(1) أُنظر، إدوارد سعيد، المرجع نفسه، ص70.

(2) أصف، المرجع نفسه، ص101.

(3) أُنظر، جورج كاثرين، مقال الغرب المتمدن ينظر إلى افريقيا البدائية، ضمن كتاب البدائية، تحرير أشلي مونتاجري، ت: محمد عصفور، عالم المعرفة، عدد 53، الكويت، ص ص201-202.

(4) أصف ، المرجع نفسه، ص101.

كما أن هذه النزعة المركزية قد جعلت الثقافة الغربية تنكر تنوع العالم إلى حضارات متعددة ومتمايزة ومستقلة في ثقافتها، فزعمت أن الحضارة الغربية هي الحضارة العالمية، وأن العلم والتحضر قد بدأ بالإغريق وانتهى بالنهضة الغربية الحديثة وأن إسهامات الآخر –خاصة المسلمين– لا تعدو أن تكون إسهامات ساعي بريد الذي نقل تراث الإغريق إلى أوربا في عصر النهضة والتنوير[1]، وهذا أعلى درجات الإحساس بالتفوق والتفرد التاريخي بالعلم والمعرفة.

لأن الآخر الحضاري **المعاصر يعتبر نفسه وارث العالمية الهيلينية التي استوعبت حضارات الشرق التقليدية الإقليمية كافة وشملت المتوسط كله**[2]، وهنا تلمس ممارسات الإقصاء، للآخر خاصة المسلم، وإنكار دوره في ترقية العلم والمعرفة وبناء الحضارة الإنسانية والتطور الذي تشهده الحضارة الغربية، ففي عيون الغربيين يمثل الإسلام نزعة بدائية عادت للظهور ولا تقتصر على الإيحاء بالتهديد بالعودة إلى العصور الوسطى بل بخطر تدمير ما يشار إليه بانتظام بمصطلح النظام الديمقراطي للعالم الغربي[3].

إنّ حصيلة العنف التي طالت العالم المعاصر وقد كانت حصيلته مرتفعة جد، بل تصدرت قائمة القتل والإبادة عبر التاريخ بما يزيد عن المئة مليون قتيل في الحربين العالميتين[4]، وتعرض جميع سكان العالم للوحشية والعنف والدموية التي خلفتاها حروب العالم المادية، وقد كان بسبب هذه النزعة المركزية الغربية، فكان الاستعمار الغربي يستعمل العنف مع الآخر ليُبيد البنى الحضارية والثقافية للشعوب، وليُفني الأمم التي ابتليت

---

(1) محمد عمارة، الإسلام والآخر، المرجع نفسه، ص135.

(2) العلواني، المرجع نفسه، ص73.

(3) إدوارد سعيد، المرجع نفسه، ص149.

(4) اُنظر، نافيد س الشيخ، المرجع نفسه، ص ص9–10.

بهذا الاستعمار فمن يتقمص دور صاحب الرسالة الحضارية والإنجاز العلمي فهو الأقوى والأقوى هو الأصلح والأجدر بالبقاء[1]حسب طبيعة تفكيرهم.

إذا فلا مجال حتى للحديث عن التسامح أو التعايش السلمي في ظل وجود فكر غربي يمتاز بطابع الاستعلاء ويمارس الإقصاء والإبادات على باقي شعوب العالم وبالأخص المسلمين، فمن الطبيعي وفق هذه النزعة المركزية أن يصرع القوي الضعيف وتزيل الحضارة القوية الغازية البنى الموروثة للحضارات المغزوة –تراث الآخر– وتصيب العالم بالتغريب، ولقد ضمن الغرب راحة الضمير أو موته وهو يمارس هذا العدوان على الآخر الحضاري وبالذات الآخر الإسلامي، ذلك الميراث المشوه والعدائي الذي حفلت به ثقافته المدنية تاريخيا على اختلاف حقولها وميادينها إزاء الإسلام ومقدساته وأمته وحضارته[2].

فتشكل من خلال ذلك عائقا معقدا أمام مساعي التعايش السلمي أو التقارب الحضاري، وهذه من أعظم العقبات الراهنة التي تواجه الفكر الإسلامي المعاصر، وكأن هذا الفكر الذي طالما انتشر في مشارق الأرض ومغاربها، ملزم بالزوال أمام هذه الحضارة الغربية، بفعل استمرارية وديمومة مركزيتها التي تمارسها على المسلمين اليوم في ظل ركود حضارتهم، **فلقد انداحت هذه المركزية شبه العالمية لتفرض نفسها وقيمها وخصائصها على الناس جميعا ولتضع المعمورة كلها في دائرة تأثيرها بما في ذلك المسلمين وديارهم**[3] ومجتمعاتهم المحافظة على قيم الإسلام وأخلاق القرآن التي تدعوا لاحترام الجميع ونبذ الإكراه والاستعلاء.

---

(1) محمد عمارة، الإسلام والآخر، المرجع نفسه، ص135.

(2) نفسه، ص ص135–136.

(3) العلواني، المرجع نفسه، ص ص70–71.

ثالثا: الغرب الحضاري واستبعاد الآخر المسلم والتأسيس لخطابات الاقصاء.

لقد تأسس خطاب الإقصاء في الحضارة الغربية على فكرة الحذر والشك في كل ما هو ديني ولاهوتي خوفا من الوقوع مرة أخرى في دائرة التأثير الكنسي الذي ساد مرحلة العصر الوسيط، فصار الدين فوبيا تلازم الغرب الحضاري، وهنا نتساءل في ظل أزمتنا الراهنة عن واقع الإسلام وثقافتنا الإسلامية وعن البدائل الحضارية[1].

إن الغرب الحضاري يؤسس اليوم لثقافته المعاصرة الذي مهد لها منذ مرحلة النهضة، فحال الثقافة العلمانية الغربية إزاء الآخر الإسلامي على وجه الخصوص لم تكن أكثر إنصافا ولا أقل في درجات الإنكار والتشويه ومحاولات الاستئصال ولقد اتخذت هذه الثقافة الغربية في جملتها ذات الموقف الاستئصالي عبر تاريخها الوسيط والحديث والمعاصر، فسار الغرب الحضاري على درب الغرب اللاهوتي في ثقافة النفي و الانكار والاستئصال[2]، لهوية الآخر المسلم واستبعاده، فلا فرق بين ممارساته وبين ممارسات الآخر اللاهوتي كما ذكرنا من قبل، فقد شكلت الأفكار الزائفة المتفجرة السابقة الروح الصليبية الحربية عديمة التسامح والتي ولدت منها أوربا الحديثة[3] التي تدعي التحضر وتسهر وترافق حقوق الإنسان في العالم.

لن نبالغ إذا قلنا أن الغرب له نظرة لن تتغير عن مسلمين والفكر الإسلامي فقد تحدثت المستشرقة الألمانية **زيغريد هونكه** عن علاقة العالم الغرب المعاصر بالعالم العربي الإسلامي فأكدت على حقيقة أن ليس ثمة شعب يسيء الغرب فهمه كالعرب والعروبة وإن العلاقة بينهما منذ قرون تحت أثقال شتى وقد ساهمت الآراء السابقة في مسخها وتشويهها، بل إن شعوبا أخرى نائية غريبة عنا وشعوبا أخرى ذات أديان وضعية

---

(1) نفسه، ص ص70–71.

(2) محمد عمارة، الإسلام والآخر، المرجع نفسه، ص135.

(3) هوفمان، المرجع نفسه، ص49.

ليست من ديننا نقف منها موقفا سمحا مبسطا ليس بالمعقد على عكس موقفنا من الشعوب العربية المسلمة أو تلك التي تدين بالإسلام من غير العرب[1].

فالغرب الحضاري لا يقبل الفكر الإسلامي كما هو حاله في عصر التدوين او كما كان عليه في مرحلة تطور المسلمين، فلو قرر المسلمون الحفاظ على هويتهم وثقافتهم الموروثة على مر التاريخ فيكون نصيبهم من الغرب الحضاري الاضطهاد والرفض والمحاصر وديمومة القطيعة[2]

وحتى قبل انهيار الشيوعية صرح **نيكسون** في كتابه **(الفرصة السانحة)** أن الإسلام هو عدو الغرب الحضاري، بل يجب أن يزول ويندثر لأنه عائق أمام أي تطور، كما صرح بأن الغرب يكره المسلمين كثيرا حيث يقول: **(إن الكثير من الأمريكيين قد أصبحوا ينظرون إلى كل المسلمين كأعداء ويتصور كثير من الأمريكيين أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة ودمويون وغير منطقيين وأن سيوف محمد وأتباعه هما السبب في انتشار الإسلام في آسيا وإفريقيا وحتى أوربا)**[3].

فكلام رئيس دولة متحضرة يصدر تصريحا عدائيا ضد الآخر، ويعتبره عدوا ودمويا وعنيفا وغير مؤهل ليرتقي إلى درجة الحضارة، تدل على مكانة الفكر الإسلامي على الهامش ولا فرصة لديه أمام تعنت الآخر الحضاري الإقصائي الذي أصبح يصاب اليوم بالفزع والخوف من ذكر الإسلام والمسلمين على حد سواء، فلذلك يهاجمونه في كل مرة، رغم تفكك دوله، فلم تعد هناك روابط تجمعهم، ولا راية تضمهم، فرغم إدراكهم

(1) هونكه، المرجع نفسه، ص7.

(2) العلواني، المرجع نفسه، ص71.

(3) محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية، المرجع نفسه، ص ص57-58.

الكبير بأن المسلمين لا يمكنهم زعزعة أمنهم واستقرارهم لا في المستقبل ولا في الحاضر إلا أنهم يتطلعون لإقصائهم بأي شكل من الأشكال[1].

إن منظور الآخر الحضاري اليوم لغيره بما فيهم المسلمين بدرجة أكبر هو منظور ميكانيكي مبني على التصادم، والتدافع، وهنا تفهم بأن سبيل تحسين العلاقات من أجل التعايش وضمان الأمن والسلم لا جدوى منه، لأن النسق الغربي الحضاري كون ذاته على أساس الصراع والاستعلاء على الآخرين فالنسق الغربي الحضاري تنابذي يعتمد على سيطرة القوى بعضها على بعض والتحكم في كل شيء بمنطق القوة[2]، والاخضاع من أجل الانصهار أو الزوال.

ومشكلتهم الرئيسية في هذا العصر هو الفكر الإسلامي ومحافظة المسلمين على قيمهم الثقافية والدينية، وحول ذلك يقول المفكر الأمريكي **فوكوياما: (إن الحداثة التي تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية والديمقراطيات المتطورة ستبقى القوة المسيطرة** ... **وإنّ الإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة في العالم التي لديها مشاكل أساسية مع الحداثة** ... **إنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي تقف ضد الحداثة الغربية)**[3]، فوجب تحييد الفكر الإسلامي في نظره، لدوام التقدمية وتخطي دعوات الدين الرجعية.

ومن أمثلة الإقصاء المتعمد للفكر والحضارة الإسلامية، تجاهل الآخر الحضاري للتراث الإسلامي، وفكر المسلمين الأدبي والعلمي، فلا يتطرقون إلى إنجازات المسلمين في المرحلة الوسيطية، متعمدين إنكار ما قدمته هذه الحضارة العظيمة للإنسانية على مدى قرون من الزمن، فالغرب الحضاري يسعى دائما لإزاحة الآخر المسلم من الساحة الفكرية

---

[1] أُنظر، عبد السلام حمدي اللمعي، صراع الحضارات وحوار الدبابات، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2005، ص ص158-159.

[2] العلواني، المرجع نفسه، ص86.

[3] محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية، المرجع نفسه، ص ص49-50.

بكل الأساليب الممكنة، فعلى سبيل المثال في عالم الكتب العلمية والفكرية لا نجد ذكر لأسماء رواد الحضارة الإسلامية كالكندي وابن النفيس أو السهروردي أو ابن عربي أو الخوارزمي والبيروني والكل يعلم إسهاماتهم في حفظ تراث الإغريق ، فقد نجد ذكر لابن سينا وابن رشد لكن بأسمائهم الغربية (averroes) و(aviecenna) وهذه دلالة واضحة على تجاهل الآخر في سباق التفوق الحضاري الذي يمارسه الغرب[1].

المطلب الثالث: المسلمون و الآخر اللاهوتي و رهانات التعايش السلمي في ظل التعددية والاختلاف – وثيقة الأخوة الإنسانية أنموذجا–.

يسعى رواد الفكر الإسلامي من علماء وفقهاء وباحثين للوصول إلى أفاق مستقبلية تضمن التعايش السلمي مع الآخر، وتحقق العيش المشترك وسط موجة الإنكار والقطيعة الممارسة بشكل غير عقلاني وغير مسبوق في هذا العصر، ولا شك أن تحقيق ذلك ظل صعبا معظم الأوقات ، لعدة أسباب منها تعصب الآخر ونظرته للفكر الإسلامي، وكذلك وضعية المسلمين الراهنة التي تضعهم في خانة الاتهام بالعنف والتطرف، وحرص الغرب الحضاري على محاولة إعادة تأسيس الفكر الإسلامي وفق منظوره ورغباته، فلذلك نجد أن الحوار الفكري الطابع كان يشق طريقه بصعوبة[2].

لكن وبالنظر لحاجة جميع الأطراف إلى وضع حد للصدام الذي خلف من وراءه أحقاداً وضغائناً، أثرت بشكل مباشر في السلم العالمي وخلقت فجوة كبيرة بين بني البشر

(1) هوفمان، المرجع نفسه، ص ص54–55.

(2) يوسف الحسن، الحوار المسيحي الإسلامي الفرص والتحديات، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، (ط1)،1997، ص41.

فأصبح لابد من حوار فكري و ديني هادئ **يكون وسيلة لتنفيس أزمة ومنع انفجارها**[1] مثلما هو الحال مع أزمة العلاقات الدولية بين المسلمين والدول الغربية.

لا يخفى علينا أن هناك مبادرات من الطرف الثاني للوصول إلى حلول جدية تضع حدا للتطرف الممارس اليوم، فمن جانب المسلمين فباب الحوار دائما مفتوح، فهم يعترفون بكل الشرائع و الملل و جميع النبوءات والرسالات و سائر الكتب والصحف والألواح التي مثلت وحي السماء إلى جميع الأنبياء والمرسلين منذ فجر الرسالات السماوية وحتى لآخر و خاتم هذه الرسالات وفق هذا الاعتراف هناك القداسة والتقديس والعصمة والإجلال لكل الرسل و جميع الرسالات[2].

وعملا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾**{العنكبوت:46}**، وهوما تجسد في حوار البابا فرنسيس مع الشيخ أحمد الطيب هذه الأيام وتجسد ذلك في وثيقة **الأخوة الإنسانية.**

أولا: الحوار الديني بين المسلمين والآخر اللاهوتي الضرورة والدافع.

الصراع الذي يعرفه العالم اليوم، والتدافع الكبير من أجل السيطرة، وفرض الهيمنة، بين القوى التي تنتهج مناهج لا عقلانية، وبعيدة عن القيم الإنسانية جعل من الأرض ساحة حرب، ساد فيها الخوف من مستقبل البشرية المجهول والذي يزداد غموضا كلما قرعت طبول الحرب.

---

[1] محمد السماك، مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ط1)، 1998، ص79.

[2] محمد عمارة، الإسلام والآخر، المرجع نفسه، ص20.

وبفعل الصراع الذي لم يستثني أحد، فأصبحت ملامح الحياة المعاصرة مؤلمة، ملامح اختلط فيها الدم بالعرق و الفرح بالحزن والضيق بالفرج والبناء بالهدم إنها ملحمة المدافعة الباقية بين القوى كلها المسيطرة في الأرض سواء كانت قوى مادية أو معنوية قوى للخير أم للشر وهذا الدافع الدائم بينها صاغ تاريخ الإنسان على مر السنين فساهم الدين وتعاليم الرسل والأنبياء وأحيانا الحذر والخوف بضبط تلك العلاقات المتصارعة وتبيين حدودها[1]، وهذه العلاقات هي ما تضمن استمرارية الحياة السلمية بين الجماعات والدول كافة، دون تمييز أو تحييز لفئة أو عنصر، وحقنا للدماء وحفاظا على سلامة الأرواح.

إنّ الوصف الرهيب للإسلام في تصور الغرب اللاهوتي كان كذلك بفعل بعض الأكاديميين المتعصبين والحاقدين على الفكر الإسلامي والمسلمين، فقد دأبوا على تناول هذا الدين وشتى ثقافاته في إطار ايديولوجي اخترعوه أو حددت الثقافة صورته، فامتلأ بالانفعال والتعصب المعهود في الدفاع النفسي وأحيانا بالنفور وهذا الإطار هو الذي يجعل تفهم الإسلام في غاية الصعوبة[2]، فينقلون صورة خاطئة على تعامل الإسلام مع المرأة أو الأسرى أو في التفاهم والتعايش بين الشعوب وغيرها من الأمور التي يتناقلها هؤلاء حول الإسلام، ولاشك أن هذا كان دافعا قويا لممارسة القطيعة مع المسلمين، إلا أننا نجد بعض العقلاء من الآخر اللاهوتي من فتح بابا للحوار من أجل تفعيل التعايش السلمي.

ففي الفكر الإسلامي توجيه صريح لنبذ العنف والعمل بمقتضى التسامح العالمي مع جميع البشر فليس من شيمنا الاستعلاء أو التحيز أو الإقصاء أو تكريس الصراعات الحضارية بين البشر لنسود عليهم فعالميتنا الإسلامية و خروج أمتنا من قبل بالرسالة الخاتمة إلى الناس كافة واستيعابنا للحضارات والثقافات والأعراق وختم النبوة الوارثة

(1) القحطاني، المرجع نفسه، ص ص161–162.

(2) إدوارد سعيد، المرجع نفسه، ص75.

لكافة النبوات والدين الإسلامي الوارث لكافة الرسالات و إلغاؤنا بتوجيه من الرسول ﷺ لثنائيات الحضارات المتصارعة والتزامنا بعقيدة التوحيد و التعارف بين الناس وإيماننا بالأمر الإلهي يوجب علينا الدخول في السلم كافة فكل هذا لا يسمح لنا أن ننغمس في تعصب أو تحيز ضد الآخرين أو استعلاء عليهم[1]، وكان هذا من بين أهم الأسباب والدوافع لقبول الآخر الحوار مع المسلمين.

كما نجد في الفكر المسيحي دعوات صريحة ومباشرة لنبذ التطرف واستعمال القوة مع أي شخص أو جماعة، وهذا منطق المنصفين من رجال الدين المسيحي الذي يسعون لتحقيق وتطبيق ذلك في الواقع، فنصوص التسامح في العهد الجديد كثيرة كلها تتفق في محتواها على توجيه الخطاب للناس عامة، ولا تستثني أحد، وفي مطلع هذه الألفية وبعد أحداث برجي التجارة، تغيرت السياسية الغربية كثيرا اتجاه المسلمين وزادت من تعقيد وضعيتهم عن السابق، خاصة بعد الهجمات العلمانية ودعوات التصفية والإبادة للمسلمين ولفكرهم المتطرف والعنيف حسب الوصف الإعلامي.

إلا أننا نلمس ملامحا للإنصاف في موقف الكنيسة الكاثوليكية (روما)، فقد تبرأ **باسكوالي بورجوميو** من قرار الغرب الحضاري في قتالهم وانتهاجهم العنف والقوة بسبب هذه الأحداث فقال: **(في الوقت الذي يدعوا الفاتيكان إلى التعقل ويشجع العمل الديبلوماسي ويدافع عن القانون الدولي نرى في الجانب الآخر قوة عظمى تقودها إدارة خولت لنفسها مهمة إنقاذية مقدسة واتخذت لهجة ومواقف صليبية)**[2].

(1) العلواني، المرجع نفسه، ص78.

(2) محمد عمارة، الإسلام في عيون غربية، المرجع نفسه، ص ص47-48.

فالآخر الحضاري يتخذ من الدين درعا لتطبيق وتحقيق المصالح المادية وهذا ما تفطن له القس يوحنا[1]، الذي عارض موقف الغرب من الإسلام، وهذا يلخص لنا مبدأ الكنيسة الكاثوليكية من أعمال العنف والتطرف وخطابات الكراهية ويبين الفوارق بين القوى المادية العلمانية، والسماحة الدينية اللاهوتية الغربية المعاصرة.

سبق وأن ذكرنا تعامل المسلمين مع الآخر من زمن النبوة إلى سقوط الخلافة لم تتغير معاملة الآخر، فكانت مبادئا صارمة لا تقبل التعطيل أو التعليق والتجاوز، وهذا ما تأسس عليه الفكر الإسلامي الصحيح، بغض النظر عن بعض التجاوزات التي طالت الآخر، فهي تمثل المعتدين فقط ولا صلة لأعمالهم بالإسلام، وفي تاريخ العلاقات المسيحية الإسلامية ومنظور الآخر للإسلام على سبيل المثال نجد نوعا من أنواع الملاينة في المعاملة، ويتجلى ذلك في وصفهم للإسلام أو رسول الإسلام وتاريخهم وحضارتهم وفي هذا العصر إن قلّ ذلك إلا أنه يبقى موجودا.

على غرار ما ذكره الدكتور **جونسون** الذي يرى أن العالم بربريا ما عدا العالميْن الإسلامي والمسيحي، أو الأستاذ **جوزف هوايت** الذي يثني على النبي ﷺ في محاضراته في جامعة أوكسفورد، كما قام العديد من الغربيين بترجمة القرآن إلى اللغة الإنجليزية مثل **جورج سايل**، وإلى اللاتينية عن طريق **لودوفيكو ماراتشي** وغيرهم، ومنهم من ألّف حول حياة المسلمين وتاريخ حضارتهم، وهذا كله يبين قبول الآخر المسلم عند المسيحيين واعتقادهم الجازم بأنه قدم دورا مهما في هذا العالم[2].

---

(1) نفسه، ص48.

(2) أُنظر، حوراني، المرجع نفسه، ص21.

ثانيا: المسلمون والآخر ضرورة تأسيس الحوار من أجل التعايش السلمي.

لابد لنا من توضيح بعض النقاط تلك المتعلقة بالعلاقات الدولية الراهنة وعلاقات الأفراد والجماعات بعضهم ببعض، وأهداف الشرائع السماوية من ذلك، فطريق البشرية لم يؤسس على السلم المطلق منذ نشأة الإنسان وفي أول بداياته، فالشرائع الكتابية السماوية جاءت متتالية لتنظيم شؤون البشر، بغية تحقيق الأمن ووضع حد للعنف الذي يتصف به الإنسان.

فالمجتمعات قاطبة كانوا بلا شرائع وبلا قوانين تحد من الأعمال الوحشية التي سادتها والطقوس البدائية القائمة على العداء والاعتداء، ورغم ذلك فإن **للناس مع بعضهم روابط وثيقة و صلات متينة ومعاملات لا غني عنها وليس بميسور لأي إنسان كائنا من كان أن يعيش منعزلا**[1].

ما يسود العالم اليوم للأسف لا يمت بصلة لتقاليد الدين ودعواته ولا يشرف الإنسانية ولا ينتسب للأخلاق والقيم، فالإنسان يعيش حربا لا هوادة فيها ولا تراجع، ولا يوجد مخرجا من ذلك إلا بتفعيل أساليب التسامح والسلم وأهمها الحوار بين أكبر أمتين متناحرتين في هذا العصر.

لم يقم مذهب من المذاهب، ولم تنتشر الأفكار عبر الزمان إلا عن طريق الحوار والإقناع فتنتقل أليا في عقول الناس، وهي سنة الأنبياء والمرسلين، فنوح لبث في قومه يحاورهم أكثر من تسعة قرون، والأنبياء من بعده كذلك فعلوا، وهو منهج المصلحين والحكماء عبر العصور، ومنهج فلاسفة الهند واليونان والصين، ولا يزال المصلحون في

---

[1] جعفر عبد السلام وأحمد السايح، المرجع نفسه، ص36.

كل عصر ينتهجون سبل الحوار والجدل لبلوغ الأهداف التي يتسنى من خلالها للناس العيش في عالم أفضل(1).

أسلوب الديانات لم يختلف ولم يتغير فهو ثابت مستقر في صفحات الكتب المقدسة المشعة بالحث على الحوار والجدال الهادئ المثمر، فالحوار في الفكر الديني المسيحي مع المخالفين كانت لغة السيد المسيح وكان يستخدمها مع الأفراد والجماعات والأمم المختلفة فتحاور مع اليهود عامة، ومع الصدوقيين حول القيامة والبعث، ومع رؤساء الكهنة عن المعجزات ومع رؤساء اليهود وكان يستعمل نفس المنهج أتباعه بعد رفعه عليه السلام كما احتوت رسائل بولس الرسول على الكثير من الحوارات مع المسيحيين وغيرهم(2).

إنّ الحوار الهادف الذي يطمح إليه المسلمون اليوم، يجب أن يتميز باحترام الثواب والقيم والخصوصيات والثقافات والعقائد، لا يقوم على الإكراه وإلغاء الآخر، ويشمل جميع الجوانب السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية والفنية والأدبية، ويكون مبني على التعارف والاعتراف، ويبعد كل مظاهر الخلاف، والتصادم، ويهدف إلى التعاون والتقارب، كما يلتزم المحاور الغربي الآخر اللاهوتي على سبيل المثال بالتعددية الدينية والثقافية ويحترم هوية الآخر، ويعترف بقيمة وفضل الآخر غير المسيحي التاريخية الحضارية، كما يعترف بتداول الحضارات ودولة ذلك التاريخية وعجلتها الزمنية المستمرة، بعيدا عن التعصب أو التطرف أو الاستعلاء أو ممارسات التقزيم والتصغير والتحقير للآخر غير المسيحي(3).

---

(1) السرجاني، المشترك الإنساني، المرجع نفسه، ص ص589-590.

(2) أنمار محمد أحمد، الحوار بين أتباع الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام الأفاق والتحديات، دار الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، سامراء، العراق، (ط1)، 2022، ص، ص61-64.

(3) أُنظر، الجراد، المسلمون وحوار الحضارات، المرجع نفسه، ص ص51-52.

إن توضيح الرؤية الإسلامية للعلاقات الدولية في عصرنا هذا وما يمكن أن تؤدي إليه من تعايش سلمي يصبح ضرورة شرعية بل و ضرورة وجود و حياة لأمتنا التي لا تزال موضع هجوم وابتزاز يستهدف استئصال ثقافتها والقضاء على نظمها المعرفية لا سلم ولا أمن ولا سعادة ولا طمأنينة للعالم إلا بأن تدخل البشرية كلها في السلم كافة فلابد من كتاب كوني معجز صادر عن مصدر متعال متجاوز يعرف كيف يقضي على الأساطير العرقية و العنصرية التي شادت بناءها علوم الإناسة واللغويات وأصل الأنواع وما بني عليها ليعيد للإنسانية إيمانها بخالقها ثم بوحدتها الإنسانية ووحدة الكون الذي تعيش فيه[1]

ومهما تكن آراء المسيحيين الأوروبيين وغيرهم حول الإسلام والمسلمين فلا يمكنهم أن ينكروا أنه كان عاملا مهما في تاريخ البشرية[2]، وما قدمه للعالم أجمع فالحضارة الغربية امتلكت المقومات الحضارية قبل نشأتها الأولى وأثناء بنائها وسيرورتها[3]، وحضارة المسلمين كانت القاعدة الجوهرية التي انطلقت منها وتأسست من خلالها.

ولا شك في أن العلاقات السليمة والحوار دور كبير في تحقيق التواصل الحضاري وبناء الثقافات وهذا لا يتم إلى بمعية الآخر اللاهوتي، فبسببه انطلقت خطابات التطرف وتوارثها الآخر الحضاري كما ذكرنا سابقا، أما الأصل في علاقات الشعوب والقبائل التعارف والحوار كما قال الخالق تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ

(1) العلواني، المرجع نفسه، ص، ص63-65.

(2) حوراني، المرجع نفسه، ص20.

(3) العلواني، المرجع نفسه، ص117.

وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[1].

ثالثا: المسلمون والآخر المسيحي وأسس التنظير للعيش المشترك والتعايش السلمي – تأملات في وثيقتي مكة والأخوة الإنسانية.

لقد كانت قيادة الدنيا في ما مضى، شرقية بحتة، ثم صارت بعد ظهور حضارتي اليونان والرومان غربية خالصة، ثم نقلتها النبوات إلى الشرق مرة ثانية، ثم غفا الشرق غفوته الكبرى، ونهض الغرب نهضته الحديثة، فورث الغرب القيادة العالمية، وها هو الغرب يظلم ويجور، ويطغى و يحار ويتخبط[2]، بلا حسيب.

إن نظرة المسلمين للآخر المسيحي سواء كان يعيش معهم في مجتمع واحد، أو تربط بينهما علاقة تجارة أو سياسة أو جوار، أو أي تواصل بأي شكل من الأشكال، لم تختلف في حقيقتها ونحن نقصد المسالمين منهم، ممن لم ينازع المسلمين بسلاح أو خطاب كراهية أو بعنف، فقد قال الله عنهم في كتابه: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾{**المائدة:82**}.

إنّ هذا الاعتراف القرآني بأخلاق بعض رجال الدين المسيحيين، يدل على منزلتهم عند المسلمين، وطبيعة التعامل معهم، وواقع التعايش معهم أكده البطريك **تيودوسيوس (Theodosuis)** من بيت المقدس عن علاقة المسلمين بالمسيحيين[3].

ومنذ مدة غير بعيدة تجلت بعض الملامح التي تبعث نوعا من أنواع السكينة في طبيعة العلاقات المسيحية الإسلامية، تمثلت في **وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام**

---

(1) سفير الجراد، المسلمون وحوار الحضارات، المرجع نفسه، ص49.

(2) أُنظر، حسن البنا، مجموعة الرسائل، دار الدعوة، الاسكندرية، (ط1)، 2001، ص69.

(3) هونكه، المرجع نفسه، ص20.

العالمي التي وقعاها شيخ الأزهر الشريف **أحمد الطيب** وبابا الفاتيكان **فرنسيس** بدولة الإمارات المتحدة، فكانت حلقة أخرى تُضاف إلى سلسلة الأعمال الإنسانية ذات الطابع التسامحي الذي يكفل العيش المشترك، التي نظّمها المسلمون مع المسيحيين عبر التاريخ.

وبعدها بسنة واحدة انعقد مؤتمر كبير جدا بمكة المكرمة بحضور ما يزيد عن الألف عالم من علماء وفقهاء الأمة الإسلامية ليقرروا مجموعة بنود في وثيقة سميت بوثيقة مكة المكرمة•، التي تطرقت إلى نفس القضايا والمسائل المعاصرة التي تؤرق الإنسان بمختلف أيديولوجياته، فهي لا تقل شأنا عن وثيقة الأخوة الإنسانية، خاصة وأنها انعقدت بجانب حرم مقدس ذو بعد روحي بالنسبة للمسلمين.

ضمت وثيقة الأخوة الإنسانية الأخلاقية مجموعة مبادئ وبنود وأعراف نصت عليها الديانتين الإسلامية والمسيحية لمواجهة مشاكل الأمم السياسية والثقافية والاجتماعية وقد تم تلخيص كل ذلك في (18) صفحة، استُهلت هذه الوثيقة بأهم مبادئ تأصيل الأنسنة

• صدرت في مكة المكرمة بجوار الكعبة المشرفة عن مؤتمر وثيقة مكة المكرمة المنعقدة خلال 22–24 من رمضان 19440، الموافق ل27–29 من ماي 2019، برئاسة محمد عبد الكريم العيسى، وبحضور أكثر من 1200 عالم إسلامي، وبمشاركة أكثر من 4500 مفكر إسلامي من أكثر من عشرين دولة إسلامية، تناولت 29 مسألة عالمية دينية ومعاصرة، احتوتها عشرة صفحات، ومن أهم الأمور والمسائل والقضايا التي تطرقت إليه4ه هذه الوثيقة، أصل الخلق والمساواة، ومنها التنديد ورفض العنصرية وخطابات الكراهية والإقصاء والتمييز العنصري والفصل النوعي، كما تناولت قضايا العيش المشترك، والتعايش السلمي، ومسألة التعدديات الدينية و الثقافية، وأصل الدين الأساسي والتوحيد، والحوار الحضاري، والحث على ترك العنف والتطرف ونبذهما، ودعوى التسامح والانفتاح الحضاري، ومكافحة الإرهاب، كما تناولن هذه الوثيقة أطروحة الصراع الحضاري والتباعد الاجتماعي، ومسألة الإسلاموفوبيا، وقضايا المواطنة ومناخ التعايش السلمي الفعال و الإنساني، وتجريم الظلم و الاعتداءات على دور العبادات المختلفة، وحفظ الأنفس وصونها من الاعتداءات، والعناية بالنساء والأطفال، وغيرها من القضايا و لمسائل المعاصرة بالغة الأهمية، محمد عبد الكريم العيسى، وثيقة مكة المكرمة، عن مؤتمر وثيقة مكة المكرمة، مكة، المملكة العربية السعودية، ماي 2019، الموافق لرمضان 1440.

وحقوق البشر ألا وهي المساواة بين الناس جميعا[1]، بين الذكر والأنثى وبين الأسود والأبيض بلا تمييز أو تفريق.

فقد جاء في رسالة بولس الثانية لأهالي **كورنثوس** ما يلي : (**فإنه ليس لكي يكون للآخرين راحة ولكم ضيق 13 بل بحسب المساواة لكي تكون في هذا الوقت فضالتكم لإعوازهم كي تصير فضالتكم لإعوازهم حتى تحصل المساواة 14**)(**2كو8:13–14**)، أما في القرآن الكريم فيذكر الله الناس بأصلهم حتى لا يتفاخر ولا يتعالى بعضهم على بعض[2].

والنبي ﷺ يوم فتح مكة ذكّر الناس بحقوقهم المتساوية، ونهاهم عن أفعال الجاهلية والاستعلاء والتفاخر بالآباء والأنساب ثم ذكّرهم بأصل خلقهم من آدم، وأنّ آدم من تراب ثم تلا هذه الآية والمساواة الإنسانية بلا شك هي الركن الأساسي الذي لو تحقق لتوقفت حروب العالم وعنف البشر ولتسيّد التسامح مشارق الأرض ومغاربها.

كما جاء في الوثيقة دعوة عامة لنشر قيم التسامح والمحبة لكي يعم السلام بين الناس ومن أجل تحقيق سبل العيش المشترك، وفيها تذكير بحرمة الأرواح وحرمة إزهاقها، ودعاوى لنبذ الحروب ومختلف أشكال العنف والتعصب والظلم دون إقصاء أو تمييز، وهو ما جاء في الوصايا العشر في العهد الجديد في إنجيل متى وأهمها تحريم القتل (**متّى 19 :18**)، وهو ما يتضمنه القرآن الكريم في العديد من الآيات منها (**النساء:93**) و(**الإسراء:33**) و(**المائدة:32**) و(**الفرقان:68–69**) وفي الكثير من الأحاديث النبوية، فالإسلام يريد أن يعيش الإنسان في جو الاطمئنان، والاستمتاع بالحياة الإنسانية استمتاعا

---

[1] الطيب وفرنسيس، وثيقة الأخوة الإنسانية، دولة الإمارات المتحدة، أبو ضبي، 2018، ص1.

[2] كما جاء في سورة الحجرات الآية 13.

يرفع الإنسان في سلوكه مع نفسه ومع غيره[1]، لكي تتحقق مقاصد الدين في ضمان السلم والأمن للناس جميعا.

فوثيقة الأخوة الإنسانية حذرت من استمرار وضع البشرية على ما هو عليه من استخفاف بالأرواح، حتى أصبح تعداد الضحايا في هذا العصر لا يقارن مع ما سبقه، فالحروب ذات طابع الديني في المراحل متقدمة وإن وصفت بالهمجية، إلا أنّ حصيلة عنفهم على مدى قرون لم تبلغ عُشر ما فعله الإنسان في حروبه المادية في عقد واحد من الزمن في هذا العصر وبدون مبالغة[2].

ومن بين أهم النقاط الأساسية التي تضمنتها الوثيقة هي النداء الصريح لرجال السياسية وقادة العالم ورجال الدين والمفكرين والفلاسفة والفنانين إلى تفعيل قيم المحبة والسلام في خطاباتهم وإنتاجاتهم ومقالاتهم[3]، ولا شك أن هؤلاء يعتبرون أعمدة المجتمعات وإليهم تعود أمور الناس من حيث توجيههم في شتى مجالات الحياة، فمثلهم كمثل حقول للاقتباس في المجتمعات، فإن صلح هؤلاء صلحت المجتمعات .

اللافت للنظر في هذه الوثيقة هو التطرق إلى أهم أسباب ودوافع الحروب والنّزاعات في العالم وكثرة القتال والجرائم التي تحصد أرواح البشر بلا هوادة، فقد جاء فيها أن أهم أسباب أزمة العالم المعاصر **يعود إلى تغييب الضمير الإنساني وإقصاء الأخلاق الدينية وكذلك استدعاء النزعات الفردية والفلسفات المادية التي تؤلّه الإنسان وتضع القيم المادية الدنيوية موضع المبادئ العليا المتسامية[4].**

---

(1) عبد السلام والسايح، المرجع نفسه، ص35.

(2) س.الشيخ، المرجع نفسه، ص، ص9–28

(3) الطيب وفرنسيس، المصدر نفسه، ص ص3–4.

(4) نفسه ص4.

وفي هذا تذكرة بالتحولات التي شهدها العالم بعد تحييد الدين وتعطيل دور رجاله، فكما هو معلوم فإن قيادة الحضارة كانت في الماضي شرقية بحتة، ثم صارت غربية خالصة(حضارة اليونان والرومان)، ثم نقلتها النبوات إلى الشرق مرة ثانية(حضارة المسلمين)، ثم سقوط حضارة الشرق وقيام حضارة الغرب، فورث الغرب القيادة العالمية، وها هو الغرب يظلم ويجور، ويطغى ويحار ويتخبط[1].

وأما الفلسفة المادية التي قامت على تحييد الدين وإعطاء المادة طابع اللاهوتية في كل شيء هي أحدى أهم أسباب ودواع حروب البشر، في القرن الماضي، ومطلع هذا القرن في العالم، مثل الفلسفة الماركسية والشيوعية والداروينية والبرجماتية، فقد تسيدت تصدير قرارات العالم والعلاقات بين الشعوب والأمم[2]، كما أنها تمارس العنف والتطرف بداع التفوق الحضاري واستمرارية الرقي والتطور، والحاصل هو دخول الناس في دوامة ما بين تطرف علماني إلحادي، أو تطرف ديني مبني على التعصب الأعمى والناتج هو حالة العالم المأسوية اليوم التي تقف على حافة حرب عالمية تدميرية ثالثة[3].

وأكدا البابا فرنسيس والشيخ الطيب في هذه الوثيقة على ضرورة الحذر من الانغماس في حب الملذات الدنيوية، وإقصاء المهمشين من الناس، واجتناب العنف بكل أشكاله، وذلك لا يكون إلا بإيقاظ النزعة الدينية، من أجل حماية الأجيال القادمة والنشء الذي لن يكون إلا إفرازا لما يتعلمه من مجتمعه، فالوثيقة التي حرص البابا فرنسيس وشيخ الأزهر، على إيصالها للعالم، هي رمز للتسامح والتعاون لتفتح أبواب العيش المشترك، فكما أن في المسيحية نداء السيد المسيح إلى المساواة بين الناس وتوصيات

---

(1) البناء، المرجع نفسه، ص69.

(2) المسيري عبد الوهاب، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر، دمشق، سوريا، (ط4)، 2010، ص7.

(3) الطيب وفرنسيس، المصدر نفسه، ص ص4-5.

لأتباعه في أن يعاملوا الناس بمثل ما يحبون أن يعاملوا به فكانت دعوته تصحيحا للفساد الذي سبق دعوته[1].

إن العيش المشترك السلمي والهادف، القائم على روح التسامح بين الناس مهما كانت اختلافاتهم الدينية وخلفياتهم الثقافية، لن تقوم في هذا العصر إلا بإعادة رد الاعتبار للدين كمصدر وحيد لتأصيل الأخلاق والقيم، وبلا شك أنّ إحياء النزعة الإنسانية في الدين يسارع في تقويض ثقافة الاستبداد، ويفضح المشاريع المادية الزائفة التي لم تؤسس إلا لخدمة الفئويات وبعض الأمم المتعالية[2]، التي تحسب نفسها فوق باقي الأمم شرفاً وقوةً.

---

(1) الواعي، المرجع نفسه، ص47.

(2) الرفاعي، المرجع نفسه، ص ص197-198.

خاتمة:

بعد دراسة وتحليل أهم عناصر وجوانب الإشكالية عبر مختلف فصول ومباحث هذه الرسالة نخلص إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها كما يلي:

العنف يحمل في معناه مدلولا لا أخلاقيا يتنافى مع جملة المعتقدات والقيم والتقاليد والأعراف والسياقات الثقافية التي عرفها الإنسان منذ القدم، فهو يحمل في معناه الأعمال والأفعال المشينة التي يستقبحها ويستهجنها الإنسان عند جميع الأمم والحضارات وعلى مرّ العصور والأزمان، عكس التسامح الذي يعني التساهل والرفق ويدخل في جملته كل الأعمال والأفعال الأخلاقية التي يستحسنها الإنسان ويسعى إلى تفعيلها في المجتمعات التي يعيش فيها.

عرفت الأرض جدل العنف والتسامح قبل خلق الإنسان بأمة من الدهر، فلذلك لما قال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ردت عليه الملائكة على وجه الاستعلام والتعجب ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، فقال الله:﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وهنا تفهم أنّ الحكمة في ذلك هي ما سيكون من بعد العنف، أو ما يعرف بصراع الخير مع الشر في تاريخ هذا الإنسان، وأنه ستكون هناك مقاومة لهذا العنف الذي يمثل الشرّ بالتسامح الذي يمثل الخير.

فأول حادثة جدل بين العنف والتسامح في تاريخ البشرية جمعاء وقعت بين ابني آدم عليه السلام، وقد وردت القصة مفصلة في الكتب السماوية، وهنا تدرك الأبعاد الدينية للاعتبار بهما من حيث التصرف في الأزمات، وتكون هذه القصة كأحد الحلول والبدائل الأخلاقية للإنسان كي يُحقق السلم والأمن ويتخطى بذلك الفساد وسفك الدماء، والحروب والمواجهات التي تهدد بزواله.

لقد بدأ العنف الديني مع اليهود بحكم أنهم أول أمة كتابية، كما أنّها كانت تستند على التوراة في توجيه تصرفات اليهود، وضبط علاقتهم مع غيرهم من الأمم، وفي تاريخهم الطويل نجد العنف الديني قد نال مساحة كبيرة في كتبهم التفسيرية للتوراة ونقصد بذلك التلمود بشقيه الجمارا والمشنا، فقد تضمنا خطابات كراهية لباقي الأمم والشعوب غير اليهود، من استصغار واحتقار ودعاوى للإقصاء والقطيعة، ضف إلى ذلك أوامر بالإبادات والتصفية العرقية لغير اليهود إلا أننا نلمس كذلك جانباً آخراً يتضمن دعاوى التسامح والعفو خاصة في العهد القديم بأقسامه الثلاثة (البنتاتوك، نبييم، كتبيم)، حتّى أن التاريخ يورد لنا فرقة يهودية متسامحة إلى أبعد الحدود مع اليهود وغيرهم، دون تفريق أو تمييز، أو تحيّز، ألا وهي طائفة الفريسيين التي انتشرت أفكارها كثير ما بين القرن الأول ميلادي وقبل ميلاد المسيح عليه السلام.

كذلك نلمس في تاريخ الأمم والجماعات جدلية للعنف والتسامح في الفكر الديني المسيحي الذي سبق الفكر الإسلامي بقرون، فالمسيحيون هم الأخرون كانوا يتحركون وفق ضوابط وأوامر المقدس، من العهد الجديد والمجامع المسكونية العالمية والمجامع المكانية المحلية، لكنّ تاريخ الكنيسة كان أسوداً وحالكاً إذا ما قارناه مع أي فكر ديني آخر نظراً للجرائم التي ارتكبت باسم الدين في بقاع الأرض، فعلى سبيل المثال لا الحصر ما وقع في بلاد الأندلس مع الأقليات في المرحلة الوسيطية، ونقصد بهم (الموريسكيون) الذين تنصّروا إلزاما وبضغط من الكنيسة، وذلك كلّه لم يشفع لهم، فقامت الكنيسة الكاثوليكية بإصدار عدة أوامر متطرفة جدا بعد التنصير، وهي الإبادة الجماعية لهم في شبه الجزيرة الأيبيرية، والملاحظ في كيفية تنفيذ ذلك يدلك على البُعد الديني في ممارسة العنف والتطرف بكل أشكاله، فكانوا يمارسون على الموريسكيين مختلف أساليب التعذيب والحرق والقتل في مواكب بحضور رجال الدين بزيهم الكنسي وبحضور رجال السياسة والحكام، فتصدروا بذلك قائمة العنف الديني وهذا بشهادة البابا يوحنا.

وهذا لا ينفي أن الفكر الديني المسيحي يحتوي على الكثير من النصوص التي تدعوا إلى التسامح والرفق والعفو وتجاوز الإساءات بالعفو والمسامحة كلما تعرّض الإنسان لذلك، فالعهد الجديد يقوم على نصوص التسامح والرحمة أكثر من نصوص العنف والتطرف، وهذه موجود ومؤكدة في الوصايا العشر للسيد المسيح، منها التعايش مع الآخر وفتح المجال للعيش المشترك، والإحسان للغير، فكل النصوص التي يتعمّد النصارى إخفاءها وتقييدها وتعليقها تجدها متعلقة بالبُعد التسامحي في العقيدة المسيحية.

أما عن الفكر الإسلامي فمصادر التشريع الأساسية مشهورة وهي الكتاب والسنة والإجماع، هذا دون التطرق إلى القياس والمصالح المرسلة وغيرها من المصادر التي تعتبر ثانوية بالمقارنة مع المصادر الأساسية والرئيسية، وكل من هذه المصادر له منزلته الخاصة في تشريع وتأصيل الأحكام والضوابط والأوامر والنواهي في فكر المسلمين منذ نشأته في شبه الجزيرة العربية إلى غاية انتشاره في مشارق الأرض ومغاربها.

تاريخ المسلمين هو الآخر يحتوي على الكثير من الفظائع والمجازر والإبادات والتصفيات الداخلية القبلية التي ارتكبت باسم الدين، وبأوامر الإسلام في زعم مرتكبيها ومُنفّذيها، ولعلى ذلك كان لعدة دوافع وأسباب في تنشئة العنف والتطرف في الفكر الإسلامي، أهمها اختلاط العصبيات والقبليات بالمفاهيم الدينية الإسلامية، وتفكك المسلمين وتفرقهم إلى أحزاب وجماعات وفرق ومذاهب فكرية، كل يستند على نصوص دينية مقدسة، ويتمسك بذلك ما استطاع فحرص هؤلاء على إبادة وتصفية خصومهم من الملة الواحدة، بالاعتماد على التفسير والاستنباط والتأويل من نصوص الشرع وخاصة القرآن الكريم.

وأبرز ثلاثة مراحل ارتكبت فيها أشهر أعمال العنف هي مرحلة ما بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم المرحلة الأموية التي دامت عقود من الزمن ثم المرحلة العباسية في بدايتها، فالمرحلة الأولى التي ذكرناها شهدت معاركاً

طاحنة في واقعتي صفين والجمل، التي عقبت مقتل الخليفة عثمان، أما المرحلة الثانية فعرفت صراعا قبليا ذا بعد ديني، بين الأمويين وخصومهم من العلويين، والزبيريين والقرّاء الذين كانوا مع عبد الرحمن بن الأشعث، وأبرز نماذج للعنف والتطرف في هذه المرحلة هم ابن زياد قاتل الحسين حفيد النبي ﷺ، ومسلم بن عقبة مرتكب مجزرة المدينة التي عُرفت بواقعة الحرة، وكذلك الحجّاج بن يوسف الثقفي الذي شطط كثير وكان في سيفه رهق لم يسبق له مثيل في تاريخ المسلمين، وأما المرحلة الثالثة فكانت بدايتها ساحة حرب بين العباسيين والأمويين ثم ضد العلويين، ثم مع عموم المسلمين في الموصل وغيرها من الأمصار، وأبرز نماذج للعنف في هذه المرحلة هو الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفّاح الذي قام بالكثير من التصفيات والمجازر، ووزيره الخرساني أبو مسلم الذي قتل حوالي ستة مئة ألف مسلم صبرا!!!.

وكأخطر فرقة في تاريخ المسلمين في تأصيل التطرف الديني وإعطائه شرعية مقدسة، نجد الخوارج في المرتبة الأولى، فقد تحدث عنهم النبي ﷺ، فلم يسلم من عنفهم لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى، وقد تفرقوا في أرض الإسلام جماعات كثيرة وفرق متنوعة، تجمعهم أصول ومبادئ قد بُنيت على التطرف في الممارسة والتطبيق منها تكفير حكام المسلمين وعوامهم، وتجويز سفك الدماء بلا هوادة، حتى على الرضع!، وأجمعوا كذلك على تفريق جمع المسلمين بتكفير مرتكب الكبيرة فخالفوا بذلك الأولين والأخيرين.

أمّا عن التسامح وأبعاده في الفكر الإسلامي فلا يختلف اثنان على أنّ الإسلام يقوم على مجموعة من المقاصد والغايات جاءت لتصحح المفاهيم السابقة، أهما حفظ الأنفس وحفظ الحقوق عامة، فالقرآن الكريم يحتوي على الكثير من دلالات التسامح والعفو والرحمة، دون أن ننسى أن كل سور القرآن الكريم ابتدأت بالرحمة ما عدا سورة واحدة فقط، وهذا أكبر دليل على تغليب الرحمة على العنف والقوة، أما السنة النبوية المحمدية فهي الأخرى اشتملت على العديد من الأوامر النبوية التي تحثّ الناس على اتباع منهج

الرحمة والرفق والعفو والتسامح في معاملة الناس وحتى الحيوانات، ولم تستثني من ذلك أي بشر، بل كان النبي ﷺ يوصي المسلمين بالذميين خيرا، كما شدّدت السنة النبوية المحمدية على اجتناب العنف والتطرف بكل أشكاله فكان يوصي ﷺ أصحابه باجتناب ذلك ما استطاعوا، حتّى أنّه أنّب كثيرا أبا ذر الغفاري وهو من أكبر الصحابة لما أساء مع بلال بن رباح وعيّره بلون أمه، وتبرأ مما صنع خالد لما قتل الأسرى، ونصائحه في باب الابتعاد عن العنف كثيرة ومتنوعة.

كما غلب على خصاله ﷺ الجانب السمح والمنفتح على الرحمة في تعامله مع غيره من غير المسلمين، فقد عفا عمن أرادت أن تسممه، وكذلك فعل مع من أراد أن يستهدفه ويغدر به، أما في الحروب والمعارك فحرص كثيرا على اجتناب سفك الدماء وترك خصومه يبادرون بالحروب، وكان يوصي أصحابه بتفادي الإفساد أو حرق الأشجار أو استهداف المدنيين، ورجال الدين في الصوامع، والأطفال وحتى البهائم لم يستثنيها من وصاياه، ومن أمثلة من انتهجوا سبيله في مقابلة العنف بالتسامح، نجد الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذي عمل وفق وصية النبي ﷺ لما حاصروه ببيته. وكذلك الصحابي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه في واقعة الحرة، وكذلك حفيده الحسن بن علي رضي الله عنه الذي أطفأ فتنة عظيمة، ووضع حدا لحربا ربما كانت لتكون هي الأكبر في تاريخ الحروب الإسلامية الداخلية، وهكذا قد قابل العنف بالتسامح فلذلك سمي عامه بعام الجماعة.

وفي هذا العصر وبعد تراجع المسلمين وركودهم الحضاري المخيف، حدثت أزمة على عدة مستويات أهمها أزمة الفكر الإسلامي المعاصر ومستقبل المسلمين في تفعيل سبل العيش المشترك ومستقبل التعايش السلمي مع الآخر في ظل التعدديات الدينية والثقافية والفكرية، وفي ظل تفوق الآخر على المستويات الفكرية والحضارية، وبلوغه أسمى هرم التطور والتقدمية، علماً أنّ الفكر الإسلامي لا يزال يحافظ على هويته وأصوله

ومبادئه السامية خاصة فيما تعلق بالإنسان والإنسانية والأنسنة، وينتهج نفس خطى الأوليين في التنظير لتحقيق شروط الإنسانية التي عانت التضييق والتهميش قبل الإسلام وفي الغرب قبل النهضة وبعدها، رغم خطابات الإغراء التي سودت صفحات كتب الفلاسفة والمنظرين للفكر الإنساني والإنسانوي، فرغم خطابات التفوق والإقصاء والتهميش والتمييز لبني البشر، نجد أنّ الإسلام يُخالف ذلك إطلاقا، وينادي بالمساواة بين الناس جميعا، والدليل على ذلك تأصيله لحقوق الإنسان في المصادر وكتب الفقه، لتحرير الإنسان من عبوديته للبشر، وتخليصه من التبعية، وغيرها من الممارسات التي كانت سببا في ثورة الإنسان على الأعراف التي كانت سائدة، خاصة في الغرب الذي لا يزال يعمل بمقتضاه وإن أخفى أو حاول أن يطمس ذلك.

فحقوق الإنسان في الإسلام سواء العامة المتعلقة بحياته وحريته، أو الخاصة المتعلقة بحريته وحرية تدينه وعقيدته، تبقى مكفولة لا يمكن تعليقها أو تفنيدها مهما حاول البعض أن يفعلوا، وهذا هو الأصل البيّن الذي لا يخالف ما عليه الفكر الإسلامي، لأنه حافظ على الخصائص الأساسية التي يتميز بها الإنسان، وألغى جميع الفوارق التي تصنعها الأعراف السابقة، والتقاليد الاجتماعية المؤصلة على التفاوت الطبقي وغيرها من المعوقات التي تقف في وجه المساواة و الحرية الإنسانية.

مخرجات الأزمة التي يعيشها العالم اليوم لا تنفك إلا بتفعيل سبل العيش المشترك من أجل تخطي القطيعة وحالات الانسداد بين الأمم والشعوب على الأرض، وهي نفس مبتغى ومراد الفكر الإسلامي، رغم تأثر صورته بشكل سيء عموما عند الآخر من وصف المسلمين بالهمج ووصف الإسلام بالتطرف وكذلك نبي المسلمين، لكن في مقابل ذلك نلمس نوعا من الشفافية والموضوعية في تقصي الحقائق التاريخية حول المسلمين وفكرهم الديني، من طرف بعض المستشرقين أمثال أرلوند وهونكه ولوبون وغيرهم ممن تلقى الفكر الديني الإسلامي تحقيقا لا تلفيقا.

مصادر الإسلام الأساسية والرئيسية الكتاب والسنة النبوية قد أسسا للعيش المشترك من خلال مجموعة معتبرة من البنود والأسس والمبادئ الموجهة للمسلمين في التعامل مع الآخر، وتعتبر فلسفة تسامحية حقيقية، تحفظ للآخر كرامته وتصونها، مثلما هو الحال مع الجزية التي تبدو من الوهلة الأولى أنها تطبيق جائر بمثابة الضريبة في عصرنا، إلا أنها في الحقيقة عبارة عن مبالغ رمزية، يدفعها القادر دون العاجز والبالغ دون الأطفال والذكر دون الأنثى، فيُستثنى من ذلك المرضى والصغار ورجال الدين، وهذا هو البُعد التسامحي فيها، فالذمي أو الآخر يبقى أمانة في أعناق المسلمين يدافعون عنه ويحمونه بكل جهد وبكل ما تتطلب القوة في فعل ذلك ليتحقق عيشه الهانئ.

ساهم الآخر في بناء المجتمعات الإسلامية والبنى الحضارية المادية وغير المادية في الحضارة الإسلامية، ففي الفترة العباسية قد أسهم الآخر بكل حزم في تشييد حضارة المسلمين التي امتدت طيلة قرون من الزمن، وإنجازات الآخر ا تحصى ولا تعد في العديد من المجالات، منها الترجمة والنقل، ومنها الطب والجوانب الإنسانية، ومنا الفلسفة والمنطق، وكل هذه الأمور من أبرز مظاهر العيش المشترك السلمي الذي زاد من تقوية الروابط والصلات الاجتماعية، والعلاقات المتسمة بطابع تسامحي، وتجلى ذلك من خلال حلقات العلم والمناظرات والحوار التي كانت تعقد بحضور الخليفة المأمون ورجال العلم والفكر، وحتى في بلاد الأندلس كانت تعقد مثل هذه الحلقات والمناظرة، وخير دليل على ذلك محاورات ومناظرات ابن حزم الأندلسي مع اليهود.

أزمة العالم الإسلامي تمر على مستويين رئيسين، الأول أزمة القطيعة مع الآخر اللاهوتي، والثاني أزمة الإقصاء مع الآخر الحضاري، فالفكر الإسلامي الراهن يمرّ بمرحلة مضطربة جدا، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك جمهورياته، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، فالآخر اللاهوتي يتخذ من القطيعة أسلوبا مستمراً في التعامل مع المسلمين، علماً أن التعارف كان سمة غالبة في طبيعة العلاقات التاريخية، رغم

حضور لافت لبعض الدعاوى من أجل القطيعة والتباعد، مثلما هو الحال مع مؤسس البروتستانتية مارتن لوثر وموقفه من الإسلام ونبي المسلمين.

والآخر الحضاري يتخذ من المسلمين وقفا معاديا بسبب تمسكهم بمجموع المبادئ الدينية، فتجده في كل مرة يعدو عليهم، ويصفهم بذوي الرجعية والتخلف، ويستصغر المنجزات العلمية والفكرية للمسلمين، ويعتبرهم ساعي بريد نقل حضارة الإغريق للغرب الحضاري، فالمركزية الغربية قد سطت كثيراً على الفكر الإسلامي، وأصبحت في كل مرة تمارس خطابات الإقصاء والاستعلاء، وتخوذ الحروب المادية ذات الانتقامي على أراضي المسلمين، وهذه أكبر تحدٍ يواجه المسلمين في هذا العصر، فلن يتحقق التعايش السلمي في ظل هذه الخطابات.

أزمة العالم الإسلامي الراهنة لن تزول إلا بالعودة إلى تفعيل مبادئ الحوار التي كانت سائدة من ذي قبل، بل وصار من الضروري أن تتحقق صور الحوار الهادئ المفضي للسبل المثالية، من أجل تحقيق أسمى معاني العيش المشترك في ظل التعددية الدينية والثقافية، فلا يختلف الماضي عن الحاضر إلا في الذهنيات التي تخوض غمار السيادة والسلطة سواء كانت لاهوتية دينية أو غيرها، فللحدّ من موجات العنف التي يعاني منها الإنسان عامة والمسلم بصفة خاصة، لابد من فتح أفاق الحوار من أجل التفاهم على أرضية مشترك للتعايش السلمي، وما حادثة نيوزيلاندا إلا تمهيد لاستمرار أعمال العنف من طرف الآخر إذا لم يتم التوصل إلى طريقة لإذابة الخلاف والأحقاد التاريخية التراكمية.

تجسّد منذ مدة مشروع ديني بنّاء وفعّال بين شيخ الأزهر أحمد الطيب وبابا الفاتيكان فرنسيس، من أجل التنظير للعيش المشترك والتعايش السلمي، فتوصلوا إلى مجموعة من القرارات والمبادئ والمخرجات التي ستكون حلا لأزمة الانغلاق والقطيعة القائمة بين المسلمين والمسيحيين في هذا العصر، فجُمعت في وثيقة، سميت بوثيقة الأخوة

الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، وقد تناولا الطرفان الموقعان على هذه الوثيقة عدة أسباب ودوافع تخوض الأمم من أجل الحروب والمعارك الطاحنة، كما أنّها احتوت على دعوة عامة لنشر قيم التسامح والمحبة لكي يعم السلام بين الناس ومن أجل تحقيق سبل العيش المشترك، وفيها تذكير بحرمة الأرواح وحرمة إزهاقها، ودعاوى لنبذ الحروب ومختلف أشكال العنف والتعصب والظلم دون إقصاء.

وثيقة الأخوة الإنسانية حذرت من استمرار وضع البشرية على ما هو عليه من استخفاف بأرواح البشر على بقاع الأرض، حتى أصبح تعداد الضحايا في هذا العصر لا يقارن مع ما سبقه، فالحروب ذات طابع الديني في المراحل المتقدمة وإن وصفت بالهمجية، لكنّها أخفُّ وأقلُّ ضرراً من الحروب المعاصرة الطاحنة التي تستعمل فيها مختلف الأسلحة والمعدات الفتّاكة، ومن بين أهم النقاط الأساسية التي تضمنتها وثيقة الأخوة الإنسانية، هي النداء الصريح لرجال السياسية وقادة العالم ورجال الدين والمفكرين والفلاسفة والفنانين إلى تفعيل قيم المحبة والسلام في خطاباتهم وإنتاجاتهم ومقالاتهم.

هذه الوثيقة قد تطرقت إلى أهم أسباب ودوافع الحروب والنّزاعات في العالم وكثرة القتل والجرائم، فقد جاء فيها أن أهم أسباب أزمة العالم المعاصر يعود إلى تغييب الضمير الإنساني وإقصاء الأخلاق الدينية وكذلك استدعاء النزعات الفردية والفلسفات المادية التي تؤلّه الإنسان وتضع القيم المادية الدنيوية موضع المبادئ العليا المتسامية وفي هذا تذكرة بالتحولات التي شهدها العالم بعد تحييد الدين وتعطيل دور رجاله.

وأكدا البابا فرنسيس والشيخ الطيب في هذه الوثيقة على ضرورة الحذر من الانغماس في حب الملذات الدنيوية، وإقصاء المهمشين من الناس، واجتناب العنف بكل أشكاله، وذلك لا يكون إلا بإيقاظ النزعة الدينية، من أجل حماية الأجيال القادمة والنشء الذي لن يكون إلا إفرازا لما يتعلمه من مجتمعه، فالوثيقة التي حرصا البابا فرنسيس وشيخ الأزهر الشريف، على إيصالها للعالم، هي رمز للتسامح والتعاون لتفتح أبواب العيش

المشترك، فكما أن في المسيحية نداء السيد المسيح إلى المساواة بين الناس وتوصيات لأتباعه في أن يعاملوا الناس بمثل ما يحبون أن يعاملوا به فكانت دعوته تصحيحا للفساد الذي سبق دعوته.

فجدل العنف مع التسامح في أيّ فكر ديني سواء كان إسلاميا أو مسيحيا، لا يمكــن أن ينفك إلا بإضاءة حقول الدين التسامحية المخفية، وإيقاظها والعمل بمحتــواه وتخطــي الجدل لا يكون إلا بتغليب المصلحة العامة على المصالح الخاصة والمحدودة، فــالعنف لا يولّد إلا عنفا، ومع استمراره يزيد تهديد البشرية بالفناء، وانعدام الأمن والاستقرار الــذي يضلُّ مسعى العقلاء والمصلحين من الناس، فالتسامح في أخلاقية سامية، فيجــب العمــل بهــذه الصــفة والتحلــي بهــا مــن أجــل ســيادة الســلم والســلام العــالمي.

الملاحق:

الملحق رقم: 01 (وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك)

الأزهر الشريف

الكنيسة الكاثوليكية

وثيقة الأخـــوة الإنســـانية

من أجل السلام العالمي والعيش المشترك

1

مقدمة

يحملُ الإيمانُ المؤمنَ علىٰ أن يَرىٰ في الآخَر أخًا له، عليه أن يُؤازِرَه ويُحبَّه. وانطلاقًا من الإيمان بالله الذي خَلَقَ الناسَ جميعًا وخَلَقَ الكونَ والخلائقَ وساوىٰ بينَهم برحمتِه، فإنَّ المؤمنَ مَدعُوٌّ للتعبيرِ عن هذه الأُخوّةِ الإنسانيّةِ بالاعتناءِ بالخَليقةِ وبالكَوْنِ كُلِّه، وبتقديمِ العَوْنِ لكُلِّ إنسانٍ، لا سيَّما الضُّعفاءِ منهم والأشخاصِ الأكثرِ حاجةً وعَوَزًا.

وانطلاقًا من هذا المعنىٰ المُتسامِي، وفي عِدَّةِ لقاءاتٍ سادَها جَوٌّ مُفعَمٌ بالأُخوّةِ والصَّداقةِ تَشارَكنا الحديثَ عن أفراحِ العالم المُعاصِر وأحزانِه وأزماتِه سواءٌ علىٰ مُستوىٰ التقدُّم العِلميِّ والتقنيِّ، والإنجازاتِ العلاجيَّة، والعصرِ الرَّقميِّ، ووسائلِ الإعلامِ الحديثةِ، أو علىٰ مستوىٰ الفقرِ والحُروبِ، والآلامِ التي يُعاني منها العديدُ من إخوتِنا وأخَواتِنا في مَناطقَ مُختلِفةٍ من العالمِ، نتيجةَ سِباقِ التَّسلُّح، والظُّلمِ الاجتماعيِّ، والفسادِ، وعدَمِ المُساواةِ، والتدهورِ الأخلاقيِّ، والإرهابِ، والعُنصُريّةِ والتَّطرُّفِ، وغيرِها من الأسبابِ الأُخرىٰ.

ومن خِلالِ هذه المُحادَثاتِ الأخَويَّةِ الصادِقةِ التي دارت بينَنا، وفي لقاءٍ يَملَؤُهُ الأملُ في غَدٍ مُشرِقٍ لكُلِّ بني الإنسانِ، وُلِدت فكرةُ «وثيقةِ الأُخُوّةِ الإنسانيَّةِ»، وجرىٰ العَمَلُ عليها بإخلاصٍ وجدِيَّةٍ؛ لتكونَ إعلانًا مُشترَكًا عن نَوايا صالحةٍ وصادقةٍ من أجلِ دعوةِ كُلِّ مَن يَحمِلُونَ في قُلوبِهم إيمانًا باللهِ وإيمانًا بالأُخُوّةِ الإنسانيّةِ أن يَتوحَّدُوا ويَعمَلُوا معًا من أجلِ أن تُصبِحَ هذه الوثيقةُ دليلًا للأجيالِ القادِمةِ، يَأخُذُهم إلىٰ ثقافةِ الاحترامِ المُتبادَلِ، في جَوٍّ من إدراكِ النِّعمةِ الإلهيَّةِ الكُبرَىٰ التي جَعلَتْ من الخلقِ جميعًا إخوةً.

2

الوثيقة

باسمِ الله الَّذي خَلَقَ البَشَرَ جميعًا مُتساوِين في الحُقُوقِ والواجباتِ والكَرامةِ، ودَعاهُم للعَيْشِ كإخوةٍ فيما بيْنَهم ليُعَمِّروا الأرضَ، ويَنشُروا فيها قِيَمَ الخَيْرِ والمَحَبَّةِ والسَّلامِ.

باسمِ النفسِ البَشَريَّةِ الطَّاهِرةِ التي حَرَّمَ اللهُ إزهاقَها، وأخبَرَ أنَّه مَن جَنَىٰ علىٰ نَفْسٍ واحدةٍ فكأنَّه جَنَىٰ علىٰ البَشَريَّةِ جَمْعاءَ، ومَنْ أَحْيَا نَفْسًا واحدةً فكَأنَّما أَحيَا الناسَ جميعًا.

باسمِ الفُقَراءِ والبُؤَساءِ والمَحرُومِينَ والمُهمَّشِينَ الَّذِينَ أَمَرَ اللهُ بالإحسانِ إليهم ومَدِّ يَدِ العَوْنِ للتَّخفيفِ عنهم، فرضًا علىٰ كُلِّ إنسانٍ لا سيَّما كُلِّ مُقتَدرٍ ومَيسُورٍ.

باسمِ الأيتامِ والأرامِلِ، والمُهَجَّرِينَ والنَّازِحِينَ من دِيارِهِم وأَوْطانِهم، وكُلِّ ضَحايا الحُرُوبِ والاضطِهادِ والظُّلْمِ، والمُستَضعَفِينَ والخائِفِينَ والأَسْرَىٰ والمُعَذَّبِينَ في الأرضِ، دُونَ إقصاءٍ أو تمييزٍ.

باسمِ الشُّعُوبِ التي فَقَدَتِ الأَمْنَ والسَّلامَ والتَّعايُشَ، وحَلَّ بها الدَّمارُ والخَرَابُ والتَّناحُر.

باسمِ «الأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ» التي تَجمَعُ البَشَرَ جميعًا، وتُوحِّدُهم وتُسوِّي بينَهم.

باسمِ تلك الأُخُوَّةِ التي أرهَقَتْها سِياساتُ التَّعَصُّبِ والتَّفرِقةِ، التي تَعبَثُ بمَصائِرِ الشُّعُوبِ ومُقَدَّراتِهم، وأَنظِمةُ التَّرَبُّحِ الأَعْمَىٰ، والتَّوَجُّهاتُ الأيدلوجيَّةُ البَغِيضةُ.

باسمِ الحُرِّيَّةِ التي وَهَبَها اللهُ لكُلِّ البَشَرِ وفطَرَهُم عليها ومَيَّزَهُم بها.

3

باسمِ العَدْلِ والرَّحمةِ، أساسِ المُلْكِ وجَوْهَرِ الصَّلاحِ.

باسمِ كُلِّ الأشخاصِ ذَوِي الإرادةِ الصالحةِ، في كلِّ بِقاعِ المَسكُونَةِ.

باسمِ اللهِ وباسمِ كُلِّ ما سَبَقَ، يُعلِنُ الأزهَرُ الشريفُ - ومِن حَوْلِه المُسلِمُونَ في مَشارِقِ الأرضِ ومَغارِبِها - والكنيسةُ الكاثوليكيَّةُ - ومن حولها الكاثوليك من الشَّرقِ والغَرْبِ - تَبَنِّي ثقافةِ الحوارِ دَرْبًا، والتعاوُنِ المُشترَكِ سبيلًا، والتعارُفِ المُتَبادَلِ نَهْجًا وطَرِيقًا.

إنَّنا نحن - المُؤمِنِين باللهِ وبلِقائِه وبحِسابِه - ومن مُنطَلَقِ مَسؤُوليَّتِنا الدِّينيَّةِ والأدَبيَّةِ، وعَبْرَ هذه الوثيقةِ، نُطالِبُ أنفُسَنا وقادةَ العالَمِ، وصُنَّاعَ السِّياساتِ الدَّوليَّةِ والاقتصادِ العالَمِيِّ، بالعمَلِ جدِّيًّا على نَشْرِ ثقافةِ التَّسامُحِ والتعايُشِ والسَّلامِ، والتدخُّلِ فَوْرًا لإيقافِ سَيْلِ الدِّماءِ البَرِيئةِ، ووَقْفِ ما يَشهَدُه العالَمُ حاليًّا من حُرُوبٍ وصِراعاتٍ وتَراجُعٍ مناخِيٍّ وانحدارٍ ثقافيٍّ وأخلاقيٍّ.

ونَتوجَّهُ للمُفكِّرِينَ والفَلاسِفةِ ورِجالِ الدِّينِ والفَنَّانِينَ والإعلاميِّين والمُبدِعِينَ في كُلِّ مكانٍ ليُعِيدُوا اكتشافَ قِيَمِ السَّلامِ والعَدْلِ والخَيْرِ والجَمالِ والأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ والعَيْشِ المُشتَرَكِ، وليُؤكِّدوا أهميَّتَها كطَوْقِ نَجاةٍ للجَمِيعِ، وليَسعَوْا في نَشْرِ هذه القِيَمِ بينَ الناسِ في كلِّ مكان.

إنَّ هذا الإعلانَ الذي يأتي انطِلاقًا من تَأمُّلٍ عَمِيقٍ لواقعِ عالَمِنا المُعاصِرِ وتقديرِ نجاحاتِه ومُعايَشةِ آلامِه ومَآسِيه وكَوارِثِه - لَيُؤمِنُ إيمانًا جازمًا بأنَّ أهمَّ أسبابِ أزمةِ العالمِ

4

اليَوْمَ يَعُودُ إلىٰ تَغْيِيبِ الضميرِ الإنسانيِّ وإقصاءِ الأخلاقِ الدِّينيَّةِ، وكذلك استِدعاءُ النَّزْعَةِ الفرديَّةِ والفَلْسَفاتِ الماديَّةِ، التي تُؤَلِّهُ الإنسانَ، وتَضَعُ القِيَمَ الماديَّةَ الدُّنيويَّةَ مَوْضِعَ المَبادِئِ العُلْيَا والمُتَسامِيَة.

إنَّنا، وإنْ كُنَّا نُقَدِّرُ الجوانبَ الإيجابيَّةَ التي حقَّقَتْها حضارَتُنا الحَدِيثةُ في مَجالِ العِلْمِ والتِّقْنيةِ والطبِّ والصِّناعةِ والرَّفاهِيةِ، وبخاصَّةٍ في الدُّوَلِ المُتقدِّمةِ، فإنَّا – مع ذلك – نُسجِّلُ أنَّ هذه القَفَزاتِ التاريخيَّةَ الكُبرىٰ والمَحمُودةَ تَراجَعَتْ معها الأخلاقُ الضَّابِطةُ للتصرُّفاتِ الدوليَّةِ، وتَراجَعَتِ القِيَمُ الرُّوحيَّةُ والشُّعُورُ بالمَسؤُوليَّةِ؛ ممَّا أسهَمَ في نَشْرِ شُعُورٍ عامٍّ بالإحباطِ والعُزْلَةِ واليَأْسِ، ودَفَعَ الكَثِيرينَ إلىٰ الانخِراطِ إمَّا في دَوَّامةِ التَّطرُّفِ الإلحاديِّ واللادينيِّ، وإمَّا في دوامةِ التَّطرُّفِ الدِّينيِّ والتشدُّدِ والتَّعصُّبِ الأعمىٰ، كما دَفَعَ البعضَ إلىٰ تَبَنِّي أشكالٍ من الإدمانِ والتَّدميرِ الذاتيِّ والجَماعيِّ.

إنَّ التاريخَ يُؤكِّدُ أنَّ التطرُّفَ الدِّينيَّ والقوميَّ والتعصُّبَ قد أثمَرَ في العالَمِ، سواءٌ في الغَرْبِ أو الشَّرْقِ، ما يُمكِنُ أن نُطلِقَ عليه بَوادِر «حربٍ عالميَّةٍ ثالثةٍ علىٰ أجزاءٍ»، بدَأَتْ تَكشِفُ عن وَجهِها القبيحِ في كثيرٍ من الأماكنِ، وعن أوضاعٍ مَأساويَّةٍ لا يُعرَفُ – علىٰ وَجْهِ الدِّقَّةِ – عَدَدُ مَن خلَّفَتْهم من قَتلَىٰ وأراملَ وثَكالىٰ وأيتامٍ، وهناك أماكنُ أُخرىٰ يَجرِي إعدادُها لمَزيدٍ من الانفجارِ وتكديسِ السِّلاحِ وجَلْبِ الذَّخائرِ، في وَضْعٍ عالَميٍّ تُسيطِرُ عليه الضَّبابيَّةُ وخَيبةُ الأملِ والخوفُ من المُستَقبَلِ، وتَتحكَّمُ فيه المَصالحُ الماديَّةُ الضيِّقةُ.

5

ونُشدِّدُ أيضًا علىٰ أنَّ الأزماتِ السياسيَّةَ الطاحنةَ، والظُّلمَ وافتِقادَ عَدالةِ التوزيعِ للثرواتِ الطبيعيَّةِ – التي يَستأثِرُ بها قِلَّةٌ من الأثرياءِ ويُحرَمُ منها السَّوادُ الأعظمُ من شُعُوبِ الأرضِ – قد أنتَجَ ويُنتِجُ أعدادًا هائلةً من المَرْضَىٰ والمُعْوِزِين والمَوْتَىٰ، وأزماتٍ قاتلةً تَشهَدُها كثيرٌ من الدُّوَلِ، برغمِ ما تَزخَرُ به تلك البلادُ من كُنوزٍ وثَرواتٍ، وما تَملِكُه من سَواعِدَ قَويَّةٍ وشبابٍ واعِدٍ. وأمامَ هذه الأزماتِ التي تجعَلُ مَلايينَ الأطفالِ يَمُوتُونَ جُوعًا، وتَتحوَّلُ أجسادُهم – من شِدَّةِ الفقرِ والجوعِ – إلىٰ ما يُشبِهُ الهَيَاكِلَ العَظميَّةَ الباليةَ، يَسُودُ صمتٌ عالميٌّ غيرُ مقبولٍ.

وهنا تَظهَرُ ضرورةُ الأُسرَةِ كنواةٍ لا غِنىٰ عنها للمُجتمعِ وللبشريَّةِ، لإنجابِ الأبناءِ وتَربيتِهم وتَعليمِهم وتَحصينِهم بالأخلاقِ وبالرعايةِ الأُسريَّةِ، فمُهاجَمةُ المُؤسَّسةِ الأسريَّةِ والتَّقليلُ منها والتَّشكيكُ في أهميَّةِ دَوْرِها هو من أخطَرِ أمراضِ عَصرِنا.

إنَّنا نُؤكِّدُ أيضًا علىٰ أهميَّةِ إيقاظِ الحِسِّ الدِّينيِّ والحاجةِ لبَعْثِه مُجدَّدًا في نُفُوسِ الأجيالِ الجديدةِ عن طريقِ التَّربيةِ الصَّحيحةِ والتنشئةِ السَّليمةِ والتحلِّي بالأخلاقِ والتَّمسُّكِ بالتعاليمِ الدِّينيَّةِ القَويمةِ لمُواجَهةِ النَّزعاتِ الفرديَّةِ والأنانيَّةِ والصِّداميَّةِ، والتَّطرُّفِ والتعصُّبِ الأعمىٰ بكُلِّ أشكالِه وصُوَرِه.

إنَّ هَدَفَ الأديانِ الأوَّلَ والأهمَّ هو الإيمانُ باللهِ وعبادتُه، وحَثُّ جميعِ البَشرِ علىٰ الإيمانِ بأنَّ هذا الكونَ يَعتمِدُ علىٰ إلهٍ يَحكُمُه، هو الخالقُ الذي أوْجَدَنا بحِكمةٍ إلهيَّةٍ، وأعطَانَا هِبَةَ الحياةِ لنُحافِظَ عليها، هِبةً لا يَحِقُّ لأيِّ إنسانٍ أن يَنزِعَها أو يُهدِّدَها أو يَتصرَّفَ بها كما

6

يَشاءُ، بل علىٰ الجميعِ المُحافَظةُ عليها منذُ بدايتِها وحتىٰ نهايتِها الطبيعيَّةِ؛ لذا نُدِينُ كُلَّ المُمارَسات التي تُهدِّدُ الحياةَ؛ كالإبادةِ الجماعيَّةِ، والعَمَليَّاتِ الإرهابيَّة، والتهجيرِ القَسْريِّ، والمُتاجَرة بالأعضاءِ البشَريَّة، والإجهاض، وما يُطلَقُ عليه الموت (اللا) رَحِيم، والسياساتِ التي تُشجِّعُها.

كما نُعلِنُ – وبحَزمٍ – أنَّ الأديانَ لم تَكُنْ أبَدًا بَريدًا للحُرُوبِ أو باعثةً لمَشاعِرِ الكَراهِيَة والعداءِ والتعصُّبِ، أو مُثِيرةً للعُنْفِ وإراقةِ الدِّماءِ، فهذه المَآسِي حَصِيلَةُ الانحِرافِ عن التعاليمِ الدِّينيَّة، ونتيجةُ استِغلالِ الأديانِ في السِّياسَة، وكذا تأويلاتُ طائفةٍ من رِجالاتِ الدِّينِ – في بعض مَراحِلِ التاريخ – ممَّن وظَّف بعضُهم الشُّعُورَ الدِّينيَّ لدَفْعِ الناسِ للإتيانِ بما لا علاقةَ له بصَحِيحِ الدِّين، من أجلِ تَحقِيقِ أهدافٍ سياسيَّةٍ واقتصاديَّةٍ دُنيويَّةٍ ضَيِّقَةٍ؛ لذا فنحنُ نُطالِبُ الجميعَ بوَقْفِ استخدامِ الأديانِ في تأجيجِ الكراهية والعُنْفِ والتطرُّفِ والتعصُّبِ الأعمىٰ، والكَفِّ عن استخدامِ اسمِ الله لتبريرِ أعمالِ القتلِ والتشريدِ والإرهابِ والبَطْشِ؛ لإيمانِنا المُشتَرَكِ بأنَّ الله لم يَخْلُقِ الناسَ ليُقتَّلوا أو ليَتقاتَلُوا أو يُعذَّبُوا أو يُضيَّقَ عليهم في حَياتِهم ومَعاشِهم، وأنَّه – عَزَّ وجَلَّ – في غِنًىٰ عمَّن يُدافِعُ عنه أو يُرْهِبُ الآخَرين باسمِه.

إنَّ هذه الوثيقةَ، إذ تَعتَمِدُ كُلَّ ما سبقَها من وَثائقَ عالَمِيَّةٍ نَبَّهَتْ إلىٰ أهميَّةِ دَوْرِ الأديانِ في بِناءِ السَّلامِ العالميِّ، فإنَّها تُؤكِّدُ الآتي:

- القَناعةُ الراسخةُ بأنَّ التعاليمَ الصحيحةَ للأديانِ تَدعُو إلىٰ التمسُّك بقِيَمِ السلام وإعلاءِ قِيَمِ التعارُفِ المُتبادَلِ والأُخُوَّةِ الإنسانيَّةِ والعَيْشِ المشترَكِ، وتكريس

7

الحِكْمَةِ والعَدْلِ والإحسانِ، وإيقاظِ نَزْعَةِ التديُّنِ لدى النَّشْءِ والشبابِ؛ لحمايةِ الأجيالِ الجديدةِ من سَيْطَرَةِ الفكرِ الماديِّ، ومن خَطَرِ سِياساتِ التربُّحِ الأعمىٰ واللامُبالاةِ القائمةِ علىٰ قانونِ القُوَّةِ لا علىٰ قُوَّةِ القانونِ.

- أنَّ الحريَّةَ حَقٌّ لكُلِّ إنسانٍ: اعتقادًا وفكرًا وتعبيرًا ومُمارسةً، وأنَّ التَّعدُّديَّةَ والاختلافَ في الدِّينِ واللَّوْنِ والجِنسِ والعِرْقِ واللُّغةِ حِكمةٌ لمَشيئةٍ إلهيَّةٍ، قد خَلَقَ اللهُ البَشَرَ عليها، وجعَلَها أصلًا ثابتًا تَتَفرَّعُ عنه حُقُوقُ حُريَّةِ الاعتقادِ، وحريَّةِ الاختلافِ، وتجريمِ إكراهِ الناسِ علىٰ دِينٍ بعَيْنِه أو ثقافةٍ مُحدَّدةٍ، أو فَرْضِ أسلوبٍ حضاريٍّ لا يَقبَلُه الآخَر.

- أنَّ العدلَ القائمَ علىٰ الرحمةِ هو السبيلُ الواجبُ اتِّباعُه للوُصولِ إلىٰ حياةٍ كريمةٍ، يحقُّ لكُلِّ إنسانٍ أن يَحيَا في كَنَفِه.

- أنَّ الحوارَ والتفاهُمَ ونشرَ ثقافةِ التسامُحِ وقَبُولِ الآخَرِ والتعايُشِ بين الناسِ، من شأنِه أن يُسهِمَ في احتواءِ كثيرٍ من المشكلاتِ الاجتماعيَّةِ والسياسيَّةِ والاقتصاديَّةِ والبيئيَّةِ التي تُحاصِرُ جُزءًا كبيرًا من البَشَرِ.

- أنَّ الحوارَ بين المُؤمنينَ يَعني التلاقيَ في المساحةِ الهائلةِ للقِيَمِ الرُّوحيَّةِ والإنسانيَّةِ والاجتماعيَّةِ المُشتركةِ، واستثمارَ ذلك في نَشْرِ الأخلاقِ والفَضائلِ العُلْيا التي تدعو إليها الأديانُ، وتَجنُّبَ الجَدَلِ العَقيمِ.

8

- أنّ حماية دُورِ العبادة، من مَعابِدَ وكَنائِسَ ومَساجِدَ، واجبٌ تَكفُلُه كُلُّ الأديانِ والقِيَمِ الإنسانيّةِ والمَوَاثيقِ والأعرافِ الدوليَّةِ، وكلُّ محاولةٍ للتعرُّضِ لِدُورِ العبادةِ، واستهدافِها بالاعتداءِ أو التفجيرِ أو التهديمِ، هي خُروجٌ صَريحٌ عن تعاليمِ الأديانِ، وانتهاكٌ واضحٌ للقوانينِ الدوليَّةِ.

- أنّ الإرهابَ البَغيضَ الذي يُهدِّدُ أمنَ الناسِ، سَواءٌ في الشَّرْقِ أو الغَرْبِ، وفي الشَّمالِ والجَنوبِ، ويُلاحِقُهم بالفَزَعِ والرُّعْبِ وتَرَقُّبِ الأَسْوَأ، ليس نِتاجًا للدِّين – حتىٰ وإنْ رَفَعَ الإرهابيُّون لافتاتِه ولَبِسُوا شاراتِه – بل هو نتيجةٌ لتراكُماتِ الفُهُومِ الخاطئةِ لنُصُوصِ الأديانِ وسِياساتِ الجُوعِ والفَقْرِ والظُّلْمِ والبَطْشِ والتَّعالي؛ لذا يجبُ وَقْفُ دَعْمِ الحَرَكاتِ الإرهابيَّةِ بالمالِ أو بالسلاحِ أو التخطيطِ أو التبريرِ، أو بتوفيرِ الغِطاءِ الإعلاميِّ لها، واعتبارُ ذلك من الجَرائِمِ الدوليَّةِ التي تُهدِّدُ الأَمْنَ والسِّلْمَ العالميَّين، ويجب إدانةُ ذلك التَّطرُّفِ بكُلِّ أشكالِه وصُوَرِه.

- أنّ مفهومَ المواطنةِ يقومُ علىٰ المُساواةِ في الواجباتِ والحُقوقِ التي يَنعَمُ في ظِلالِها الجميعُ بالعدلِ؛ لذا يَجِبُ العملُ علىٰ ترسيخِ مفهومِ المواطنةِ الكاملةِ في مُجتَمَعاتِنا، والتخلّي عن الاستخدامِ الإقصائيِّ لمصطلح «الأقليّات» الذي يَحمِلُ في طيّاتِه الإحساسَ بالعُزْلَةِ والدُّونيّة، ويُمهِّدُ لِبُذُورِ الفِتَنِ والشِّقاقِ، ويُصادِرُ علىٰ استحقاقاتِ وحُقُوقِ بعضِ المُواطِنِين الدِّينيّةِ والمَدَنيّة، ويُؤدِّي إلىٰ مُمارسةِ التمييزِ ضِدَّهُم.

9

- أنَّ العلاقةَ بينَ الشَّرقِ والغَرْبِ هي ضَرُورةٌ قُصوَىٰ لكِلَيْهما، لا يُمكِنُ الاستعاضةُ عنها أو تَجاهُلُها، ليَغتَنِيَ كلاهما من الحَضارةِ الأُخرىٰ عَبْرَ التَّبادُلِ وحوارِ الثقافاتِ؛ فبإمكانِ الغَرْبِ أن يَجِدَ في حَضارةِ الشرقِ ما يُعالِجُ به بعضَ أمراضِه الرُّوحيَّةِ والدِّينيَّةِ التي نَتَجَتْ عن طُغيانِ الجانبِ الماديِّ، كما بإمكانِ الشرقِ أن يَجِدَ في حضارةِ الغربِ كثيرًا ممَّا يُساعِدُ علىٰ انتِشالِه من حالاتِ الضعفِ والفُرقةِ والصِّراعِ والتَّراجُعِ العلميِّ والتقنيِّ والثقافيِّ. ومن المهمِّ التأكيدُ علىٰ ضَرُورةِ الانتباهِ للفَوارِقِ الدِّينيَّةِ والثقافيَّةِ والتاريخيَّةِ التي تَدخُلُ عُنصرًا أساسيًّا في تكوينِ شخصيَّةِ الإنسانِ الشرقيِّ، وثقافتِه وحضارتِه، والتأكيدُ علىٰ أهميَّةِ العمَلِ علىٰ تَرسِيخِ الحقوقِ الإنسانيَّةِ العامَّةِ المُشتَرَكةِ، بما يُسهِمُ في ضَمانِ حياةٍ كريمةٍ لجميعِ البَشَرِ في الشَّرقِ والغَرْبِ بعيدًا عن سياسةِ الكَيْلِ بمِكيالَيْنِ.
- أنَّ الاعترافَ بحَقِّ المرأةِ في التعليمِ والعملِ ومُمارَسةِ حُقُوقِها السياسيَّةِ هو ضَرُورةٌ مُلِحَّةٌ، وكذلك وجوبُ العملِ علىٰ تحريرِها من الضُّغُوطِ التاريخيَّةِ والاجتماعيَّةِ المُنافِيةِ لثَوابِتِ عَقيدتِها وكَرامتِها، ويَجِبُ حِمايتُها أيضًا من الاستغلالِ الجنسيِّ ومن مُعامَلتِها كسِلعةٍ أو كأداةٍ للتمتُّعِ والتربُّحِ؛ لذا يجبُ وقفُ كل المُمارَساتِ اللاإنسانيةِ والعاداتِ المُبتذِلةِ لكَرامةِ المرأةِ، والعمَلُ علىٰ تعديلِ التشريعاتِ التي تَحُولُ دُونَ حُصُولِ النساءِ علىٰ كامِلِ حُقوقِهِنَّ.

10

- أنَّ حُقوقَ الأطفالِ الأساسيّةَ في التنشئةِ الأسريّةِ، والتغذيةِ والتعليمِ والرعايةِ، واجبٌ علىٰ الأسرةِ والمجتمعِ، وينبغي أن تُوفَّرَ وأن يُدافَعَ عنها، وألّا يُحرَمَ منها أيُّ طفلٍ في أيِّ مكانٍ، وأن تُدانَ أيّةُ مُمارسةٍ تَنالُ من كَرامتِهم أو تُخِلُّ بحُقُوقِهم، وكذلك ضرورةُ الانتباهِ إلىٰ ما يَتعرَّضُون له من مَخاطِرَ – خاصَّةً في البيئةِ الرقميّةِ – وتجريمِ المُتاجرةِ بطفولتِهم البريئةِ، أو انتهاكِها بأيِّ صُورةٍ من الصُّوَرِ.

- أنَّ حمايةَ حُقوقِ المُسنِّينَ والضُّعفاءِ وذَوِي الاحتياجاتِ الخاصَّةِ والمُستَضعَفِينَ ضرورةٌ دِينيّةٌ ومُجتمعيّةٌ يَجِبُ العمَلُ علىٰ توفيرِها وحِمايتِها بتشريعاتٍ حازمةٍ وبتطبيقِ المواثيقِ الدوليّةِ الخاصَّةِ بهم.

وفي سبيلِ ذلك، ومن خلالِ التعاونِ المُشترَكِ بين الكنيسةِ الكاثوليكيّةِ والأزهرِ الشريفِ، نُعلِنُ ونَتعهَّدُ أنَّنا سنعملُ علىٰ إيصالِ هذه الوثيقةِ إلىٰ صُنّاعِ القرارِ العالميِّ، والقياداتِ المؤثِّرةِ ورجالِ الدِّينِ في العالمِ، والمُنظَّماتِ الإقليميّةِ والدوليّةِ المَعنيّةِ، ومُنظَّماتِ المُجتمَعِ المدنيِّ، والمؤسساتِ الدينيّةِ وقادةِ الفِكْرِ والرَّأيِ، وأن نَسعَىٰ لنشرِ ما جاءَ بها من مَبادِئَ علىٰ كافّةِ المُستوياتِ الإقليميّةِ والدوليّةِ، وأن نَدعُوَ إلىٰ تَرجمتِها إلىٰ سِياساتٍ وقَراراتٍ ونُصوصٍ تشريعيّةٍ، ومَناهجَ تعليميّةٍ ومَوادَّ إعلاميّةٍ.

كما نُطالِبُ بأن تُصبِحَ هذه الوثيقةُ مَوضِعَ بحثٍ وتأمُّلٍ في جميعِ المَدارسِ والجامعاتِ والمَعاهدِ التعليميّةِ والتربويّةِ؛ لتُساعِدَ علىٰ خَلْقِ أجيالٍ جديدةٍ تحملُ الخَيْرَ والسَّلامَ، وتُدافِعُ عن حقِّ المَقهُورِين والمَظلُومِين والبُؤَساءِ في كُلِّ مكانٍ.

11

ختامًا:

لتكن هذه الوثيقةُ دعوةً للمُصالَحة والتَّآخِي بين جميعِ المُؤمِنين بالأديانِ، بل بين المُؤمِنين وغيرِ المُؤمِنين، وكلِّ الأشخاصِ ذَوِي الإرادةِ الصالحةِ؛

لتكُنْ وثيقتُنا نِداءً لكلِّ ضَميرٍ حيٍّ يَنبذُ العُنْفَ البَغيضَ والتطرُّفَ الأعمى، ولِكُلِّ مُحِبٍّ لمَبادئِ التسامُحِ والإخاءِ التي تدعو لها الأديانُ وتُشجِّعُ عليها؛

لتكن وثيقتُنا شهادةً لعَظَمةِ الإيمانِ باللهِ الذي يُوحِّدُ القُلوبَ المُتفرِّقةَ ويَسمُو بالإنسانِ؛

لتكن رمزًا للعِناقِ بين الشَّرْقِ والغَرْبِ، والشمالِ والجنوبِ، وبين كُلِّ مَن يُؤمِنُ بأنَّ الله خَلَقَنا لنتعارَفَ ونَتعاوَنَ ونَتعايَشَ كإخوةٍ مُتحابِّين.

هذا ما نَأمُلُه ونسعىٰ إلىٰ تحقيقِه؛ بُغيةَ الوُصولِ إلىٰ سلامٍ عالميٍّ يَنعَمُ به الجميعُ في هذه الحياةِ.

شيخ الأزهر الشريف	قداسة البابا
أحمد الطيب	فرانسيس

12

الملحق02: (وثيقة مكة المكرمة سنة 2019م الموافق ل1440هــ)[1]

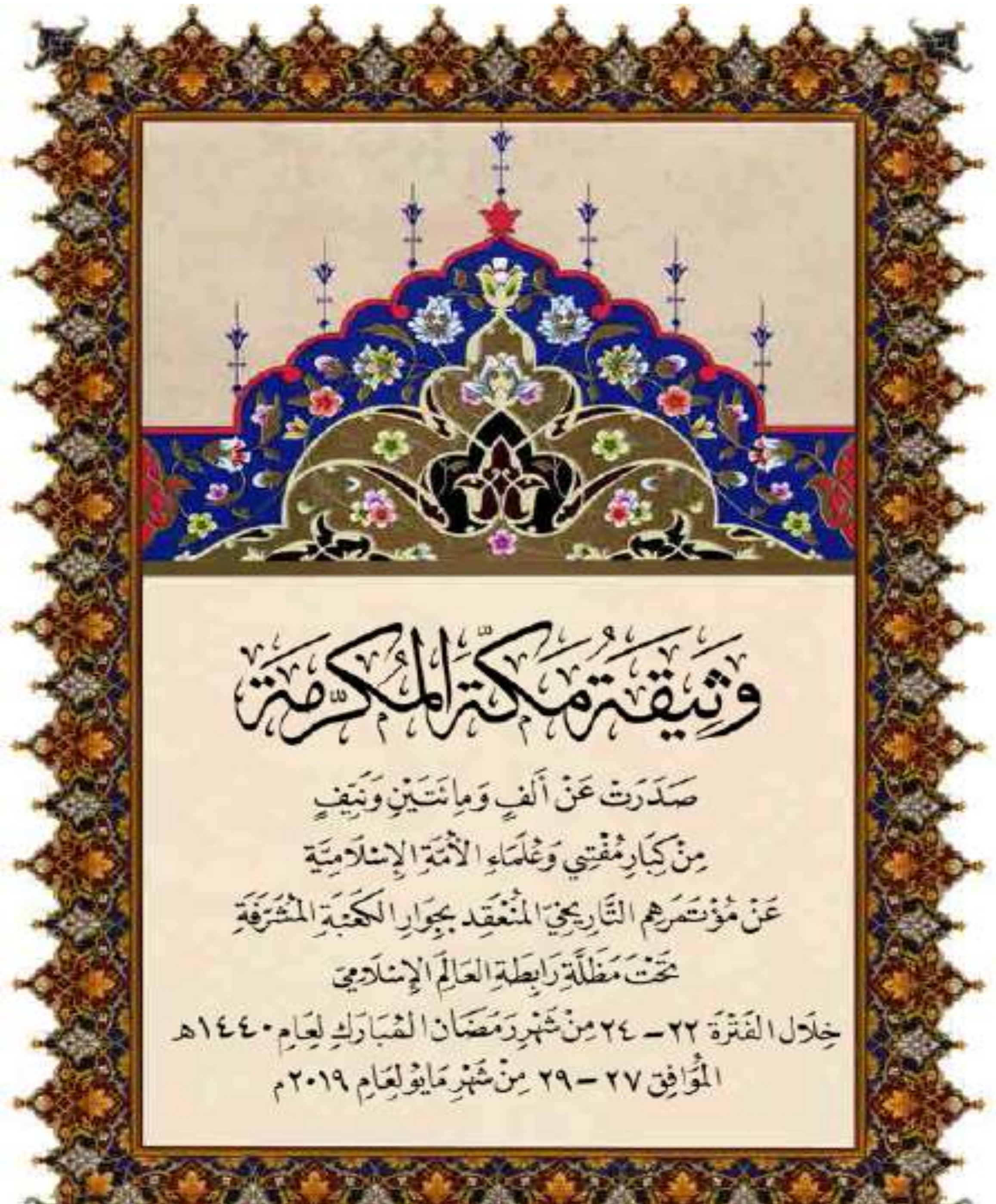

(1) أحمد عبد الكريم العيسى، وثيقة مكة المكرمة، مؤتمر (وثيقة مكة المكرمة)، مكة، المملكة العربية السعودية، 27-29 ماي 2019 الموافق ل22-24رمضان 1440.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه، أما بعد:
فهذه الوثيقة التاريخية المسمّاة باسم المكان المقدس الذي صدرت منه، استلهمت مبادئها وغاياتها من الوثيقة التاريخية التي أمضاها نبينا محمد ﷺ مع التنوع الديني في المدينة المنورة قبل أكثر من (1400) عام، وهي التي أسست للتعايش في المجتمع المدني بعد أن أصبح المسلمون مكوناً جديداً فيه.

اجتمع لوثيقة مكة المكرمة أكثر من (1200) شخصية إسلامية ذات وزن كبير ومؤثر في مجتمعاتها، يمثلون مفتي العالم الإسلامي وكبار علمائه، شاركهم أكثر من (4500) مفكر إسلامي، جاؤوا من (27) مكوناً إسلامياً من مختلف الطوائف والمذاهب من السنة والشيعة وغيرهم، وقد حضروا جميعاً بأنفسهم، وشكلت الظروف الطارئة لاعتذار بعضهم والاكتفاء بالإنابة أقل من (1%)، وكان ذلك الحضور التاريخي وغير المسبوق في العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك من العام (1440هـ – 2019م) بجوار الكعبة المشرفة، برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية - يحفظه الله، قادمين من (139) دولة، لتدارس عدد من القضايا المهمة تدارساً انبثقت عنه هذه الوثيقة لتكون ميثاقاً إسلامياً عظيماً يؤسس لقيم التعايش الإسلامي والإنساني، وبخاصة التعايش بين أتباع الأديان والانتماءات الثقافية والعرقية والمذهبية حول العالم.

وتعتبر هذه الوثيقة الأولى من نوعها في التاريخ الإسلامي المعاصر، والثانية بعد وثيقة المدينة المنورة، حيث حققت وثيقة مكة المكرمة لأول مرة في التاريخ

2

الإسلامي بعد النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم إجماع علماء الأمة الإسلامية على قضايا في غاية الأهمية، لتصبح واقعًا بعد أن كانت في السابق أشبه بحلم فقط، ووصفها عدد من المفتين وكبار علماء المسلمين بالوثيقة الدستورية الثانية للأمة الإسلامية.

وقد عبر مفتو وعلماء العالم الإسلامي من خلال نصوص هذه الوثيقة عن أنهم جزء فاعل في هذا العالم بمختلف أممه وشعوبه ومشتركاته، يسعون كغيرهم إلى تواصل إيجابي مع الجميع من أجل تحقيق السلام والوئام والسعادة والرفاه الشامل والعادل للبشرية، ومد جسور المودة والإخاء والتعاون الإنساني، ورفض كافة أساليب الكراهية وممارسات التمييز والصدام الحضاري، متجاوزين المفهوم المجرد للأخوة الإسلامية والإنسانية إلى الأثر العملي الملموس، لتستمر بذلك صناعة التحول والفرق من خلال تفعيل معنى الأخوة الحقة؛ وإلا فإن الإنسان أخو الإنسان شاء أم أبى، فكلهم لآدم.

لقد عبرت هذه الوثيقة عن فكر علماء الأمة الإسلامية، وأصبحت قوة ناعمة بإجماعها غير المسبوق من نوعه في التاريخ الإسلامي، ولا في تاريخ أتباع الأديان كافة؛ حيث حضر اجتماعها الملهم جميع الطوائف والمذاهب بدون استثناء في عمل يتعلق بدين واحد.

وقد تميز هذا الحضور بعدم وجود أي من حاملي شعارات تسييس الدين المسيئة، والتي حاولت اختزال عالمية الدين في أهداف سياسية ضيقة تمثل شعاراتها الخاصة، وهذا الأفق الكبير لعلماء الوثيقة التي حضنت الجميع دون أن يكون لها أي هدف سوى إيضاح حقيقة الإسلام وأنه رحمة للعالمين، هو الذي جعل مجلس وزراء خارجية الدول الإسلامية في دورته (47) المنعقدة في نيامي عاصمة جمهورية النيجر عام (1442هـ - 2020م) ينوه بإجماع الدول الإسلامية بهذه الوثيقة ويصدر قرارًا مؤيدًا

3

لها، مع توصيته كذلك بالاستفادة منها في المؤسسات الدينية والتعليمية والثقافية في دول العالم الإسلامي، كما أفادت عدد من المؤسسات الدينية والفكرية غير الإسلامية في ملتقيات وندوات عن هذه الوثيقة تعبر عن حفاوتهم البالغة بها.

وقد أكد علماء هذه الوثيقة أنه لا يمثل الأمة الإسلامية، ولا يتحدث باسمها في أمرها الديني، وكل ذي صلة به، إلا علماؤها الراسخون في جمع كجمع مؤتمر هذه الوثيقة في قبلتهم الجامعة بمكة المكرمة حيث انطلقت رسالة الإسلام.

وجاءت رابطة العالم الإسلامي من مقرها الرئيس بمكة المكرمة لتواصل لحظة الإسلامية الأولى في هيكلة عصرية منذ أكثر من (60) عاماً، بينما تاريخ الرابطة الفعلي يبدأ من تاريخ انطلاقة الإسلام، فالإسلام منذ أشرق نوره وهو يكون رابطة إسلامية واحدة تحتضن الجميع، وها هي تسير على منهجه رابطة العالم الإسلامي بهيكلتها العصرية لتحظى بشرف مواصلة هذه المسيرة الإسلامية المباركة من أقدس بقاع الأرض، والله الموفق.

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي
رئيس هيئة علماء الوثيقة بمكة المكرمة

محمد بن عبد الكريم العيسى

4

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمن رحاب البيت الحرام، ومن أفياء الكعبة المشرفة، يستصحب حضور مؤتمر «وثيقة مكة المكرمة» من كبار علماء الأمة الإسلامية، وفي طليعتهم كبار مفتيها، الصدى الكبير، والأثر البالغ لـ «وثيقة المدينة المنورة» التي عقدها النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا مع المكونات المختلفة في أديانها وثقافاتها وأعراقها في مدينته المنورة، فكانت وثيقة دستورية تحتذى في إرساء قيم التعايش، وتحقيق السلم بين مكونات المجتمع الإنساني.

و«وثيقة مكة المكرمة» هي هدي إسلامي تستمد ضياءها من معالم تلكم الوثيقة الخالدة، تصدر عن كبار علماء الأمة الإسلامية من قبلتهم الجامعة إلى عالم القرن الخامس عشر الهجري، القرن الحادي والعشرين الميلادي.

وصدور هذه الوثيقة من جنبات البيت العتيق، مهوى أفئدة المسلمين: «تأكيد» على أهمية المرجعية الروحية للعالم الإسلامي حيث قبلة الإسلام والمسلمين، ومصدر إشعاعه للعالمين برحابها الطاهرة في مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية، و«تنويه» بالاستحقاق الكبير لقيادتها السياسية، وما اضطلعت به من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين والإنسانية جمعاء.

د

وَالْمُسْلِمُونَ إِذْ يُصْدِرُونَ هَذِهِ الوَثِيقَةَ مُمَثَّلِينَ فِي مَرْجِعِيَّتِهِمُ الدِّينِيَّةِ الَّتِي وَافَقَ انْتِظَامُ عَقْدِهَا الْمَيْمُونِ شَرَفَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، حَيْثُ جَاوَرُوا - بِجَمْعِهِمُ التَّارِيخِيِّ - البَيْتَ العَتِيقَ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ: يُؤَكِّدُونَ أَنَّهُمْ جُزْءٌ مِنْ هَذَا العَالَمِ بِتَفَاعُلِهِ الحَضَارِيِّ، يَسْعَوْنَ لِلتَّوَاصُلِ مَعَ مُكَوِّنَاتِهِ كَافَّةً لِتَحْقِيقِ صَالِحِ البَشَرِيَّةِ، وَتَعْزِيزِ قِيَمِهَا النَّبِيلَةِ، وَبِنَاءِ جُسُورِ المَحَبَّةِ وَالوِئَامِ الإِنْسَانِيِّ، وَالتَّصَدِّي لِمُمَارَسَاتِ الظُّلْمِ وَالصِّدَامِ الحَضَارِيِّ وَسَلْبِيَّاتِ الكَرَاهِيَةِ.

كَمَا يُؤَكِّدُ المُؤْتَمِرُونَ عَلَى مَضَامِينِ هَذِهِ الوَثِيقَةِ التَّارِيخِيَّةِ مُشْتَمِلَةً عَلَى الأُسُسِ وَالمَبَادِئِ الآتِيَةِ:

١- البَشَرُ عَلَى اخْتِلَافِ مُكَوِّنَاتِهِمْ يَنْتَمُونَ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَهُمْ مُتَسَاوُونَ فِي إِنْسَانِيَّتِهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء]، وَيَشْمَلُهُمْ جَمِيعًا التَّكْرِيمُ الإِلَهِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿۞وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء].

٢- رَفْضُ العِبَارَاتِ وَالشِّعَارَاتِ العُنْصُرِيَّةِ، وَالتَّنْدِيدُ بِدَعَاوَى الاسْتِعْلَاءِ البَغِيضَةِ الَّتِي تُزَيِّنُهَا أَوْهَامُ التَّفْضِيلِ المُصْطَنَعَةُ، فَأَكْرَمُ النَّاسِ أَتْقَاهُمْ لِلَّهِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات]، كَمَا أَنَّ خِيَارَهُمْ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَفِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ» [مُعْجَمُ الطَّبَرَانِيِّ].

6

٣- الاختلاف بين الأمم في معتقداتهم وثقافاتهم وطبائعهم وطرائق تفكيرهم، قدرٌ إلهي قضت به حكمة الله البالغة، والإقرار بهذه السنة الكونية والتعامل معها بمنطق العقل والحكمة بما يوصل إلى الوئام والسلام الإنساني، خيرٌ من مكابرتها ومصادمتها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [هود]، وعلى كل من يهدي إلى الحق بيانه للناس.

٤- التنوع الديني والثقافي في المجتمعات الإنسانية لا يبرر الصراع والصدام، بل يستدعي إقامة شراكة حضارية إيجابية، وتواصلاً فاعلاً يجعل من التنوع جسرًا للحوار، والتفاهم، والتعاون لمصلحة الجميع، ويحفز على التنافس في خدمة الإنسان وإسعاده، والبحث عن المشتركات الجامعة، واستثمارها في بناء دولة المواطنة الشاملة، المبنية على القيم والعدل والحريات المشروعة، وتبادل الاحترام، ومحبة الخير للجميع.

٥- أصل الأديان السماوية واحد، وهو الإيمان بالله سبحانه إيمانًا يوحده جل وعلا لا شريك له، وشرائعها ومناهجها متعددة، ولا يجوز الربط بين الدين والممارسات السياسية الخاطئة لأيٍّ من المنتسبين إليه.

٦- الحوار الحضاري أفضل السبل إلى التفاهم السوي مع الآخر، والتعرف على المشتركات معه، وتجاوز معوقات التعايش، والتغلب على المشكلات ذوات الصلة، وهو ما يفيد في الاعتراف الفاعل بالآخر، وبحقه في الوجود، وسائر حقوقه المشروعة، مع تحقيق العدالة والتفاهم بين الفرقاء، بما يعزز احترام خصوصياتهم، وبتجاوز الأحكام المسبقة المحملة بعداوات التاريخ التي صعدت من مجازفات الكراهية ونظرية المؤامرة، والتعميم الخاطئ لشذوذات المواقف والتصرفات، مع التأكيد

7

عَلَى أَنَّ التَّارِيخَ فِي ذِمَّةِ أَصْحَابِهِ، وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، أَيًّا كَانَتْ فُصُولُ التَّارِيخِ
الْمُسْتَدْعَاةُ، وَعَلَى أَيِّ دِينٍ، أَوْ فِكْرٍ، أَوْ سِيَاسَةٍ، أَوْ قَوْمِيَّةٍ حُسِبَتْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٣٤ ﴾ [البقرة]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ٥١
قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢ ﴾ [طه].

٧ - بَرَاءَةُ الْأَدْيَانِ وَالْفَلْسَفَاتِ مِنْ مُجَازَفَاتِ مُعْتَنِقِيهَا وَمُدَّعِيهَا؛ فَهِيَ لَا تُعَبِّرُ إِلَّا عَنْ أَصْحَابِهَا، فَالشَّرَائِعُ الْمُتَعَدِّدَةُ تَدْعُو فِي أُصُولِهَا إِلَى عِبَادَةِ الْخَالِقِ وَحْدَهُ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِنَفْعِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَالْحِفَاظِ عَلَى كَرَامَتِهِمْ، وَتَعْزِيزِ قِيَمِهِمْ، وَالْحِفَاظِ عَلَى عَلَاقَاتِهِمُ الْأُسَرِيَّةِ وَالْمُجْتَمَعِيَّةِ الْإِيجَابِيَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» [مسند أحمد].

٨ - التَّآزُرُ لِوَقْفِ تَدْمِيرِ الْإِنْسَانِ وَالْعُمْرَانِ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى خَيْرِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَنَفْعِهَا: يَتَحَقَّقُ بِعَقْدِ حِلْفٍ عَالَمِيٍّ فَاعِلٍ يَتَجَاوَزُ التَّنْظِيرَاتِ وَالشِّعَارَاتِ الْمُجَرَّدَةَ، وَذَلِكَ لِإِصْلَاحِ الْخَلَلِ الْحَضَارِيِّ الَّذِي يُعْتَبَرُ الْإِرْهَابُ فَرْعًا مِنْ فُرُوعِهِ، وَنَتِيجَةً مِنْ نَتَائِجِهِ.

٩ - سَنُّ التَّشْرِيعَاتِ الرَّادِعَةِ لِمُرَوِّجِي الْكَرَاهِيَةِ، وَالْمُحَرِّضِينَ عَلَى الْعُنْفِ وَالْإِرْهَابِ، وَالصِّدَامِ الْحَضَارِيِّ؛ كَفِيلٌ بِتَخْفِيفِ مُسَبِّبَاتِ الصِّرَاعِ الدِّينِيِّ وَالْإِثْنِيِّ.

١٠ - الْمُسْلِمُونَ أَثْرَوُا الْحَضَارَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ بِتَجْرِبَةٍ فَرِيدَةٍ ثَرِيَّةٍ، وَهُمُ الْيَوْمَ قَادِرُونَ عَلَى رَفْدِهَا بِكَثِيرٍ مِنَ الْإِسْهَامَاتِ الْإِيجَابِيَّةِ الَّتِي تَحْتَاجُهَا الْبَشَرِيَّةُ فِي الْأَزَمَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْبِيئِيَّةِ الَّتِي تُعَانِي مِنْهَا فِي ظِلِّ الِانْعِدَامِ الْقِيَمِيِّ الَّذِي أَفْرَزَتْهُ سَلْبِيَّاتُ الْعَوْلَمَةِ.

١١ - مُكَافَحَةُ الْإِرْهَابِ وَالظُّلْمِ وَالْقَهْرِ، وَرَفْضُ اسْتِغْلَالِ مُقَدَّرَاتِ الشُّعُوبِ وَانْتِهَاكِ

8

حقوق الإنسان: واجب الجميع، ولا يجوز فيه التمييز ولا المحاباة؛ فالقيم العادلة لا تقبل التجزئة، ورفع الظلم ومساندة القضايا العادلة، وتكوين رأي عام عالمي يناصرها ويقيم العدل فيها: واجب أخلاقي لا يجوز التلكؤ في إحقاقه، ولا التمادي في نسيانه.

١٢- الطبيعة التي نعيش بين جنباتها: هبة الخالق العظيم للإنسان، فقد سخر له ما في السماوات وما في الأرض، والاعتداء على موارد الطبيعة وإهدارها وتلويثها: تجاوز واعتداء على حق الأجيال القادمة.

١٣- أطروحة الصراع الحضاري، والدعوة للصدام، والتخويف من الآخر: مظهر من مظاهر العزلة والاستعلاء المتولد عن النزعة العنصرية، والهيمنة الثقافية السلبية، والانغلاق على الذات، وهو في أحسن أحواله: ضلال منهجي، أو ضحالة فكرية، أو شعور بضعف مقومات البناء الحضاري، ومن ثم: السعي للدفع بالصراع نحو المواجهة عوضا عن أن يسود سيادة طبيعية سلمية متى امتلك القوة الذاتية.

١٤- الصراع والصدام يعمل على تجذير الكراهية، واستنبات العداء بين الأمم والشعوب، ويحول دون تحقيق مطلب العيش المشترك، والاندماج الوطني الإيجابي، وبخاصة في دول التنوع الديني والإثني، كما أنه في عداد المواد الأولية لصناعة العنف والإرهاب.

١٥- ظاهرة «الإسلاموفوبيا» وليدة عدم المعرفة بحقيقة الإسلام وإبداعه الحضاري وغاياته السامية، والتعرف الحقيقي على الإسلام: يستدعي الرؤية الموضوعية التي تتخلص من الأفكار المسبقة، لتفهمه بتدبر أصوله ومبادئه، لا بالتشبث بشذوذات

٩

يرتكبها المنتحلون لاسمه، ومجازفات ينسبونها زورًا إلى شرائعه.

١٦- ترسيخ القيم الأخلاقية النبيلة، وتشجيع الممارسات الاجتماعية السامية: واجب الجميع، وكذا التعاون في التصدي للتحديات الأخلاقية، والبيئية، والأسرية، وفق المفاهيم الإسلامية والإنسانية المشتركة.

١٧- الحرية الشخصية لا تسوغ الاعتداء على القيم الإنسانية، ولا تدمير المنظومات الاجتماعية، وثمة فرق بين الحرية والفوضى، وكل حرية يجب أن تقف عند حد القيم وحريات الآخرين، وعند حدود الدستور والنظام، مراعية الوجدان العام، والسكينة المجتمعية.

١٨- التدخل في شؤون الدول: اختراق مرفوض، ولا سيما أساليب الهيمنة السياسية بمطامعها الاقتصادية وغيرها، أو تسويق الأفكار الطائفية، أو محاولة فرض الفتاوى على ظرفيتها المكانية، وأحوالها، وأعرافها الخاصة، ولا يسوغ التدخل مهما تكن ذرائعه المحمودة؛ إلا وفق شرعية تبيح ذلك من خلال طلب رسمي لمصلحة راجحة في مواجهة معتد أو ثائر أو مفسد، أو لإغاثة أو رعاية أو تنمية أو نحو ذلك.

١٩- تجارب التنمية الناجحة عالميًا: أنموذج يحتذى في ردع أشكال الفساد كافة، وإعمال مبدأ المحاسبة بوضوح تام، والعمل على تغيير الأنماط الاستهلاكية التي تعيق برامج التنمية، وتستنزف المقدرات، وتهدر الثروات.

٢٠- تحصين المجتمعات المسلمة: مسؤولية مؤسسات التربية والتعليم بمناهجها ومعلميها وأدواتها ذوات الصلة، وعموم منصات التأثير - وبخاصة منابر الجمعة، ومؤسسات المجتمع المدني - مستوجبة توعية عاطفتهم الدينية، والأخذ بأيديهم نحو

مفاهيم الوسطية والاعتدال، والحذر من الانجرار السلبي إلى تصعيد نظريات المؤامرة، والصدام الديني والثقافي، أو زرع الإحباط في الأمة، أو ما كان من سوء ظن بالآخرين مجرد أو مُبالغ فيه.

٢١ - تحقيق معادلة العيش المشترك الآمن بين جميع المكونات الدينية والإثنية والثقافية على اتساع الدائرة الإنسانية: يستدعي تعاون القيادات العالمية والمؤسسات الدولية كافة، وعدم التفريق - عند مد يد العون السياسي أو الاقتصادي أو الإنساني - بين الناس على أساس ديني أو عرقي أو غيره.

٢٢ - المواطنة الشاملة استحقاق تمليه مبادئ العدالة الإسلامية لعموم التنوع الوطني، يحترم فيها الدستور والنظام المعبر عن الوجدان الوطني بإجماعه أو أكثريته، وكما على الدولة استحقاق في ذلك؛ فعلى مواطنيها واجب الولاء الصادق، والمحافظة على الأمن والسلم الاجتماعي، ورعاية حمى المحرمات والمقدسات، وذلك كله وفق مبدأ الاستحقاق المتبادل، والحقوق العادلة مع الجميع، ومن بينهم: الأقليات الدينية والإثنية.

٢٣ - الاعتداء على دور العبادة عمل إجرامي يتطلب الوقوف إزاءه بحزم تشريعي، وضمانات سياسية وأمنية قوية، مع التصدي اللازم للأفكار المتطرفة المحفزة عليه.

٢٤ - تعزيز مبادرات وبرامج مكافحة الجوع، والفقر، والمرض، والجهل، والتمييز العنصري، والتدهور البيئي، منوط بتضامن الجهات المسؤولة كافة: الحكومية والأممية والأهلية والناشطين ذوي الصلة في خدمة العمل الإنساني، وصيانة كرامة الإنسان وحفظ حقوقه.

11

٢٥- التمكين المشروع للمرأة وفق تأطير يحفظ حدود الله تعالى: حق من حقوقها، ولا يجوز الاستطالة عليه بتهميش دورها، أو امتهان كرامتها، أو التقليل من شأنها، أو إعاقة فرصها، سواء في الشؤون الدينية أو العلمية أو السياسية أو الاجتماعية أو غيرها، ولا سيما تقلدها في ذلك كله المراتب المستحقة لها دون تمييز ضدها، ومن ذلك: المساواة في الأجور والفرص، وذلك كله وفق طبيعتها، ومعايير الكفاءة والتكافؤ العادل بين الجميع، والحيلولة دون تحقيق تلك العدالة: جناية على المرأة بخاصة والمجتمعات بعامة.

٢٦- العناية بالطفل صحيًّا وتربويًّا وتعليميًّا: طليعة مسؤوليات الدول والهيئات والمؤسسات الأممية والأهلية ذوات الصلة، فضلًا عن مسؤوليات الأسرة، وبخاصة العمل على صياغة فكره بما يوسع آفاقه ويعزز قدراته، ويمكن لفرص إبداعه ومهارات تواصله، ويحصنه من الانحراف.

٢٧- تعزيز هوية الشباب المسلم بركائزها الخمس: الدين، والوطن، والثقافة، والتاريخ، واللغة، وحمايتها من محاولات الإقصاء أو الذوبان المتعمد وغير المتعمد: يتطلب حماية الشباب من أفكار الصدام الحضاري والتعبئة السلبية ضد المخالف، والتطرف الفكري بتشدده أو عنفه أو إرهابه، مع تقوية مهارات تواصل الشباب مع الآخرين بوعي يعتمد أفق الإسلام الواسع وأدبه المؤلف للقلوب، ولا سيما قيم التسامح والتعايش بسلام ووئام يتفهم وجود الآخر، ويحفظ كرامته وحقوقه، ويرعى أنظمة الدول التي يقيم على أرضها، مع التعاون والتبادل النافع معه، وفق مفاهيم الأخوة الإنسانية التي رسخ الإسلام مبادئها الرفيعة.

12

وَيَرَى مُصْدِرُو هَذِهِ الوَثِيقَةِ أَهَمِّيَّةَ إِيجَادِ مُنْتَدًى عَالَمِيٍّ (مُبَادَرَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ) يُعْنَى بِشُؤُونِ الشَّبَابِ بِعَامَّةٍ، يَعْتَمِدُ ضِمْنَ بَرَامِجِهِ: التَّوَاصُلَ بِالحِوَارِ الشَّبَابِيِّ البَنَّاءِ مَعَ الجَمِيعِ فِي الدَّاخِلِ الإِسْلَامِيِّ وَخَارِجِهِ، مُتَبَنِّيًا أُطْرُوحَاتِ الشَّبَابِ وَإِشْكَالَاتِهِمْ كَافَّةً، بِوُضُوحٍ وَمُصَارَحَةٍ تَامَّةٍ، مِنْ خِلَالِ كَفَاءَاتٍ تَتَمَيَّزُ بِالعِلْمِ وَالحِسِّ التَّرْبَوِيِّ، تَتَبَادَلُ مَعَ الشَّبَابِ الحِوَارَ وَالنِّقَاشَ بِخِطَابٍ مُوَازٍ يَتَفَهَّمُ مَرْحَلَتَهُمْ وَمَشَاعِرَهُمْ، تَلَافِيًا لِغِيَابٍ مَضَى أَحْدَثَ فَرَاغًا، وَعَادَ بِنَتَائِجَ سَلْبِيَّةٍ.

٢٨ - تَجَاوُزُ المُقَرَّرَاتِ وَالمُبَادَرَاتِ وَالبَرَامِجِ كَافَّةً طَرْحَهَا النَّظَرِيَّ، وَشِعَارَاتِهَا الشَّكْلِيَّةَ، وَتَكَالِيفَهَا غَيْرَ المُجْدِيَةِ؛ إِلَى الفَاعِلِيَّةِ مِنْ خِلَالِ أَثَرٍ إِيجَابِيٍّ مَلْمُوسٍ، يَعْكِسُ الجِدِّيَّةَ، وَالمِصْدَاقِيَّةَ، وَقُوَّةَ المَنْظُومَةِ، وَبِخَاصَّةٍ مَا يَتَعَلَّقُ بِإِرْسَاءِ السِّلْمِ وَالأَمْنِ الدَّوْلِيَّيْنِ، وَإِدَانَةِ أَسَالِيبِ الإِبَادَةِ الجَمَاعِيَّةِ، وَالتَّطْهِيرِ العِرْقِيِّ، وَالتَّهْجِيرِ القَسْرِيِّ، وَالاتِّجَارِ بِالبَشَرِ، وَالإِجْهَاضِ غَيْرِ المَشْرُوعِ.

٢٩ - لَا يُبْرِمُ شَأْنَ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَيَتَحَدَّثُ بِاسْمِهَا فِي أَمْرِهَا الدِّينِيِّ وَكُلِّ ذِي صِلَةٍ بِهِ: إِلَّا عُلَمَاؤُهَا الرَّاسِخُونَ فِي جَمْعٍ كَجَمْعِ مُؤْتَمَرِ هَذِهِ الوَثِيقَةِ، وَمَا امْتَازَتْ بِهِ مِنْ بَرَكَةِ رِحَابِ قِبْلَتِهِمُ الجَامِعَةِ، وَالعَمَلُ الدِّينِيُّ وَالإِنْسَانِيُّ المُشْتَرَكُ الهَادِفُ لِمَصْلَحَةِ الجَمِيعِ: يَلْزَمُ تَشَارُكُ الجَمِيعِ دُونَ إِقْصَاءٍ أَوْ عُنْصُرِيَّةٍ أَوْ تَمْيِيزٍ لِأَتْبَاعِ دِينٍ أَوْ عِرْقٍ أَوْ لَوْنٍ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

13

صَدَرَتْ في مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ بِجِوَارِ الكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ

عَنْ مُؤْتَمَرِ «وَثِيقَةِ مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ»

المُنْعَقِدِ خِلَالَ الفَتْرَةِ ٢٢ - ٢٤ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَكِ لِعَامِ ١٤٤٠هـ

المُوَافِقِ ٢٧ - ٢٩ مِنْ شَهْرِ مَايُو لِعَامِ ٢٠١٩م

وثيقة مكة المكرمة

The Makkah Charter

رابطة العالم الإسلامي

MUSLIM WORLD LEAGUE

الملحق03: (إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام)[1]

إعلان القاهرة
حول حقوق الإنسان في الإسلام

تأكيداً للدور الحضاري والتاريخي للأمة الإسلامية التي جعلها الله خير أمة أورثت البشرية حضارة عالمية متوازنة ربطت الدنيا بالآخرة وجمعت بين العلم والإيمان، وما يرجى أن تقوم به هذه الأمة اليوم لهداية البشرية الحائرة بين التيارات والمذاهب المتناقضة وتقديم الحلول لمشكلات الحضارة المادية المزمنة.

ومساهمة في الجهود البشرية المتعلقة بحقوق الإنسان التي تهدف إلى حمايته من الاستغلال والاضطهاد وتهدف إلى تأكيد حريته وحقوقه في الحياة الكريمة التي تتفق مع الشريعة الإسلامية.

وثقة منها بأن البشرية التي بلغت في مدارج العلم المادي شأناً بعيداً، لا تزال، وستبقى في حاجة ماسة إلى سند إيماني لحضارتها وإلى وازع ذاتي يحرس حقوقها.

وإيماناً بأن الحقوق الإنسانية والحريات العامة في الإسلام جزء من دين المسلمين لا يملك أحد بشكل مبدئي تعطيلها كلياً أو جزئياً، أو خرقها أو تجاهلها في أحكام إلهية تكليفية أنزل الله بها كتبه. وبعث بها خاتم رسله وتمم بها ما جاءت به الرسالات السماوية وأصبحت رعايتها عبادة، وإهمالها أو العدوان عليها منكراً في الدين وكل إنسان مسؤول عنها بمفرده. والأمة مسؤولة عنها بالتضامن، إن الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي تأسيساً على ذلك تعلن ما يلي:

المادة الأولى:

أ-البشر جميعاً أسرة واحدة جمعت بينهم العبودية لله والبنوة لآدم وجميع الناس متساوون في أصل الكرامة الإنسانية وفي أصل التكليف والمسؤولية دون تمييز بينهم بسبب العرق أو اللون أو اللغة أو الجنس أو المعتقد الديني أو الانتماء السياسي أو الوضع الاجتماعي أو غير ذلك من الاعتبارات. وأن العقيدة الصحيحة هي الضمان لنمو هذه الكرامة عن طريق تكامل الإنسان.

ب-إن الخلق كلهم عيال الله وأن أحبهم إليه أنفعهم لعياله وأنه لا فضل لأحد منهم على الآخر إلا بالتقوى والعمل الصالح.

المادة الثانية:

أ-الحياة هبة الله وهي مكفولة لكل إنسان، وعلى الأفراد والمجتمعات والدول حماية هذا الحق من كل اعتداء عليه، ولا يجوز إزهاق روح دون مقتضى شرعي.

ب-يحرم اللجوء إلى وسائل تفضي إلى إفناء الينبوع البشري.

جـ-المحافظة على استمرار الحياة البشرية إلى ما شاء الله واجب شرعي.

د- سلامة جسد الإنسان مصونة، ولا يجوز الاعتداء عليها، كما لا يجوز المساس بها دون مسوغ شرعي وتكفل الدولة حماية ذلك.

المادة الثالثة:

أ-في حالة استخدام القوة أو المنازعات المسلحة، لا يجوز قتل من لا مشاركة له في القتال كالشيخ والمرأة والطفل، وللجريح والمريض الحق في أن يداوى وللأسير أن يطعم ويؤوى ويكسى، ويحرم التمثيل

---

[1] الموحي، المرجع نفسه، ص، ص271-278.

بالقتلى، ويجب تبادل الأسرى وتلاقي اجتماع الأسر التي فرقتها ظروف القتال.

ب- لا يجوز قطع الشجر أو إتلاف الزرع والضرع وتخريب المباني والمنشآت المدنية للعدو بقصف أو نسف أو غير ذلك.

المادة الرابعة..

لكل إنسان حرمته والحفاظ على سمعته في حياته وبعد موته وعلى الدولة والمجتمع حماية جثمانه ومدفنه.

المادة الخامسة:

أ- الأسرة هي الأساس في بناء المجتمع. والزواج أساس تكوينها وللرجال والنساء الحق في الزواج ولا تحول دون تمتعهم بهذا الحق قيود منشؤها العرق أو اللون أو الجنسية.

ب- على المجتمع والدولة إزالة العوائق أمام الزواج وتيسير سبله وحماية الأسرة ورعايتها.

المادة السادسة:

أ- المرأة مساوية للرجل في الكرامة الإنسانية، ولها من الحق مثل ما عليها من الواجبات ولها شخصيتها المدنية وذمتها المالية المستقلة وحق الاحتفاظ باسمها ونسبها.

ب- على الرجل عبء الإنفاق على الأسرة ومسؤولية رعايتها.

المادة السابعة:

أ- لكل طفل عند ولادته حق على الأبوين والمجتمع والدولة في الحضانة والتربية والرعاية المادية والصحية والأدبية كما تجب حماية الجنين والأم وإعطاؤهما عناية خاصة.

ب- للآباء ومن بحكمهم، الحق في اختيار نوع التربية التي يريدون لأولادهم مع وجوب مراعاة مصلحتهم ومستقبلهم في ضوء القيم الأخلاقية والأحكام الشرعية.

جـ- للأبوين على الأبناء حقوقهما وللأقارب حق على ذويهم وفقاً لأحكام الشريعة.

المادة الثامنة:

لكل إنسان التمتع بأهليته الشرعية من حيث الإلزام والإلتزام وإذا فقدت أهليته أو انتقصت قام وليه - مقامه.

المادة التاسعة:

أ- طلب العلم فريضة والتعليم واجب على المجتمع والدولة وعليها تأمين سبله ووسائله وضمان تنوعه بما يحقق مصلحة المجتمع ويتيح للإنسان معرفة دين الإسلام وحقائق الكون وتسخيرها لخير البشرية.

ب- من حق كل إنسان على مؤسسات التربية والتوجيه المختلفة من الأسرة والمدرسة والجامعة وأجهزة الإعلام وغيرها أن تعمل على تربية الإنسان دينياً ودنيوياً تربية متكاملة ومتوازنة تنمي شخصيته وتعزز إيمانه بالله واحترامه للحقوق والواجبات وحمايتها.

المادة العاشرة:

الإسلام هو دين الفطرة، ولا يجوز ممارسة أي لون من الإكراه على الإنسان أو استغلال فقره أو جهله بحمله على تغيير دينه إلى دين آخر أو الإلحاد.

المادة الحادية عشرة:

أ- يولد الإنسان حراً وليس لأحد أن يستعبده أو يذله أو يقهره أو يستغله ولا عبودية لغير الله تعالى.

ب- الإستعمار بشتى أنواعه وباعتباره من أسوأ أنواع الاستعباد محرم تحريماً مؤكداً وللشعوب التي تعانيه الحق الكامل للتحرر منه وفي تقرير المصير. وعلى جميع الدول والشعوب واجب النصرة لها في كفاحها لتصفية كل أشكال الاستعمار أو الاحتلال. ولجميع الشعوب الحق في الاحتفاظ بشخصيتها المستقلة والسيطرة على ثرواتها ومواردها الطبيعية.

المادة الثانية عشرة:

لكل إنسان الحق في إطار الشريعة في حرية التنقل، واختيار محل إقامته داخل بلاده أو خارجها وله إذا اضطهد حق اللجوء إلى بلد آخر وعلى البلد الذي لجأ إليه أن يجيره حتى يبلغه مأمنه ما لم يكن سبب اللجوء اقتراف جريمة في نظر الشرع.

المادة الثالثة عشرة:

العمل حق تكفله الدولة والمجتمع لكل قادر عليه، وللإنسان حرية اختيار العمل اللائق به مما تتحقق به مصلحته ومصلحة المجتمع، وللعامل حقه في الأمن والسلامة وفي كافة الضمانات الاجتماعية الأخرى، ولا يجوز تكليفه بما لا يطيقه، أو إكراهه، أو استغلاله، أو الإضرار به، وله -دون تمييز بين الذكر والأنثى- أن يتقاضى أجراً عادلاً مقابل عمله دون تأخير وله الإجازات والعلاوات والفروقات التي يستحقها. وهو مطالب بالإخلاص والإتقان، وإذا اختلف العمال وأصحاب العمل فعلى الدولة أن تتدخل بفض النزاع ورفع الظلم وإقرار الحق والإلزام بالعدل دون تحيز.

المادة الرابعة عشرة:

للإنسان الحق في الكسب المشروع دون احتكار أو غش أو إضرار بالنفس أو بالغير والربا ممنوع مؤكداً.

المادة الخامسة عشرة:

أ-لكل إنسان الحق في التملك بالطرق الشرعية، والتمتع بحقوق الملكية بما لا يضر به أو بغيره من الأفراد أو المجتمع، ولا يجوز نزع الملكية إلا لضرورات المنفعة العامة ومقابل تعويض فوري وعادل.

ب-تحرم مصادرة الأموال وحجزها إلا بمقتضى شرعي.

المادة السادسة عشرة:

لكل إنسان الحق في الانتفاع بثمرات إنتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني أو التقني، وله الحق في حماية مصالحه الأدبية والمالية العائدة له على أن يكون هذا الإنتاج غير مناف لأحكام الشريعة.

المادة السابعة عشرة:

أ-لكل إنسان الحق في أن يعيش بيئة نظيفة من المفاسد والأوبئة الأخلاقية تمكنه من بناء ذاته معنوياً. وعلى المجتمع والدولة أن يوفرا له هذا الحق.

ب-لكل إنسان على مجتمعه ودولته حق الرعاية الصحية والاجتماعية بتهيئة جميع المرافق العامة التي تحتاج إليها في حدود الإمكانات المتاحة.

ج-تكفل الدولة لكل إنسان حقه في عيش كريم يحقق له تمام كفايته وكفاية من يعوله ويشمل ذلك المأكل والملبس والمسكن والتعليم والعلاج وسائر الحاجات الأساسية.

المادة الثامنة عشرة:

أ-لكل إنسان الحق في أن يعيش آمناً على نفسه ودينه وأهله وعرضه وماله.

ب-للإنسان الحق في الاستقلال بشؤون حياته الخاصة في مسكنه وأسرته وماله واتصالاته، ولا يجوز التجسس أو الرقابة عليه أو الإساءة إلى سمعته وتجب حمايته من كل تدخل تعسفي.

ج- للمسكن حرمته في كل حال ولا يجوز دخوله بغير إذن أهله أو بصورة غير مشروعة، ولا يجوز هدمه أو مصادرته أو تشريد أهله منه.

المادة التاسعة عشرة:

أ-الناس سواسية أمام الشرع، يستوي في ذلك الحاكم والمحكوم.

ب-حق اللجوء إلى القضاء مكفول للجميع.

ج-المسئولية في أساسها شخصية.

د-لا جريمة ولا عقوبة الا بموجب أحكام الشريعة.

هـ-المتهم بريء حتى تثبت إدانته بمحاكمة عادلة تؤمن له فيها كل الضمانات الكفيلة بالدفاع عنه.

المادة العشرون:

لا يجوز القبض على إنسان أو تقييد حريته أو نفيه أو عقابه بغير موجب شرعي، ولا يجوز تعريضه للتعذيب البدني أو النفسي أو لأي نوع من المعاملات المذلة أو القاسية أو المنافية للكرامة الإنسانية، كما لا يجوز إخضاع أي فرد للتجارب الطبية أو العلمية إلا برضاه وبشرط عدم تعرض صحته وحياته للخطر كما لا يجوز سن القوانين الاستثنائية التي تخول ذلك للسلطات التنفيذية.

المادة الحادية والعشرون:

أخذ الإنسان رهينة محرم بأي شكل من الأشكال ولأي هدف من الأهداف.

المادية الثانية والعشرون:

أ-لكل إنسان الحق في التعبير بحرية عن رأيه بشكل لا يتعارض مع المبادئ الشرعية

ب-لكل إنسان الحق في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفقاً لضوابط الشريعة الإسلامية.

ج-الإعلام ضرورة حيوية للمجتمع، ويحرم استغلاله وسوء استعماله والتعرض للمقدسات وكرامة الأنبياء فيه، وممارسة كل ما من شأنه الاخلال بالقيم أو إصابة المجتمع بالتفكك أو الانحلال أو الضرر أو زعزعة الاعتقاد.

د-لا تجوز إثارة الكراهية القومية والمذهبية وكل ما يؤدي إلى التحريض على التمييز العنصري بكافة أشكاله.

المادة الثالثة والعشرون:

أ-الولاية أمانة يحرم الاستبداد فيها وسوء استغلالها تحريماً مؤكداً ضماناً للحقوق الأساسية للإنسان.

ب-لكل إنسان حق الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده بصورة مباشرة أو غير مباشرة كما أن له الحق في تقلد الوظائف العامة وفقاً لأحكام الشريعة.

المادة الرابعة والعشرون:

كل الحقوق والحريات المقررة في هذا الإعلان مقيدة بأحكام الشريعة الإسلامية.

المادة الخامسة والعشرون:

الشريعة الإسلامية هي المرجع الوحيد لتفسير أو توضيح أي مادة من مواد هذه الوثيقة.

ملحق04: (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948م)[1]

الإعـلان العـالمي لحقـوق الإنسان

اعتُمد بموجب قرار الجمعية العامة 217 ألف (د-3) المؤرخ في 10 كانون الأول/ديسمبر 1948

في 10 كانون الأول/ديسمبر 1948، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأصدرته، ويرد النص الكامل للإعلان في الصفحات التالية. وبعد هذا الحدث التاريخي، طلبت الجمعية العامة من البلدان الأعضاء كافة أن تدعو لنص الإعلان و"أن تعمل على نشره وتوزيعه وقراءته وشرحه، ولاسيما في المدارس والمعاهد التعليمية الأخرى، دون أي تمييز بسبب المركز السياسي للبلدان أو الأقاليم".

الديباجة

لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم.

ولما كان تناسي حقوق الإنسان وازدراؤها قد أفضيا إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني، وكان غاية ما يرنو إليه عامة البشر انبثاق عالم يتمتع فيه الفرد بحرية القول والعقيدة ويتحرر من الفزع والفاقة.

ولما كان من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الإنسان لكيلا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الاستبداد والظلم.

ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت في الميثاق من جديد إيمانها بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء من حقوق متساوية وحزمت أمرها على أن تدفع بالرقي الاجتماعي قدماً وأن ترفع مستوى الحياة في جو من الحرية أفسح.

ولما كانت الدول الأعضاء قد تعهدت بالتعاون مع الأمم المتحدة على ضمان اطراد مراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسية واحترامها.

ولما كان للإدراك العام لهذه الحقوق والحريات الأهمية الكبرى للوفاء التام بهذا التعهد.

فإن الجمعية العامة تنادي بهذا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع، واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم، إلى توطيد احترام هذه الحقوق والحريات عن طريق التعليم والتربية واتخاذ إجراءات مطردة، قومية وعالمية، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الدول الأعضاء ذاتها وشعوب البقاع الخاضعة لسلطانها.

[1] الحقيل، المرجع نفسه، ص70، الموحي، المرجع نفسه، ص، ص231–240.

المادة 1

يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء.

المادة 2

لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء. وفضلا عما تقدم فلن يكون هناك أي تمييز أساسه الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي لبلد أو البقعة التي ينتمي إليها الفرد سواء كان هذا البلد أو تلك البقعة مستقلا أو تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أو كانت سيادته خاضعة لأي قيد من القيود.

المادة 3

لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه.

المادة 4

لايجوز استرقاق أو استعباد أي شخص، ويحظر الاسترقاق وتجارة الرقيق بكافة أوضاعهما.

المادة 5

لايعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة.

المادة 6

لكل إنسان أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية.

المادة 7

كل الناس سواسية أمام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة عنه دون أية تفرقة، كما أن لهم جميعا الحق في حماية متساوية ضد أي تميز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا.

المادة 8

لكل شخص الحق في أن يلجأ إلى المحاكم الوطنية لإنصافه عن أعمال فيها اعتداء على الحقوق الأساسية التي يمنحها له القانون.

المادة 9

لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً.

المادة 10

لكل إنسان الحق، على قدم المساواة التامة مع الآخرين، في أن تنظر قضيته أمام محكمة مستقلة نزيهة نظراً عادلاً علنياً للفصل في حقوقه والتزاماته وأية تهمة جنائية توجه إليه.

المادة 11

(1) كل شخص متهم بجريمة يعتبر بريئاً إلى أن تثبت إدانته قانوناً بمحاكمة علنية تؤمن له فيها الضمانات الضرورية للدفاع عنه.

(2) لا يدان أي شخص من جراء أداة عمل أو الامتناع عن أداة عمل إلا إذا كان ذلك يعتبر جرماً وفقاً للقانون الوطني أو الدولي وقت الارتكاب، كذلك لا توقع عليه عقوبة أشد من تلك التي كان يجوز توقيعها وقت ارتكاب الجريمة.

المادة 12

لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته، ولكل شخص الحق في حماية القانون من مثل هذا التدخل أو تلك الحملات.

المادة 13

(1) لكل فرد حرية التنقل واختيار محل إقامته داخل حدود كل دولة.

(2) يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه.

المادة 14

(1) لكل فرد الحق في أن يلجأ إلى بلاد أخرى أو يحاول الالتجاء إليها هرباً من الاضطهاد.

(2) لا ينتفع بهذا الحق من قدم للمحاكمة في جرائم غير سياسية أو لأعمال تناقض أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة 15

(1) لكل فرد حق التمتع بجنسية ما.

(2) لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً أو إنكار حقه في تغييرها.

المادة 16

(1) للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أي قيد بسبب الجنس أو الدين، ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله.

(2) لا يبرم عقد الزواج إلا برضى الطرفين الراغبين في الزواج رضى كاملاً لا إكراه فيه.

(3) الأسرة هي الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة.

المادة 17

(1) لكل شخص حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره.

(2) لا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً.

المادة 18

لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سراً أم مع الجماعة.

المادة 19

لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية.

المادة 20

(1) لكل شخص الحق في حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية.

(2) لا يجوز إرغام أحد على الانضمام إلى جمعية ما.

المادة 21

(1) لكل فرد الحق في الاشتراك في إدارة الشؤون العامة لبلاده إما مباشرة وإما بواسطة ممثلين يختارون اختياراً حراً.

(2) لكل شخص نفس الحق الذي لغيره في تقلد الوظائف العامة في البلاد.

(3) إن إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة، ويعبر عن هذه الإرادة بانتخابات نزيهة دورية تجري على أساس الاقتراع السري وعلى قدم المساواة بين الجميع أو حسب أي إجراء مماثل يضمن حرية التصويت.

المادة 22

لكل شخص بصفته عضواً في المجتمع الحق في الضمانة الاجتماعية وفي أن تحقق بوساطة المجهود القومي والتعاون الدولي وبما يتفق ونظم كل دولة ومواردها الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والتربوية التي لا غنى عنها لكرامته وللنمو الحر لشخصيته.

المادة 23

(1) لكل شخص الحق في العمل، وله حرية اختياره بشروط عادلة مرضية كما أن له حق الحماية من البطالة.

(2) لكل فرد دون أي تمييز الحق في أجر متساو للعمل.

(3) لكل فرد يقوم بعمل الحق في أجر عادل مرض يكفل له ولأسرته عيشة لائقة بكرامة الإنسان تضاف إليه، عند اللزوم، وسائل أخرى للحماية الاجتماعية.

(4) لكل شخص الحق في أن ينشئ وينضم إلى نقابات حماية لمصلحته.

المادة 24

لكل شخص الحق في الراحة، وفي أوقات الفراغ، ولاسيما في تحديد معقول لساعات العمل وفي عطلات دورية بأجر.

المادة 25

(1) لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته، ويتضمن ذلك التغذية والملبس والمسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة، وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته.

(2) للأمومة والطفولة الحق في مساعدة ورعاية خاصتين، وينعم كل الأطفال بنفس الحماية الاجتماعية سواء أكانت ولادتهم ناتجة عن رباط شرعي أو بطريقة غير شرعية.

المادة 26

(1) لكل شخص الحق في التعلم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان، وأن يكون التعليم الأولي إلزامياً وينبغي أن يعمم التعليم الفني والمهني، وأن ييسر القبول للتعليم العالي على قدم المساواة التامة للجميع وعلى أساس الكفاءة.

(2) يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملاً، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام.

(3) للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم.

المادة 27

(1) لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكاً حراً في حياة المجتمع الثقافي وفي الاستمتاع بالفنون والمساهمة في التقدم العلمي والاستفادة من نتائجه.

(2) لكل فرد الحق في حماية المصالح الأدبية والمادية المترتبة على إنتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني.

المادة 28

لكل فرد الحق في التمتع بنظام اجتماعي دولي تتحقق بمقتضاه الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان تحققاً تاما.

المادة 29

(1) على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذي يتاح فيه وحده لشخصيته أن تنمو نمواً حراً كاملاً.

(2) يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي يقررها القانون فقط، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخلاق في مجتمع ديمقراطي.

(3) لا يصح بحال من الأحوال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة ومبادئها.

المادة 30

ليس في هذا الإعلان نص يجوز تأويله على أنه يخول لدولة أو جماعة أو فرد أي حق في القيام بنشاط أو تأدية عمل يهدف إلى هدم الحقوق والحريات الواردة فيه.

أعدها للإنترنت قسم موقع الأمم المتحدة في إدارة شؤون الإعلام - جميع الحقوق محفوظة © الأمم المتحدة، 2003

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- العهد القديم
- العهد الجديد

كتب الحديث:

(1)-البخاري أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، **صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)**، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، (ط1)، 2008.

(2)-أبو الحجاج مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1)، 1991.

(3)-أحمد بن حنبل البغدادي، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، (ط1)، 2008.

(4)-مالك بن أنس، **الموطأ**، رواية: يحي بن يحي الليثي الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (ط2)، 1997.

(5)-أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني، **سنن أبي داود**، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2008.

(6)–الترمذي محمد بن عيسى بن سورة، **سنن الترمذي (الجامع)**، دار العلوم والحكم للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، (ط1)، 2011.

(7)–النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، **سنن النسائي (المجتبى)**، تخريج: عماد الطيار، ياسر حسن، عز الدين ضلّي، دار الرسالة العالمية، بيروت، لبنان، (ط1)، 2014.

(8)–ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، جمع: محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، (ط1)، 2016.

(9)–الأجري أبو بكر محمد بن الحسين، **الشريعة**، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الحديث، القاهرة، مصر، (ط1)، 2005.

(10)– الألباني محمد ناصر الدين، **سلسة الأحاديث الصحيحة**، إعداد: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ، (ط2)، 2007.

(11)– المنذري عبد العظيم بن عبد القوي، **الترغيب والترهيب**، دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، (ط2)، 2013.

(12)– المصادر والمراجع:

(13)– السرجاني راغب، **المشترك الإنساني نظرة جديدة للتقارب بين الشعوب**، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2010.

(14)- مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، (ط1)، 2009.

(15)- مجد الدين ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1) ،2000.

(16)- ابن منظور أبو الفضل جمال الديم محمد بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط8)، 2014.

(17)- جبران مسعود، **الرائد**، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان، (ط7)، 1992.

(18)- الجوهري اسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط2)، 1979.

(19)- الفيروز آبادي محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة، مصر، (ط1)، 2008.

(20)- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، (ط4)، 1992.

(21)- لويس معلوف، **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، (ط19)، 2007.

(22)- مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2007.

(23)- ماجد الغرباوي، **تحديات العنف**، العارف للمطبوعات، بيروت، لبنان،(ط1)، 2009.

(24)- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان،(ط1)، 1982.

(25)- أندريه لالاند، **موسوعة لالاند الفلسفية**، ت: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، (ط2)،2001.

(26)- محمد يعقوبي، **معجم الفلسفة**، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر.

(27)- خليل أحمد خليل، **المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع**، دار الحداثة، بيروت، لبنان، (ط1)، 1984.

(28)- وضاح زيتون، **معجم المصطلحات السياسية**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1)، 2010.

(29)- رجاء مكي وسامي العجم، **إشكالية العنف: العنف المُشَّرع والعنف المُدان**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط1)، 2008.

(30)- robert (p) dictionnaire le robert. alphabétique analogique de la langue française (paris société du nouveau livre (snl).1978 .p982.

(31)- نافيد س الشيخ، **تعداد الضحايا**، المركز الملكي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، عمان، الأردن، (ط1)،2009.

(32)- هاني الجزار، **أزمة الهوية والتعصب**، هلا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، (ط1)،2011.

(33)- ابراهيم مدكور، **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، (ط1)، 1988.

(34)- عبد اللطيف الحسين، **تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر**، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)،1999.

(35)- البوطي محمد سعيد رمضان، **الجهاد في الإسلام كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1993.

(36)- المودودي أبو الأعلى، **الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة**، ت: خليل أحمد الحامدي، دار القلم، الكويت، (ط4)، 1980.

(37)- وحيد الدين خان، **عقيدة السلام**، ت: بسام عثمان أحمد أبو زيد، العبيكان للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2016.

(38)- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، مصر، (ط32)، 2003.

(39)- الغزالي محمد، **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (ط4)، 2005.

(40)- حكمت بن ياسين بن بشير، **التفسير الصحيح موسوعة المسبور من التفسير بالمأثور**، دار المآثر، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 1999.

(41)- التميمي محمد عبد الوهاب، **مختصر سيرة الرسول ﷺ**، دار السلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 1977.

(42)- شلبي أحمد، **مقارنة الأديان (اليهودية)**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط8، 1988.

(43)- حتمالة محمد عبده، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، (ط1)، 2000.

(44)- ناصر الدين أبي الخير الشيرازي البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (ط1)، 1998.

(45)- مقاتل بن سليمان، **تفسير مقاتل**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، (ط1)، 2002.

(46)- إسماعيل بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ، (ط2)، 1999.

(47)- الناصري محمد المكي، **التيسير في أحاديث التفسير**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (ط1)، 1985.

(48)- عدنان الخطيب، **حقوق الإنسان في الإسلام**، دار طلاس للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1992.

(49)- السيوطي جلال الدين ، **تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط1)، 2011.

(50)- حسن ظاظا و محمد عاشور، **شريعة الحرب عند اليهود**، دار الاتحاد العربي للطباعة، الاسكندرية، (ط1)، 1976.

(51)- الثعالبي عبد الرحمن، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، (د ت)

(52)- أحمد عبده عوض، **حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب**، ألفا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، (ط1)، 2010.

(53)- البابا شنودة الثالث، **شخصيات الكتاب المقدس**، دار العالم العربي للطباعة، القاهرة، مصر، (ط2)، 1980.

(54)- بول بوشان و دني قاس، **العنف في الكتاب المقدس**، ت : صبحي حمودي ، دار المشرق ، بيروت، لبنان، (ط1) ، 2005.

(55)- الأنبا بيشوى، **هابيل وقايين**، بريما جرافيك للطباعة والتوريدات، دمياط، مصر، (ط1)، 2011.

(56)- سعود بن عبد العزيز الخلف، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ، المملكة العربية السعودية، (ط1)،1997.

(57)- رشاد الشامي، **موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية**، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر، (ط1)، 2002.

(58)- المسيري عبد الوهاب، **موسوعة اليهود والصهيونية**، دار الشروق، القاهرة، مصر، (ط1)، 1999.

(59)- أحمد مختار عمر، **المكنز الكبير**، سطور، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2000.

(60)- إبراهيم الحارتي، **الصهيونية من بابل إلى بوش**، دار البشير للثقافة والعلوم، (د.ت)

(61)- أحمد سوس، **العرب واليهود في التاريخ**، العربي للإعلان والنشر والطباعة، دمشق، سوريا، (ط2)، 1973.

(62)- أحمد ايبش، **التلمود كتاب اليهود المقدس**، دار قتيبة، دمشق، سوريا، (د.ت).

(63)- غوستاف لوبون، **اليهود في تاريخ الحضارات الأولى**، ت: عادل زعيتر، دار طيبة، الجيزة، (ط1)، 2008.

(64)- الشنيبر خالد محمد، حقوق **الإنسان في اليهودية والمسيحية والإسلام مقارنة بالقانون الدولي**، مركز البحوث والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية، (مجلة البيان)، (ط1)، 2014.

(65)- اسماعيل بن كثير الدمشقي، **البداية والنهاية**، دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، (ط3)، 2013.

(66)- أنور الجندي، **المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية**، دار الاعتصام، القاهرة، مصر، (ط1)، 1977.

(67)- مارتن لوثر، **اليهود وأكاذيبهم**، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، (ط1)، 2007.

(68)- الميداني عبد الرحمن حسن، **مكايد اليهود عبر التاريخ**، دار القلم، بيروت، لبنان، (ط2)، 1978.

(69)- العجماوي صالح، **جوهر الإيمان في صحيح الأديان**، مكتبة القاهرة، مصر، القاهرة، مصر، (ط1)، 1988.

(70)- صفوت الشواد، **اليهود نشأةً وتاريخاً**، دار التقوى للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ت).

(71)- أحمد شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (ط8)، 1988.

(72)- المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد، **أطلس الأديان**، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2007.

(73)- عبد الرزاق عبد المجيد، **مصادر النصرانية**، دار التوحيد للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2007.

(74)- ميرسيا إلياد ويوان كوليانو، **معجم الأديان**، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، الرباط، المملكة المغربية، (ط1)، 2018.

(75)- حنانيا إلياس كساب ، **مجموعة الشرع الكنسي**، ، منشورات النور، بيروت، لبنان،(ط2)، 1998.

(76)- ميشيل أبرص وأنطوان عرب ، **مدخل إلى المجامع المسكونية**، مكتبة البوليسية، بيروت، لبنان،(ط1)، 2003 .

(77)- حبيب سعيد، **تاريخ المسيحية فجر المسيحية**، دار التأليف والنشر الكنيسة الأسقفية، الإسكندرية، مصر، (د ت).

(78)- متولي يوسف شلبي، **أضواء على المسيحية**، الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، (ط1)، 1968.

(79)- القس دي روزا، **التاريخ الأسود للكنيسة**، ت: آسر حطيبة، الدار المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (ط1)، 1994.

(80)- كار ماثيو، **الدين والدم إبادة شعب الأندلس**، هيئة أبو ضبي للسياحة والثقافة، الإمارات العربية المتحدة، (ط1)، 2013.

(81)- حتاملة محمد عبده، **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة**، مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، (ط1)، 2000.

(82)- العيدروس محمد حسن، **العصر الأندلسي خروج العرب من الأندلس**، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، (ط1)، 2011.

(83)- أورتيث أنطونيو دومنغيث، **تاريخ الموريسكيين حياة ومأساة أقلية**، كلمة، أبو ضبي، الإمارات العربية المتحدة، (ط1)، 2013.

(84)- حمادي عبد الله، **الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (ط1)، 1989.

(85)- عبد الكريم جمال، **الموريسكيون تاريخهم وآدابهم**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر، (ط1)، 2008.

(86)- ميكيل دي إيبالثا، **الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى**، ت:جمال عبد الرحمن، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، (ط1)، 2005.

(87)- قشتيلو محمد، **محنة الموريسكوس في إسبانيا**، مطابع الشويخ ديسبريس، تطوان، المغرب، (ط1)، 1999.

(88)- وات مونتغمري، **في تاريخ إسبانيا الاسبانية**، ت: محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (ط2)، 1998.

(89)- أرينال مرثيديس غارثيا، **الموريسكيون الأندلسيون**، ت:جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، (ط1)،2003.

(90)- مهندس حمدي عبده سلامة موسى، **محاكم التفتيش الكنسية بالأندلس**، التجهيزات الفنية بمطابع الشرطة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2014.

(91)- السرجاني راغب، **قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط**، مؤسسة اقرأ، القاهرة، مصر، (ط1)، 2011.

(92)- قطب محمد علي، **مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس**، دار القلم، بيروت، لبنان، مصر، (ط1)، 1985.

(93)- البراجيلي متولي، **دراسات في أصول الفقه "مصادر التشريع"**، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2010.

(94)- ابراهيم محمود، **الفتنة المقدسة عقلية التخاصم في الدولة العربية الإسلامية**، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1999.

(95)- مظفر علي، **محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال**، مطبعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة، مصر، (ط1)، 1947.

(96)- الموحي عبد الرزاق رحيم، **حقوق الإنسان في الأديان السماوية**، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، (ط1)، 2002.

(97)- الأنبا أنجيلوس، **الإنسانية حسب تعليم العهد الجديد**، مطبعة دالتا، الإسكندرية، مصر، (ط1)، 2016.

(98)- ألبير بايه، **أخلاق الإنجيل**، ت: عادل العوا، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، (ط1)، 2016.

(99)- المطران مخائيل عسّاف، **الأخلاق المسيحية**، المطبعة المخلصية، صيدا، لبنان، (ط1)، 1948.

(100)- أحمد علي عجيبة، **الرهبانية المسيحية**، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، (ط1)، 2004.

(101)- عبد الوهاب خلاف، **مصادر التشريع الاسلامي فيما لا نص فيه**، دار الكتاب العربي، مصر، (د.ت).

(102)- عباس شومان، **مصادر التشريع الإسلامي**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، (ط1)، 2000.

(103)- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، (ط7)، 1995.

(104)- الصابوني محمد علي، **التبيان في علوم القرآن**، مكتبة البشرى، كراتشي، باكستان، (ط2)، 2010.

(105)- الزرقاني محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر، (ط3)، 1946.

(106)- الشافعي محمد بن إدريس، **الرسالة**، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، (ط1)، 1938.

(107)- الصالح محمد أديب، **مصادر التشريع الإسلامي ومناهج الاستنباط**، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2002.

(108)- الكبيسي أحمد عبيد، **أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي**، دار السلام، دمشق، سوريا، (ط3)، 2004.

(109)- وهبة الزحيلي، **أصول الفقه الاسلامي**، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، (ط1)، 1986.

(110)- مصطفى السباعي، **السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي**، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،(د.ت).

(111)- السباعي مصطفى، **من روائع حضارتنا**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، (ط1)، 1998.

(112)- السمعاني أبو المظفر منصور بن محمد ، **تفسير القرآن** ، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 1997.

(113)- وهبة الزحيلي، **أثار الحرب في الفقه الإسلامي**، دار الفكر، دمشق، سوريا، (ط3)، 1998.

(114)- معتز الخطيب، **العنف المستباح**، دار المشرق، القاهرة، مصر، (ط1)، 2017.

(115)- محمد نفيسة، **الإسلام و ظاهرة العنف**، دار السقا، دمشق، سوريا، (ط1)، 1996.

(116)- محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (ط2)، 2009.

(117)- ريتا فرج، **العنف في الإسلام المعاصر**، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، (ط1)، 2010.

(118)- حسان محمد، **الفتنة بين الصحابة**، مكتبة فياض، القاهرة، مصر، (ط1)، 2006.

(119)- القرطبي محمد بن أحمد، **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2001.

(120)- الصلابي علي محمد، **فكر الخوارج والشيعة**، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف، (د.ت).

(121)- مهدي فضل الله، **الإيمان والتكفير والذات والآخر في الإسلام**، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، (ط1)، 2012.

(122)- رشيد الخيون، **اتجاهات التطرف والغلو في التراث الإسلامي**، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر، (ط1)، 2016.

(123)- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، دار يعرب، دمشق، سوريا، (ط1)، 2004.

(124)- محمد سهيل طقوش، **التاريخ الإسلامي الوجيز**، دار النفائس، بيروت، لبنان، (ط5)، 2011.

(125)- ابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن الكرم الشيباني، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ط1)، 2012.

(126)- محمد عبد الله عودة وحكمت فريحات وابراهيم ياسين الخطيب، **مختصر التاريخ الإسلامي**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، (ط1)، 1989.

(127)- العش يوسف، **الدولة الأموية**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، (ط2)، 1985.

(128)- صلاح طهبوب، **موسوعة التاريخ الإسلامي العصر الأموي**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (ط1)، 2009.

(129)- السيوطي جلال الدين، **تاريخ الخلفاء**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، (ط3)، 2003.

(130)- منصور عبد الحكيم، **الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية**، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، (ط1)، 2009.

(131)- السرجاني راغب، **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي**، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، (ط7)، 2007.

(132)- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، مكتبة الصفا، القاهرة، مصر، (ط1)، 2003.

(133)- جرجي زيدان، **أبو مسلم الخرساني**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2012.

(134)- جرجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2012.

(135)- الأزدي يزيد بن محمد، **تاريخ الموصل**، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، (ط1)، 1967.

(136)- فيصل السامر، **ثورة الزنج**، منشورات المدى، دمشق، سوريا، (ط2)، 2000.

(137)- الأشعري علي بن إسماعيل، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين**، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (ط1)، 1990.

(138)- مكتب التبيان، **الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة**، إشراف علمي: حسن عبد الحفيظ أبو الخير، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، (ط1)، 2011.

(139)- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، دار المعرفة بيروت، لبنان، (ط3)، 1997.

(140)- البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفرائيني التميمي، **الفرق بين الفرق**، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، مصر،(ط1)، 2010.

(141)- برنارد لويس، **الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام**، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، (ط2)، 2006.

(142)- العلوي هادي، **من تاريخ التعذيب في الإسلام**، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، (ط4)، 2004.

(143)- الإسفرايني أبو المظفر، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين**، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (ط1)، 1983.

(144)- علي محمد الصلابي، **فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة**، دار المجدد للنشر والتوزيع، سطيف، (د.ت).

(145)- أنور الجندي، **أفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (ط1)، 1984.

(146)- الخزار خالد بن جمعة ، **موسوعة الأخلاق** ، مكتبة أهل الأثر ، الكويت ، (ط1)، 2009.

(147)- الحصين صالح بن عبد الرحمن، **التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب**، مؤسسة الوقف الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2008.

(148)- السعدي عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، (ط2)، 2014.

(149)- أبو السعود محمد بن محمد العمادي، **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،(د.ت).

(150)- الكاندهلوي محمد يوسف، **حياة الصحابة**، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة (ط1)، 2006.

(151)- الحليمي أبو عبد الله الحسين بن الحسن، **المنهاج في شعب الإيمان**، تحقيق: محمد حلمي فودة، دار الفكر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1979.

(152)- مايكل هارت، **الخالدون المائة**، ت: أنيس منصور، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، قسنطينة، (ط1)، 2009.

(153)- محمد أحمد المولى بك ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، **أيام العرب في الجاهلية**، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، (ط1)، 1942.

(154)- السرجاني راغب الحنفي، **الرحمة في حياة الرسول ﷺ** ، رابطة العالم الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2009.

(155)- الطبري محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، بيت الأفكار الدولية، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د.ت).

(156)- السرجاني راغب، **فن التعامل النبوي مع غير المسلمين**، دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة، بزر سعيد، مصر، (ط1)، 2010.

(157)- غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2013.

(158)- أبو خليل شوقي، **التسامح في الإسلام (المبدأ والتطبيق)**، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1993.

(159)- سير توماس أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ت: حسين ابراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (ط2)، 1970.

(160)- هنري دي كاسترى، **الإسلام خواطر وسوانح**، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، (ط1)، 2008.

(161)- زناتي أنور محمد، **زيارة جديدة للاستشراق**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، (ط1)، 2006.

(162)- سيد بن شحات بن رمضان جمعة، شبهات عن بني أمية، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط2)، 2014.

(163)- العكري شهاب الدين ابو الفلاح عبد الحي بن أحمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، (ط1)، 1986.

(164)- عزت السيد أحمد، **الغرب الجاني على نفسه**، العالم العربي للنشر، عمان، (ط1)، 2015.

(165)- أصف حسين، **صراع الغرب مع الإسلام**، ت: مازن مطبقاني، مركز الفكر المعاصر، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2013.

(166)- عبد الجبار الرفاعي، **الدين والنزعة الإنسانية**، مركز دراسة فلسفة الدين، بغداد، (ط3)، 2018.

(167)- عوض أحمد عبده، **حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب**، ألفا للنشر والتوزيع، الجيزة، (ط1)،2010.

(168)- الندوى أبو الحسن، **الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية**، دار الصحوة للنشر، القاهرة، مصر، (ط1)، 1986.

(169)- الواعي توفيق يوسف، **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية**، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، (ط1)، 1988.

(170)- شوقي أبو خليل، الإسلام في ققص الاتهام، دار الفكر، دمشق، سوريا، (ط5)، 1982.

(171)- شريعتي علي، **الإنسان والإسلام**، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، (ط2)، 2007.

(172)- جمعة علي، **المساواة الإنسانية في الإسلام بين النظرية والتطبيق**، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط1)، 2014.

(173)- الرماح ابراهيم بن عبد الله، **الإنسانوية المستحيلة**، دار وقف دلائل النشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط2)، 2017.

(174)- عويس عبد الحليم، **إنسانيات الإسلام مبادئ شرعية وتجارب واقعية**، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 2006.

(175)- الجندي أنور، **الإسلام والعالم المعاصر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (ط2)، 1980.

(176)- عثمان محمد فتحي، **حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الوضعي**، دار الشروق، القاهرة، مصر، (ط1)، 1983.

(177)- نصير آمنة محمد، **إنسانية الإنسان في الإسلام**، دار الشروق، القاهرة، مصر، (ط1)،1989.

(178)- محمود عكام، **الإسلام والإنسان**، فصلت للدراسات والنشر والترجمة، حلب، سوريا، 1995.

(179)- الحقيل سليمان بن عبد الرحمن، **حقوق الإنسان في الإسلام والرد على الشبهات المثارة حولها**، وكالة الفرزدق، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط1)، 1994.

(180)- الجواد سفير أحمد، **المسلمون وحوار الحضارات**، دار العصماء، دمشق، سوريا، (ط1)، 2016.

(181)- ألبرت حوراني، **الإسلام في الفكر الأوروبي**، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، (ط1)، 1994.

(182)- إبراهيم صقر إسماعيل الزعيم، **التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس**، دار إي، لندن، (ط1)، 2019.

(183)- محمد موسى الشريف، **التقارب والتعايش مع غير المسلمين**، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، (ط1)، 2003.

(184)- كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط5)، 1968.

(185)- شوقي أبو خليل، **أطلس انتشار الإسلام**، دار الفكر، دمشق، سوريا، (ط1)، 2011.

(186)- الفراك أحمد ، **المسلمون والغرب والتأسيس القرآني للمشترك الإنساني**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، (ط1)، 2021.

(187)- عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية**، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، (ط1)، 1995.

(188)- صفي الرحمن المباركفوري، **الرحيق المختوم**، دار الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، (ط1)، 2007.

(189)- محمد حميد الله، **الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، بيروت، لبنان، (ط6)، 1987.

(190)- محمد عمارة، **الإسلام والآخر من يعترف بمن؟. و من ينكر من؟**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، (د ت).

(191)- زيدان عبد الكريم، **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (ط1)، 1982.

(192)- الخربوطلي علي حسن، **الإسلام وأهل الذمة**، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، مصر، (ط1)، 1969.

(193)- السيد سابق، فقه السنة، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، مصر، (ط2)، 1999.

(194)- برهان رزيق، **الوطن في الإسلام**، دار الأنصار، دمشق، سوريا، (ط1)، 1997.

(195)- بدران أبو العينين بدران، **العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر، (ط1)، 1984.

(196)- الجواد سفير أحمد، **ظاهرة التطرف الديني الواقع والتطبيق**، دار العصماء، دمشق، سوريا، (ط1)، 2014.

(197)- القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم، **كتاب الخراج**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (ط1)، 1979.

(198)- جرجس سال، **مقالة في الإسلام**، ت: هاشم العربي، المطبعة الإنجليزية الأميركانية، بولاق، مصر، (ط3)، 1913.

(199)- لورا فيشيا فاغليري، **دفاع عن الإسلام**، ت: منير البعلبكي، دار الملايين للكتب، بيروت، لبنان، (ط5)، 1981.

(200)- نورمان كانتور، **التاريخ الوسيط قصة حضارة**، ت: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، (ط5)، 1997.

(201)- شوقي أبو خليل، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة**، دار الفكر، دمشق، سوريا، (ط1)، 1994.

(202)- جورج رحمة، **السريان أعمدة الحضارة الإسلامية**، دار سائر المشرق، نهر الموت، لبنان، (ط1)، 2018.

(203)- أحمد شحلان، **التراث العبري اليهودي في الغرب الإسلامي**، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المملكة المغربية، (ط1)، 2006.

(204)- محمد منير سعد الدين، ال**عيش المشترك الإسلامي المسيحي في ظل الدولة الإسلامية شهادة من التاريخ** ، المكتبة البولسية، جونية ، لبنان، (ط1)، 2001.

(205)- جاك ريسلر، **عبقرية الحضارة العربية**، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ليبيا، (ط1)، 1990.

(206)- عبده الشمالي، **دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها**، دار صادر، بيروت، لبنان، (ط5)، 1979.

(207)- موفق الدين ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ت: عامر النجار، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط1)، 1997.

(208)- دي لاسي أوليري، **الفكر العربي ومركزه في التاريخ**، ت: اسماعيل البيطار، دار الكتاب، (د ت)

(209)- مريم سلامة كار، **الترجمة في العصر العباسي**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، (ط1)، 1998.

(210)- شوقي الضيف، **العصر العباسي الأول**، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط1)6، 2004.

(211)- مسفر القحطاني، **صدام القيم**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، (ط1)، 2015.

(212)- مراد هوفمان، **الإسلام عام 2000**، ت: عادل المعلم، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، (ط2)،2003.

(213)- آرشي أوغستاين، **الحرب على الإسلام**، ت: محمد الشماع، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، (ط1)،2011.

(214)- زيغريد هونكه، **الله ليس كذلك**، ت: غريب محمد غريب، دار الشروق، القاهرة، مصر، (ط1)، 1995.

(215)- إدوارد سعيد، **تغطية الإسلام**، ت: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (ط1)،2005.

(216)- دراسات سويسرية، **الإسلام في عيون غربية**، ت: ثابت عيد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (ط1)، 1998.

(217)- جورج كاثرين، **مقال الغرب المتمدن ينظر إلى افريقيا البدائية**، ضمن كتاب البدائية، تحرير أشلي مونتاجري، ت: محمد عصفور، عالم المعرفة، عدد 53، الكويت.

(218)- عبد السلام حمدي اللمعي، **صراع الحضارات وحوار الدبابات**، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، (ط1)، 2005.

(219)- يوسف الحسن، **الحوار المسيحي الإسلامي الفرص والتحديات**، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، (ط1)، 1997.

(220)- محمد السماك، **مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (ط1)، 1998.

(221)- المسيري عبد الوهاب، **الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان**، دار الفكر، دمشق، سوريا، (ط4)، 2010.

(222)- أنمار محمد أحمد، **الحوار بين أتباع الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام الأفاق والتحديات**، دار الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، سامراء، (ط1)، 2022.

(223)- حسن البنا، **مجموعة الرسائل**، دار الدعوة، الاسكندرية، مصر، (ط1)، 2001.

(224)- الطيب وفرنسيس، **وثيقة الأخوة الإنسانية**، دولة الإمارات المتحدة، أبو ضبي، 2018.

المصادر الأجنبية:

(225)- (30)-robert (p) dictionnaire le robert. alphabétique analogique de la langue française (paris société du nouveau livre (snl).1978

المقالات العلمية:

(226)- جورج كاثرين، مقال الغرب المتمدن ينظر إلى افريقيا البدائية، ضمن كتاب البدائية، تحرير أشلي مونتاجري، ت: محمد عصفور، عالم المعرفة، عدد 53، الكويت.

مقدمة: .... أ

الفصل الأول: العنف والتسامح المفهوم الدلالة وبداية الجدل................................ 18

المبحث الأول: العنف والتسامح وحقولهما الدلالية. 19

المطلب الأول: العنف والتطرف قراءة في المفهوم. 19

أولاً: المقاربات اللغوية للعنف. 20

ثانيا: المقاربات الفلسفية والفكرية لمصطلح العنف.. 22

ثالثا: العنف ومدلولاته.. 25

المطلب الثاني: التسامح ودلالاته.. 26

أولا: التسامح قراءة في المفهوم. 27

ثانيا: المقاربات الفلسفية والفكرية لمصطلح التسامح.. 28

ثالثاً: التسامح عند مفكري الإسلام. 32

المطلب الثالث: قراءة تاريخية في المصادر الدينية حول نشأة العنف والتسامح. 34

أولا: جدلية العنف والتسامح قبل خلق الإنسان في المنظور القرآني........................ 34

ثانياً: العنف والتسامح وبدايتهما مع الإنسان من المنظور القرآني. 37

ثالثاً: قابيل وهابيل في الكتاب المقدس.. 39

المبحث الثاني: جدل العنف والتسامح في الفكر اليهودي. 43

المطلب الأول: مصادر تشريع الفكر اليهودي. 43

أولا: العهد القديم ومحتوياته... 44

ثانياً: التلمود قراءة في الأسس والمبادئ. 45

المطلب الثاني: العنف وأشكاله في الفكر الديني اليهودي...................................... 47

أولاً: نشأة العنف في الفكر الديني اليهودي.. 48

ثانياً: العنف وأشكاله في التوراة اليهودية. 53

ثالثاً: العنف وأشكاله في التلمود اليهودي. 56

المطلب الثالث: التسامح في الفكر الديني اليهودي. 58

أولاً: التسامح وصوره في التوراة. 59

ثانياً: دعوة التسامح عند بعض الفرق اليهودية – الفريسيون أنموذجا – 61

المبحث الثالث: العنف والتسامح في الفكر الديني المسيحي. 63

المطلب الأول: مصادر تشريع الفكر الديني المسيحي. 63

أولاً: العهد الجديد مفهومه ومحتوياته. 64

ثانياً: المجامع النصرانية(التنظير والتنظيم). 65

المطلب الثاني: العنف والتطرف والغلو والقطيعة في الفكر الديني المسيحي في العصر الوسيط – أزمة الموريسكيين أنموذجا–. 68

أولا: الأندلس ما قبل الحكم المسيحي الكاثوليكي (من التسامح إلى العنف). 69

ثانياً: الموريسكيون دلالة الاسم بين التمييز والتحقير(خطاب الكراهية). 72

ثالثاٌ: الكنيسة الكاثوليكية وبداية التأسيس للعنف. 76

رابعاً: العنف والتطرف على الموريسكيين صوره وأشكاله. 81

المطلب الثالث : التسامح و الرحمة في الفكر الديني المسيحي. 87

أولاً: التسامح والتعايش مع الآخر في العهد الجديد. 87

ثانيا: التسامح المسيحي الممارسة والتطبيق. 91

الفصل الثاني : جدل العنف والتسامح في الفكر الاسلامي. 95

المبحث الأول: مصادر الفكر الإسلامي. 96

المطلب الأول: القرآن الكريم المفهوم الدلالة والأقسام. 96

أولاً: القرآن الكريم المفهوم والدلالة. 97
ثانيا: القرآن، خصائصه، أقسامه وحروفه. 99
ثالثاً: القرآن ومكانته في التشريع الإسلامي والتأصيل الفكري. 101
المطلب الثاني :السنة ومنزلتها في تشريع الفكر الإسلامي. 104
أولا: السنة المفهوم والدلالة والأقسام. 104
ثانيا: السنة وتأسيس الفكر الديني الإسلامي. 106
المطلب الثالث: الإجماع وحجيته في تشريع الفكر الإسلامي. 106
أولا: الإجماع التعريف والمفهوم. 107
ثانياً: حجية الإجماع في تأصيل الفكر الإسلامي. 108
المبحث الثاني: العنف والتطرف دوافعه وأشكاله في الفكر الإسلامي. 112
المطلب الأول: دوافع وأسباب نشأة العنف في الفكر الإسلامي. 113
أولا: التأويل والاستنباط والتفسير بين المبالغة والانحراف. 114
ثانيا: العصبيات والقبليات. 118
ثالثا:المذهبية والخلاف الفكري والعقائدي. 119
المطلب الثاني: العنف في الإسلام أهم المراحل التاريخية. 122
أولا: العنف والتطرف في عهد الصحابة رضي الله عنهم. 123
ثانيا: العنف والتطرف في المرحلة الأموية. 126
ثالثا: العنف والتطرف في بداية المرحلة العباسية. 130
المطلب الثالث: أمثلة العنف في تاريخ الإسلام-الخوارج أنموذجا-. 136
أولا: الخوارج المفهوم والنشأة. 136
ثانيا: أصول العنف والتطرف عند الخوارج. 138
ثالثا: الخوارج وممارسة العنف باسم الدين. 141
المبحث الثالث: التسامح في الفكر الإسلامي. 144

المطلب الأول: مبادئ التسامح الأساسية ودلالاتها في الإسلام. 144
أولا: الفكر الديني الإسلامي المقاصد والغايات. 145
ثانيا : دلالات التسامح في القرآن الكريم 147
المطلب الثاني: الأبعاد الأخلاقية للتسامح في السنة النبوية. 152
أولا: الشمائل المحمدية والتسامح. 152
ثانيا: السنة النبوية ودعوة التسامح. 156
ثالثا: موقف السنة من اللاتسامح. 162
المطلب الثالث : أشكال التسامح في الاسلام 166
أولا: مقابلة العنف بالتسامح في حياة النبي ﷺ. 166
ثانيا: الأخلاق الإسلامية وأبعاد التسامح والرحمة في الحرب. 169
ثالثا: مقابلة العنف بالتسامح في تاريخ الإسلام. 173

<u>الفصل الثالث: أزمة الفكر الإسلامي المعاصرة ومستقبل العيش المشترك في ظل التعددية الدينية والاختلاف الثقافي. .... 178</u>

المبحث الأول: الإنسان وأبعاد الإنسانية ما بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي. 179
المطلب الأول: الإنسان ما بين الفلسفة الإنسانوية وإنسانية الأديان السماوية. 179
أولاً: الإنسان بين التصور الديني والفكري والفلسفي قبل الإسلام. 180
ثانيا: الإنسان والإنسانية في الفكر الغربي قبل مرحلة النهضة وما بعدها. 185
ثالثا: الإنسان وجدلية الاستعباد والمساواة في ظل التفاوت في جزيرة العرب قبل الإسلام وبعده. 190
رابعا: الإنسان والإنسانية في المصادر الإسلامية. 195
المطلب الثاني: حقوق الإنسان في الإسلام. 198

أولا: الإسلام وحقوق الإنسان.. 199
ثانيا: حقوق الإنسان العامة في الإسلام. 200
ثالثا: حقوق الإنسان الخاصة في الإسلام. 204
المطلب الثالث: المشترك الإنساني الخصائص والأسس........................ 208
المبحث الثاني: المسلمون والآخر والعيش المشترك في ظل التعددية الدينية. 211
المطلب الأول: المسلمون والآخر وأسس العيش المشترك. 211
أولا: صورة الإسلام عند الآخر. 212
ثانيا: التأسيس القرآني للعيش المشترك.. 214
ثالثا: التأسيس النبوي للعيش المشترك بين المسلمين والآخر.......................... 217
المطلب الثاني: واقع الآخر في المجتمع الإسلامي (الحقوق والواجبات)................. 221
أولاً: فلسفة التسامح الإسلامية في التعامل مع الآخر في المجتمع الإسلامي. 221
ثانيا: خصوصية الحقوق الدينية للذميين في التطبيق الإسلامي. 224
ثالثا: واجبات الآخر في المجتمع الإسلامي – الجزية أنموذجا –. 227
المطلب الثالث : المسلمون والاخر ومظاهر العيش المشترك والتعددية الثقافية ومكانة الآخر في المجتمع الإسلامي ودوره في ازدهار الحضارة–المرحلة العباسية أنموذجا–........ 231
أولا: التعددية الثقافية في المجتمع الإسلامي. 231
ثانيا: الطب والجوانب الإنسانية عند الآخر التطبيق والممارسة. 235
ثالثا: إسهامات الآخر في حركة الترجمة والنقل.. 239
المبحث الثالث: أزمة الفكر الإسلامي وتحديات التعايش السلمي في ظل جدل القطيعة والاعتراف عند الآخر. 243
المطلب الأول: الفكر الإسلامي والغرب اللاهوتي وتحديات الراهن. 244
أولا: الفكر الإسلامي والأزمة الراهنة. 245
ثانيا: المسلمون والغرب اللاهوتي وتحديات القطيعة. 248

ثالثا: المسلمون والآخر اللاهوتي وأفاق التعارف والاعتراف ما بين الماضي إلى الحاضر.. 253
المطلب الثاني: المسلمون والغرب الحضاري وأزمة التعايش السلمي. 256
أولاً : موقف الغرب الحضاري من الفكر الإسلامي.. 257
ثانيا: المركزية الغربية وسلطة الاستعلاء و خطابات العنف البنيوي والتفوق الجنسي. 262
ثالثا: الغرب الحضاري واستبعاد الآخر المسلم والتأسيس لخطابات الاقصاء. 266
المطلب الثالث: المسلمون و الآخر اللاهوتي و رهانات التعايش السلمي في ظل التعددية والاختلاف – وثيقة الأخوة الإنسانية أنموذجا–. 269
أولا: الحوار الديني بين المسلمين والآخر اللاهوتي الضرورة والدافع.................. 270
ثانيا: المسلمون والآخر ضرورة تأسيس الحوار من أجل التعايش السلمي. 274
ثالثا: المسلمون والآخر المسيحي وأسس التنظير للعيش المشترك والتعايش السلمي – تأملات في وثيقتي مكة والأخوة الإنسانية. 277

خاتمة:... 283

الملاحق:.. 293

الملحق رقم: 01 (وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك) 293
الملحق02: (وثيقة مكة المكرمة سنة 2019م الموافق ل1440هـ) 305
ملحق04: (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948م) 323

قائمة المصادر والمراجع: 330

ملخص:

عرفت المجتمعات البشرية الكثير من الأزمات على مر العصور وفي جميع الأمصار، ما أثر ذلك على الإنسان والإنسانية وساهم بشكل مباشر في تأسيس العلاقات وبناء شتى التعاملات أو العكس من ذلك تماما، ومن جملة هذه الأزمات العنف والتسامح اللذان شكّلا جدلية تاريخية أثرت هي الأخرى على مستقبل الإنسان، وقلبت موازين الرؤى المستقبلية، خاصة إذا علمنا أنهما لطالما ارتبطا بشكل وثيق بالمقدس، أو ما تعرف بجدلية العنف والتسامح في الفكر الديني، وهذا الأخير كان ومازال يعتبر حقل تنظير للكثير من التيارات الدينية والطوائف المختلفة، مثلما هو الحال في الفكر الإسلامي.

نسعى من خلال هذه الدراسة تبيان جملة من المفاهيم والمبادئ التي يتأسس عليها جدل العنف والتسامح ومدلولاتهما، كما نحاول تقديم نماذج وأمثلة عن مخرجات جدلية العنف والتسامح في الفكر الإسلامي، بتفعيل سبل التعارف وتجاوز القطيعة من أجل التأسيس الفعلي للعيش المشترك في ظل التعدديات والاختلاف الديني والثقافي.

الكلمات المفتاحية: العنف ، التسامح ، الفكر الإسلامي ، التعارف ، القطيعة ، العيش المشترك ، الاختلاف

Summary:

Human societies have known many crises throughout the ages and in all countries, which affected humans and humanity and contributed directly to establishing relationships and building various transactions, Among these crises are violence and tolerance, which constituted a historical dialectic that also affected the future of humanity, It changed the balance of future visions, especially if we know that they have always been closely linked to the sacred, or what is known as the dialectic of violence and tolerance in religious thought, and the latter was and still is considered a field of theorization for many different religious currents and sects, as is the case in Islamic thought.

Through this study, we seek to clarify a number of concepts and principles on which the debate on violence and tolerance and their meanings are based. We also try to provide models and examples of the outcomes of the dialectic of violence and

tolerance in Islamic thought, by activating ways of getting to know each other and overcoming estrangement in order to actually establish coexistence in light of religious and cultural pluralisms and differences.

Keywords: violence, tolerance, Islamic thought, acquaintance, estrangement, coexistence, difference

Résumé:

Les sociétés humaines ont connu de nombreuses crises à travers les âges et dans tous les pays, qui ont affecté les humains et l'humanité et ont contribué directement à l'établissement de relations et à la construction de diverses transactions, Parmi ces crises, il y a la violence et la tolérance, qui ont formé une dialectique historique qui a également touché le devenir de l'homme et bouleversé la balance des visions du futur, surtout si l'on sait qu'elles ont toujours été étroitement liées au sacré, ou à ce qu'on appelle le dialectique de la violence et de la tolérance dans la pensée religieuse, et cette dernière était et est encore considérée comme un champ de théorisation pour beaucoup de mouvements et sectes religieux différents, comme c'est le cas dans la pensée islamique.

À travers cette étude, nous cherchons à clarifier un certain nombre de concepts et de principes sur lesquels repose le débat sur la violence et la tolérance et leurs significations. Nous essayons également de fournir des modèles et des exemples des résultats de la dialectique de la violence et de la tolérance dans la pensée islamique. En activant les moyens de se connaître et de surmonter l'éloignement pour établir réellement la coexistence à la lumière des pluralismes et des différences religieuses et culturelles.

Mots-clés : violence, tolérance, pensée islamique, connaissance, éloignement, coexistence, différence